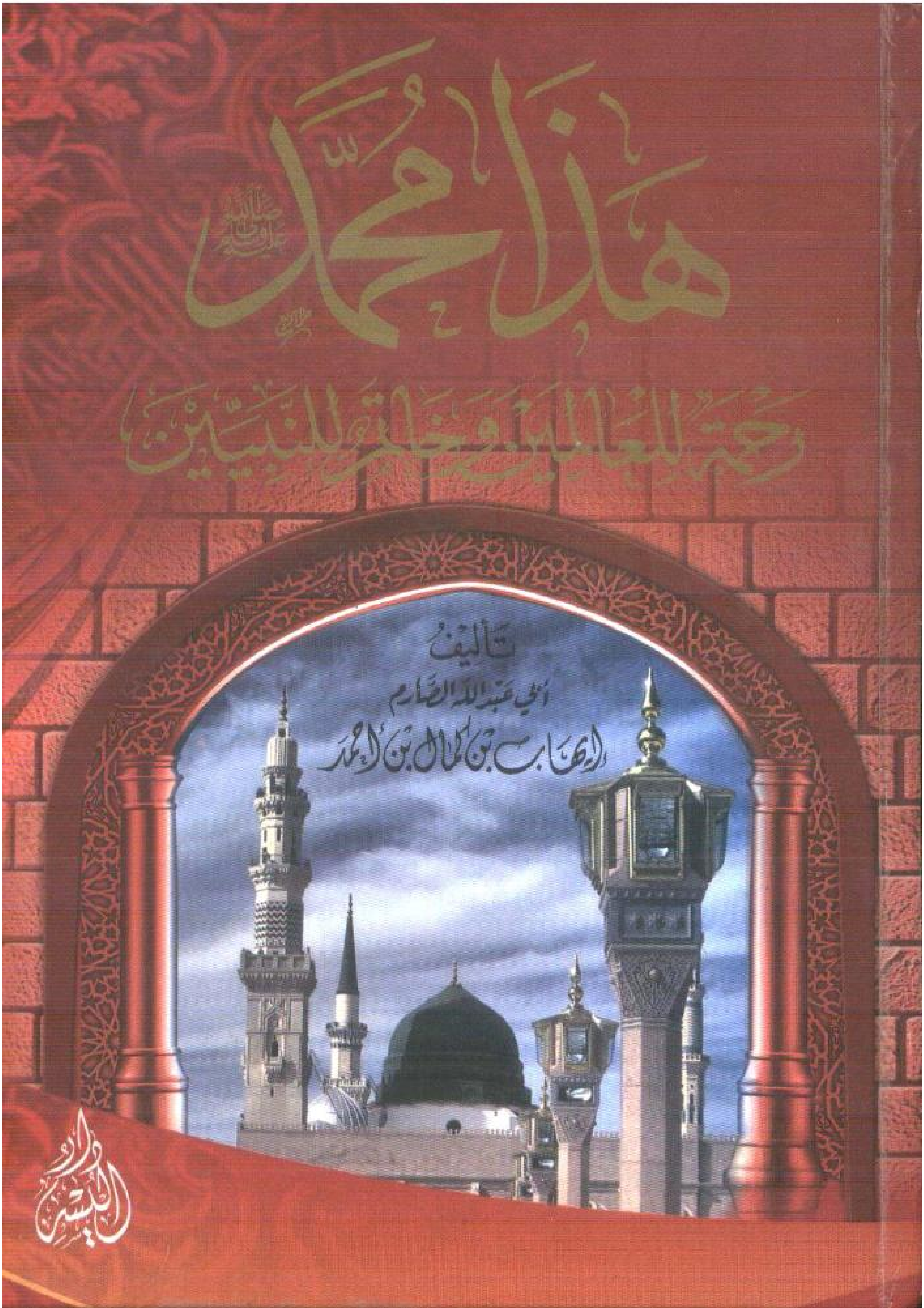
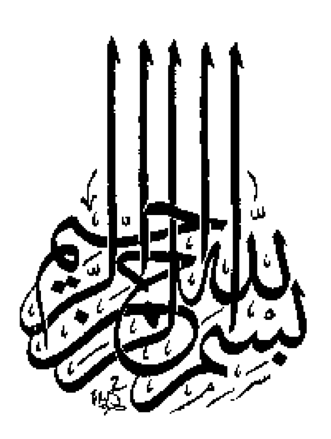


هذا محمد ﷺ
رحمة للعالمين وخاتم النبيين
تأليف
أبي عبد الله الصارم
إيهاب بن كمال بن أحمد
دار اليسر



الطبعة الأولى ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م



رقم الإيداع
٢٠١٠/٢٤٢٣٦

دار الكتب المصرية
فهرسة أثناء النشر إعداد إدارة الشئون الفنية

ابن كمال، إيهاب.
هذا محمد صلى الله عليه وسلم رحمة للعالمين
وخاتم للنبيين
إيهاب بن كمال بن أحمد.
القاهرة، دار اليسر ٢٠١٠م.
٢٥٦ ص، ١٧سم × ٢٤سم.
١ السيرة النبوية
٢ محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم، محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم ٥٧١-٦٣٣
أ- العنوان
٢٣٩



٢٠ ش عبد العزيز عيسى، المنطقة التاسعة الحي الثامن، مدينة نصر، القاهرة.
تليفون: ٠٢٢٢٤٧٠٩٢٦٩ ٠٠٢
فاكس: ٠٢٢٢٤٧١٤٨٠١ ٠٠٢
محمول: ٠١٦٢٢٢٧٦٢٠٨ ٠٠٢
Email: alyousr@gmail.com



تأليف

أبي عبد الله الصارم

إيهاب بن كمال بن أحمد





بسم الله الرحمن الرحيم

قال الله تبارك وتعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَـٰلَمِينَ ﴾ [الأنبياء:١٠٧]

وقال الله عز وجل: ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَـٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾ [الأحزاب:٤٠]

وقال تعالى: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [القلم:٤]

وقال رسول الله ﷺ: « أَنَا مُحَمَّدٌ وَأَحْمَدُ وَالْمُقَفِّى وَالْحَاشِرُ وَنَبِيُّ التَّوْبَةِ وَنَبِيُّ الرَّحْمَةِ» [حديث صحيح]

مقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهد الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾[الأحزاب: ٧٠-٧١].

اللهُمَّ صل على محمد وأزواجه وذريته كما صليت على آل إبراهيم، وبارك على محمد وأزواجه وذريته كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد.

إن أصدق الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار.

أما بعد:

فإن الحديث عن العظماء من الرسل والأنبياء، والصحابة والحواريين، والعلماء والصالحين، حقيق أن تقرّ به الأعين وترتاح له القلوب وتطمئن به النفوس، لتسمو راغبة في تحقيق حسن التأسي بهم، وتعلو في درجات الاقتداء والاتباع لهم.

ولا ريب أن أعظم شخصية عرفها التاريخ هي شخصية خليل الرحمن

وعبد الله ورسوله ونبي الرحمة والعطف والرأفة محمد ﷺ، الذي حاز صفات الجلال وجمع معاني الجمال، وحوى نعوت الكمال، وبلغ القمة في حُسن الخصال، واعتلى ذروة حميد الخلال، فهو محمد في اسمه ورسمه، محمود في سيرته وسمته، حميد في خلقه ووصفه، صنعه الله على عينه وشمله بعنايته ورعايته، واصطفاه لرسالته وكلامه، وائتمنه على وحيه وكتابه، وعصمه في قوله وفعله، ومعتقده وعمله، وطهّره في ظاهره وباطنه، وشرح صدره وأعلى شأنه ورفع ذكره.

ومن ثم فإن القلب يهفو والنفس تشتاق والعقل يتطلع للحديث عن نبي الرحمة محمد ﷺ، ومعرفة سيرة وأخلاق وصفات تلك الشخصية العظيمة التي غيرت مجرى التاريخ، وأنقذت البشرية من ضلال الشرك، وانتشلتها من أوحال الكفر، لتبصّر عيونًا قد عميت، وتسمع آذانًا قد صمّت، وتفتح قلوبًا قد أغلقت بأقفال الأهواء والشهوات، وران عليها ما كسبت من المعاصي والفسوق والعصيان، لتسمو بها إلى عظمة التوحيد، وتحلّق بها في سماء الإيمان.

ولذلك نجد أن شخصية نبي الرحمة محمد ﷺ هي أكثر شخصية -على الإطلاق- تناولها العلماء والباحثون بالدراسة والتصنيف، ولا أعني بذلك المسلمين فقط، بل يشمل ذلك غير المسلمين أيضًا الذين أقرّ منهم الكثيرون بفضله وسموه وشرفه.

وعلى قدر ما نجد من لذة وراحة وسعادة في الحديث عن الحبيب محمد ﷺ، فإننا نجد صعوبة بالغة في اختيار كلمات وجمل وعبارات تليق بوصفه، فلا شك أن القلم يعجز عن الإحاطة بشمائله، والصحائف تقصر عن إدراك عظيم فضله، وقواميس اللغات لا تسعفنا في استيعاب وجوه شرفه ومجده.

لكن الطمع في معونة الله، والرجاء في تيسيره، والتوكل عليه والاستعانة بحوله وقوته هو الذي حثّني على الإقدام على تصنيف هذا المصنف الذي أرغب من خلاله أن أقدّم تعريفًا موجزًا مختصرًا لكل الناس -المسلمين وغيرهم- عن النبي الكريم محمد ﷺ: فضله ومكانته، وسيرته وحياته، وأخلاقه وشمائله، ودلائل نبوته والبشارات به، وشهادات الناس له من المعاصرين له وغير المعاصرين سواء الذين أسلموا، أو من بقوا على دينهم ولم يسلموا.

إن هذا الكتاب على إيجازه واختصاره يقدّم إجمالاً وتفصيلاً أدلة يقينية على صدق نبوة الرسول محمد ﷺ يذعن لها كل منصف، ويقرّ بها كل ذي لبّ.

إنه دعوة لجميع الناس أن يملأوا قلوبهم باليقين الذي لا يداخله شك أن كل ما جاء به نبي الرحمة محمد ﷺ هو الحق من عند الله وهو سبب سعادة الدنيا والآخرة.

إنه دعوة لأصحاب العقول السليمة والفطر السوية إلى النظر في البراهين النقلية والأدلة العقلية والبينات الحسية التي تورث اليقين أن محمدًا ﷺ هو خاتم النبيين والرسول الأمين والرحمة للعالمين المرسل بخيري الدنيا والدين، والمبعوث بالحق المبين من ربّ العالمين.

وقد انتظم عقد هذا الكتاب في أحد عشر فصلًا جاءت على النحو التالي:

الفصل الأول: هذا محمد ﷺ.

الفصل الثاني: الحياة والسيرة.

الفصل الثالث: الشمائل والصفات.

الفصل الرابع: الدعوة والرسالة.

الفصل الخامس: المعجزات ودلائل النبوة.

الفصل السادس: النبوءات.

الفصل السابع: البشارت.

الفصل الثامن: شهادات معاصريه من أهل الكتاب بنبوّته

الفصل التاسع: شهادات المنصفين من غير المسلمين.

الفصل العاشر: افتراءات والردّ عليها.

الفصل الحادي عشر: مختارات من أقوال نبي الرحمة ﷺ.

نسأل الله أن يرزقنا اتباع سنة نبيه ﷺ وأن يحشرنا في زمرته، وأن يسقينا من يده الشريفة شربة هنيئة لا نظمأ بعدها أبدًا.

اللَّهُمَّ اجزه عنا خير ما جزيت نبيًا عن أمته ورسولاً عن قومه، وآته الوسيلة والفضيلة، وابعثه مقامًا محمودًا الذي وعدته.

ربنا اجعل هذا العمل صالحًا، ولوجهك خالصًا، واجعله من العلم الذي ينتفع به إذا انقضى الأجل وانقطع العمل، إنك ربي على كل شيء قدير وبالإجابة جدير وأنت حسبنا ونعم الوكيل.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله محمد سيد المرسلين وخاتم النبيين والمبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أبي عبد الله الصارم
إيهاب بن كمال بن أحمد
القاهرة في السابع
من ذي القعدة ١٤٣١هـ
Kamal.Ehab@yahoo.com





هذا محمد ﷺ .. فمن أنتم؟

إن النبي محمدًا ﷺ هو سيد الأنام وأكرم رسل الله الكرام فهو الأرفع مكانة والأعلى درجة والأسمى رتبة بما شرفه الله به من فضائل وخصال، ومكارم وخلال، لم تجتمع لغيره، ولن تكون لأحد دونه.


هذا محمد
صلى الله عليه وسلم
رحمة للعالمين وخاتم النبيين

هذا محمد ﷺ.. فمن أنتم؟

إن النبي محمدًا ﷺ هو الرسول الذي أرسله الله تعالى ليغير مجرى التاريخ؛ وليعيد البشرية إلى رشدها، بعد أن كانت غارقة في وثنيات فاجرة، وعادات جاهلية ظالمة، وانحرافات خُلُقية مقيتة، وعبودية مذلة للشيطان وجنده.

فجاء محمد ﷺ على حين فترة من الرسل وانطماس من السبل، ليخرج الناس من الظلمات إلى النور، ويهديهم إلى الصراط المستقيم، ويبصّرهم من بعد عمًى وضلال؛ ليخرجهم من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام.

قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴾ [التوبة:٣٣].

وما بعث الله محمدًا ﷺ إلا لرحمة الناس وإنقاذهم من الهلاك، وتمهيد سبيل السعادة لهم، ودعوتهم للحياة الحقيقية في ظل توحيد الله ونبذ كل عبودية لغيره، فدعوته ﷺ سبب الرحمة للبشرية جمعاء.

قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾[الأنبياء:١٠٧].

وقال رسول الله ﷺ: **«أنا محمد وأحمد والمقفي والحاشر ونبي التوبة ونبي الرحمة»**[(١)].

ودعوة النبي محمد ﷺ هي حياة القلوب والأبدان، وهي سبب السعادة في

---

(١) مسلم (٤٣٤٤).

الحياة الدنيا للإنس والجان، وسبب النعيم الأبدي والرضا السرمدي حيث الحياة الحقة في الجنان.

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾[الأنفال:٢٤].

وقد كان نبي الرحمة محمد ﷺ شديدَ الحرص على الناس، باذلاً نفسه في سبيل هدايتهم، حاملاً لهم في قلبه تمام الرحمة وكامل الرأفة.

قال تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾[التوبة:١٢٨].

حتى إنه ﷺ من شدة رحمته ورأفته بالناس كاد يموت أسفًا وحزنًا وشفقة على أعدائه من الكفار لعدم إيمانهم بهذه الرسالة، حتى قال الله تعالى له: ﴿ فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُواْ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفًا ﴾ [الكهف:٦].

وما بعث الله محمدًا ﷺ إلا ليكمل دعوة الأنبياء والمرسلين إلى مكارم الأخلاق، فجاء داعيًا لكل خلق حميد صالح، ناهيًا عن كل الخصال الفاسدة والأخلاق الذميمة، فقد جاء في الحديث الشريف عن النبي ﷺ أنه قال: «**إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق**»(١).

وكما جمع محمد ﷺ كل خصال الكمال في دعوته، فقد جمعها أيضًا في أقواله وأفعاله، فبلغ درجة من الكمال الخلقي لم يبلغها إنسان قبله ولن يبلغها إنسان

---

(١) أخرجه أحمد (٨٥٩٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وسنده صحيح، قال الهيثمي في المجمع: رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح، وصحح العجلوني سنده في كشف الخفا، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢٣٤٩).

بعده، وكفاه في ذلك تزكية رب العالمين له بقوله: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾[القلم:٤].

ولذلك لم يكن عجيبًا أن يجعل الله التأسّي بمحمد ﷺ عبادة يتقرب بها إلى الله وينال بها رضوانه، وأن يجعل الاقتداء به سبيلاً للجنة، وطريقًا للنجاة يوم القيامة.

قال الله تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾[الأحزاب:٢١].

بل جعل الله اتباع محمد ﷺ علامة على حب الله، وأمارة على صدق هذه المحبة، وسببًا لمحبة الله للعباد ومغفرته ذنوبهم، فقال الله تعالى: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[آل عمران:٣١].

إن الله قد اختار محمدًا ﷺ ليكون النبي الخاتم الذي لا نبي بعده، فلا سبيل للنجاة إلا بالإيمان به واتباع هديه، فكل السبل مغلقة إلا سبيله، وكل الأبواب مُوصدة إلا بابه.

قال الله تعالى: ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴾[الأحزاب:٤٠].

واختار الله محمدًا ﷺ ليوحي إليه أعظم الكتب السماوية وهو القرآن العظيم الذي جاء مهيمنًا على كل الكتب السماوية قبله.

قال الله تعالى: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ ﴾ [المائدة:٤٨].

كما اختار الله محمدًا ﷺ ليحمل أشرف رسالة، وأكمل شريعة، وأعظم دين وهو دين الإسلام، النعمة التامة الكاملة التي منّ الله بها على الخلق كافة.

قال الله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾[المائدة:٣].

واختص الله محمدًا ﷺ بخير الأصحاب وأفضل الأتباع الذين كانوا خير دليل على حسن تعليمه، وبينة عملية على كمال تربيته، وشاهدًا تاريخيًا على أثره العظيم في تحويل جيل كامل من جاهلية جهلاء ومعيشة ظلماء وعقائد عوجاء وارتكاسات حمقاء، إلى عقيدة التوحيد والنقاء وشريعة العفة والصفاء، إلى كمال بشري وسمو أخلاقي قد بلغ عَنان السماء.

قال الله تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمَثَلُهُمْ فِي ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا﴾ [الفتح: ٢٩].

واصطفى الله أمة محمد ﷺ ليكونوا شهداء على الناس، ثم اصطفاه الله تعالى ليكون شاهدًا على هذه الأمة.

قال الله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾[البقرة: ١٤٣].

وقال ﷻ: ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴾[النساء: ٤١].

واصطفى الله أمة محمد ﷺ كذلك ليكونوا خير أمة أخرجت للناس بتنفيذهم للتعاليم التي جاء بها نبي الرحمة ﷺ من أمر بالمعروف ونهي عن المنكر.

قال الله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠].

واصطفى الله محمدًا ﷺ ليكون أول من تنشق عنه الأرض يوم القيامة، وليكون أول شافع وأول مشفع، فقد صحّ عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**أنا سيد ولد آدم ولا فخر، وأنا أول من تنشق الأرض عنه يوم القيامة ولا فخر، وأنا أول شافع وأول مشفع ولا فخر، ولواء الحمد بيدي يوم القيامة ولا فخر**»[1].

بل إن باب الجنة لن يُفتح إلا لمحمد ﷺ، وهو أول من سيقرع باب الجنة، قال رسول الله ﷺ: «**آتي باب الجنة فأستفتح، فيقول الخازن، من أنت؟ فأقول محمد، فيقول: بك أمرت أن لا أفتح لأحد قبلك**»[2].

وقال عليه الصلاة والسلام: «**أنا أول من يقرع باب الجنة**»[3].

بل إن الله اصطفى أمة محمد ﷺ لتكون أول أمة تدخل الجنة، كما قال

---

(١) الترمذي (٣٥٤٨)، ابن ماجه (٤٢٩٨) وصححه الألباني في الصحيحة (١٥٧١).

(٢) مسلم (٢٩٢).

(٣) مسلم (٢٩٠).



عليه الصلاة والسلام: «**نحن الآخرون الأولون يوم القيامة، نحن أول الناس دخولاً الجنة**»[(١)].

إن النبي محمدًا ﷺ هو سيد الأنام وأكرم رسل الله الكرام فهو الأرفع مكانة والأعلى درجة والأسمى رتبة بما شرفه الله به من فضائل وخصال، ومكارم وخلال، لم تجتمع لغيره، ولن تكون لأحد دونه.

إنه سحاب لا يضره نباح المرجفين، وقمة لا تنالها سهام المشككين، وطود شامخ لا تهزه افتراءات الكافرين وأكاذيب أعداء الدين.

فيا معشر المسلمين.. ارفعوا رؤوسكم فأنتم أتباع الحبيب محمد ﷺ، واسجدوا لله شكرًا فأنتم إخوان الحبيب محمد ﷺ، وأبشروا يا من تحبون محمدًا ﷺ بصحبته في جنات النعيم على سرر متقابلين.

ويا من ضللتم الطريق وأخطأتم السبيل فلم تؤمنوا بعد بالنبي محمد ﷺ أمامكم الفرصة سانحة للانضمام لأمته واتباع هديه والاستضاءة بنوره؛ فاعتنموها قبل أن يدرككم الموت وتعضون أصابع الندم على تفريطكم.

أما أتباع الشياطين، أولئك الذين يرفعون عقيرتهم راغبين في انتقاص خير البرية وخاتم المرسلين، متطاولين على سيدهم وسيد خلق الله أجمعين، فأقول لهم:

هذا محمد...فمن أنتم؟

---

(١) البخاري(٢٣١)، ومسلم(١٤١٣).





الحياة والسيرة

مات نبي الرحمة محمد ﷺ وبقيت تعاليمه حية نابضة في قلوب جميع المؤمنين، واستمرت دعوته في انتشارها وشموخها، وظل نور الوحي الذي جاء به محفوظًا وسيبقى كذلك حتى يرث الله الأرض ومن عليها.


هذا محمد
صلى الله عليه وسلم
رحمة للعالمين وخاتم النبيين

الحياة والسيرة

المولد:

في صبيحة يوم الاثنين التاسع من ربيع الأول، لأول عام من حادثة الفيل، الموافق للعشرين من أبريل من سنة ٥٧١م [1] وُلِد نبي الرحمة والرسول الكريم وخاتم النبيين وأشرف المرسلين وأكرم الخلق: **محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي ابن غالب بن فهر.**

وذكرت بعض الروايات أن أمه آمنة بنت وهب لم تجد في حملها ما تجده النساء عادة من ألم وضعف؛ بل كان حملاً سهلاً يسيرًا مباركًا، كما روي أنها سمعت هاتفًا يهتف بها قائلاً:

«إنك قد حملت بسيد هذه الأمة، فإذا وقع على الأرض فقولي: إني أعيذه بالواحد من شر كل حاسد، وسَمِّيه محمدًا» [2].

ولما وضعته أمه خرج معه نور أضاء ما بين المشرق والمغرب، حتى أضاءت منه قصور بُصرى بأرض الشام وهو المولود بمكة [3].

البيئة والنشأة:

وكانت الجزيرة العربية في ذلك الوقت قد انتشرت فيها عبادة الأصنام والأوثان، والإيمان بالخرافات والجهالات، كما انتشرت الأخلاق الوضيعة

---

(١) الرحيق المختوم للمباركفوري ص٧١.

(٢) السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة لمحمد أبي شهبة (١٧٣/١).

(٣) السيرة النبوية الصحيحة لأكرم ضياء العمري (١٠١/١).

والعادات السيئة والتقاليد القبيحة مثل: الزنى، وشرب الخمر، والتجرؤ على القتل وسفك الدماء، وقتل الأبناء ووأد البنات -أي دفنهن حيّات- خوفًا من الفقر أو العار.

كما كان يسود التعصب القبلي الشديد الذي يدفع صاحبه إلى مناصرة أهل قبيلته بالحق أو الباطل، والتفاخر بالأحساب والأنساب، والحرص على الشرف والمكانة والسمعة الذي كان كثيرًا ما يفضي إلى حروب ومعارك بين القبائل تستمر سنوات طويلات، وتسفك فيها الدماء رخيصة، على الرغم من تفاهة الأسباب التي اشتعلت بسببها تلك الحروب.

ورغم نشأة النبي الكريم محمد ﷺ في هذه الأجواء الجاهلية إلا أنه منذ صغره لم يتلوّث بأيٍّ من هذه الوثنيات والعادات المنحرفة، ولم ينخرط مع أهل قبيلته في غيّهم وظلمهم، بل حفظه الله من الوقوع في أيٍّ من ذلك منذ نعومة أظفاره.

وينتسب النبي الكريم محمد ﷺ إلى أسرة عريقة ذات نسب عظيم عند العرب، فقد كان أجداده من أشراف العرب وأحسنهم سيرة.

وقد وُلد ﷺ يتيمًا فقيرًا، فقد توفي والده عبد الله أثناء حمل أمّه آمنة بنت وهب فيه.

وكان من عادة العرب أن يدفعوا أولادهم عند ولادتهم إلى مرضعات يعشن في البادية؛ لكي يبعدوهم عن الأمراض المنتشرة في الحواضر، ولتقوى أجسادهم، وليتقنوا لغة العرب الفصيحة في مهدهم[1].

---

(١) الرحيق المختوم للمباركفوري ص٧٢.

ولذلك دفعت آمنة بنت وهب وليدها محمد ﷺ إلى مرضعة من بني سعد تسمى حليمة.

وقد رأت حليمة العجائب من بركة هذا الطفل المبارك محمد ﷺ حيث زاد اللبن في صدرها، وزاد الكلأ في مراعي أغنامها، وزادت الأغنام سمنًا ولحمًا ولبنًا، وتبدلت حياة حليمة من جفاف وفقر ومشقة ومعاناة إلى خير وفير وبركة عجيبة، فعلمت أن محمدًا ﷺ ليس مثل كل الأطفال، بل هو طفل مبارك، واستيقنت أنه شخص سيكون له شأن كبير، فكانت حريصة كل الحرص عليه وعلى وجوده معها، وكانت شديدة المحبّة له[١].

وعندما بلغ النبي الكريم محمد ﷺ ست سنوات توفيت أمه، فعاش في رعاية جدِّه عبد المطلب الذي أعطاه رعاية كبيرة، وكان يردّد كثيرًا أن هذا الغلام سيكون له شأن عظيم، ثم توفي عبد المطلب عندما بلغ النبي ﷺ ثماني سنوات، وعهد بكفالته إلى عمه أبي طالب الذي قام بحق ابن أخيه خير قيام.

العناية الإلهية قبل البعثة:

وفي صغره كان النبي الكريم محمد ﷺ يعمل في رعي الأغنام[٢]، ثم اتجه للعمل في التجارة حين شبّ، وأبدى مهارة كبيرة في العمل التجاري، وعُرِف عنه الصدق والأمانة وكرم الأخلاق وحسن السيرة والعقل الراجح والحكمة البالغة.

وكان نبي الرحمة محمد ﷺ ينأى بنفسه عن كل خصال الجاهلية القبيحة،

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام (١٦٢/١).

(٢) صحيح البخاري حديث (٢٢٦٢).

فكان لا يشرب الخمر، ولا يأكل من الذبائح التي تذبح للأصنام، ولم يكن يحضر أي عيد أو احتفال يقام للأوثان، بل كان معروفًا عنه كراهيته الشديدة لعبادة الأصنام وتعظيمها، حتى أنه كان لا يحب مجرد سماع الحلف باللات والعزى وهما صنمان مشهوران كان العرب يعظمونهما ويعبدونهما ويكثرون الحلف بهما[1].

ولم يكن نبي الرحمة محمد ﷺ يشارك شباب قريش في حفلات السمر واللهو، ومجالس الغناء والعزف والخمر، وكان يستنكر الزنى واللهو مع النساء[2].

وكان الرسول العظيم محمد ﷺ يمتاز في قومه بالأخلاق الصالحة، حتى أنه كان أعظمهم مروءة، وأحسنهم خلقًا، وأكثرهم حلمًا.

فاشتهر عنه مساعدة المحتاجين، وإعانة المبتلين، وإكرام الضيوف، والإحسان إلى الجيران، والوفاء بالعهد، وعفة اللسان، وكان قمة في الأمانة والصدق حتى عُرف بين قومه بـ «الصادق الأمين» [3].

إرهاصات النبوة:

وعندما اقترب الرسول الكريم محمد ﷺ من الأربعين سنة حُبِّب إليه الخلاء، فكان يأخذ التمر والماء ويذهب إلى غار حراء الذي يبعد عن مكة بمقدار ميلين تقريبًا، وهناك كان يقضي وقته في عبادة الله والتفكير في مظاهر

---

(١) سيرة ابن هشام (١/١٢٨).

(٢) تاريخ الأمم والملوك للطبري (٢/٢٧٩).

(٣) الرحيق المختوم للمباركفوري ص٨١.

قدرته العظيمة في الكون، مبتعدًا عن شواغل الدنيا، مرتقيًا بنفسه عمّا تتعلق به قلوب أهل الأرض من متاع دنيوي زائل.

وبدأت طلائع النبوة وإرهاصاتها في الظهور، ومن ذلك: أن حجرًا في مكة كان ينطق ويتكلم ليسلم عليه[1].

ومن ذلك أيضًا الرؤيا الصادقة في منامه، حيث كان لا يرى أي رؤيا إلا وقعت كما رآها تمامًا واضحة مثل فلق الصبح[2].

نزول الوحي:

وبعد بلوغ الرسول الكريم محمد ﷺ الأربعين من عمره، نزل عليه الوحي في شهر رمضان، حيث جاءه الملك العظيم جبريل في غار حراء وقال له: «اقرأ»، فكانت هذه الكلمة هي أول كلمات الوحي الذي أنزل على النبي ﷺ الذي كان - مثل غالب قومه حينئذٍ- أمّيًا لا يحسن الكتابة أو القراءة من كتاب؛ ولذلك قال للملك: ما أنا بقارئ.

ثم ضمّ الملك جبريل الرسول محمد ﷺ حتى يؤكّد له أن ما يراه ليس مجرد تخيلات أو توهمات، وحتى تطمئن نفسه وتتهيأ لاستقبال الوحي.

ثم قال الملك جبريل: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ﴾ [العلق:١-٣] وهذا أول ما أُنزل من القرآن الكريم.

والمقصود بقوله تعالى:﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ...﴾ الآيات: أي إنك لن تستطيع أن تقرأه

(١) صحيح مسلم (٤٢٢٢).

(٢) البخاري (٣) صحيح مسلم (٢٣١) وفلق الصبح هو ضياؤه ونوره.

بقوتك ومعرفتك يا محمد، لكنك ستقرأ هذا القرآن بحول الله وقوته وإعانته لك، فهو يعلمك كما خلقك، وكما نزع عنك علق الدم وغمز الشيطان في الصغر، وعلّم أمتك حتى صارت تكتب بالقلم بعد أن كانت أمة أمية لا تكتب[(١)].

ثم انقطع الوحي لفترة قصيرة حتى يذهب ما كان في نفس النبي محمد ﷺ من الروع، وليحدث له التشوّف والتشوق إلى مجيء الوحي مرة أخرى[(٢)].

وعاد جبريل ليظهر للنبي محمد ﷺ جالسًا على كرسي عظيم بين السماء والأرض ولينزل قول الله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ﴾ [المدثر: ١-٥] ثم كثر نزول الوحي وازداد بعدها في تتابع واستمرار[(٣)].

ومعنى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ﴾ أي يا من تغطّيت واستغشيت بثيابك، وكان النبي محمد ﷺ قد تغطى بثيابه حين رأى الملك جبريل من شدة خوفه وفزعه.

﴿قُمْ فَأَنذِرْ﴾ أي قم فحذّر وخوّف المشركين من العذاب الذي ينتظرهم إن ظلوا على شركهم وعبادتهم للأوثان.

﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾ أي اختص ربك ومولاك بالتكبير والوصف بالعظمة والكبرياء أن يكون له شريك.

---

(١) فتح الباري (٤/١)، والروض الأنف (٤٠٠/١).

(٢) فتح الباري (٤/١).

(٣) البخاري (٤٥٤٥) صحيح مسلم (٢٣١)

﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾ أي طهّر نفسك باطنًا من الذنوب والمعاصي وأعمال الشرّ، وظاهرًا بتطهير الثياب من القاذورات والنجاسات، وهذا الخطاب موجّه لكل مؤمن.

﴿وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾: هذه دعوة لمحاربة الشرك والوثنية لأنها سبب العذاب والذل في الدنيا والآخرة.

فاشتملت هذه الآيات على تكليف النبي محمد ﷺ بتطبيق أوامر الله على نفسه أولاً ثم دعوة الناس إليها، فأُمِر في الآيات بترك المعاصي والذنوب وتطهير نفسه ظاهرًا وباطنًا، كما اشتلمت الآيات على أمره بإنذار الناس من عاقبة الشرك وعبادة الأوثان، ودعوتهم لعبادة الله وحده لا شريك له.

الدعوة والتبليغ:

وكان نتاجًا طبيعيًا أن تبدأ مرحلة الدعوة إلى التوحيد بعد ذلك، فالتوحيد هو أساس الدعوة الإسلامية وجوهرها.

وقد أخذت الدعوة في الثلاث سنوات الأولى طابع السرية حفاظًا عليها، ووجهت الدعوة في هذه المرحلة إلى المقربين والمأمونين الموثوقين، ولم يحدث خلال هذه المرحلة أي صدام مع المجتمع الجاهلي، ولم تدخل الثلة المؤمنة بالنبي محمد ﷺ في صراع أومواجهة مباشرة مع أعدائها من الكفار[1].

ثم ما لبثت الدعوة السرّية أن انقضت بنزول آية: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤] فدخلت الدعوة طورها الثاني وهو الجهر بالدعوة

---

(١)انظر: المنهج الحركي للسيرة النبوية، منير الغضبان، (١ / ٣).

باللسان فقط دون قتال، واستمرت هذه الفترة عشر سنوات حيث امتدّت إلى الهجرة المباركة إلى المدينة.

وقد بدأت بدعوة الأقربين من عشيرة رسول الله ﷺ من بني هاشم وبني عبد المطلب، ثم توجه الخطاب إلى المشركين قاطبة بقوله ﷻ: ﴿ فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ [الحجر: ٩٤] (١).

صراع مع المشركين:

ومنذ بداية هذه المرحلة بدأ الصراع والصدام بين أهل الحق من المؤمنين، والمجتمع الجاهلي، حيث جهر النبي ﷺ وأعلن ضلالة المشركين وسفاهة عباد الأصنام، ودعاهم إلى ترك آلهتهم المزعومة، والدخول في عبادة الله الخالق وحده، ودعاهم إلى ترك عاداتهم المذمومة وأخلاقهم القبيحة، والتحلي بمكارم الأخلاق وفضائل الخصال.

لكن المشركين أبوا الاستماع إلى صوت الحق، والانقياد إلى دعوة الفطرة وتلبية نداء العقل، وأصرّوا على التشبّث بالخرافات وعبادة الأحجار والأشجار، ومعاقرة سوء الأخلاق وخبائث الخصال.

وأعلن المشركون حربًا صريحة على التوحيد وأهله، وصبّوا عليهم ألوانًا من الأذى والضرر من سبّ وشتم وتعذيب وتنكيل وإضرار بالمال والبدن والأهل والولد حتى وصل الأمر إلى قتل بعض المؤمنين والمؤمنات.

فقد وصموا النبي ﷺ بالتهم والأكاذيب الباطلة، فقالوا: إنه مجنون أو ساحر، كما

---

(١) السيرة النبوية الصحيحة للعمري (١ / ١٣٢ – ١٤٦)، الرحيق المختوم، المباركفوري، ص ٩٣ – ١٠٠.

جاء في قوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا۟ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ﴾ [الحجر: ٦].

وقوله تعالى: ﴿ وَعَجِبُوٓا۟ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ ۖ وَقَالَ ٱلْكَـٰفِرُونَ هَـٰذَا سَـٰحِرٌ كَذَّابٌ ﴾ [ص: ٤].

كما أكثروا من السخرية والاستهزاء به والطعن فيه، وأثاروا حوله الشبهات الباطلة، والافتراءات الكاذبة، وسعوا في الحيلولة بين الناس وبين الدعوة وسماع القرآن بكل السبل، ولم يتورّعوا عن الإيذاء البدني ثم التآمر على قتله ﷺ [١].

فكان أحدهم يلقي عليه رحم الشاة وهو يصلي، والآخر يضع القذر في الإناء الذي فيه طعامه، وآخرون يلقون بالقاذورات على باب بيته، فكان نبي الرحمة ﷺ لا يزيد على أن يقول لهم: «**يا بني عبد مناف أي جوار هذا؟**» [٢].

ورمى أحدهم بسلى الإبل [٣] بين كتفيه وهو ساجد ﷺ يصلي لربه سبحانه، ليُضحك الكافرين عليه ويثير استهزاءهم به.

وجاء أحدهم إلى النبي ﷺ وهو يصلي فوضع رداءه في عنقه فخنقه به خنقًا شديدًا فجاء أبو بكر حتى دفعه عنه فقال: «أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم» [٤].

وأغرى الكفار سفهاء الطائف ليقذفوا نبي الرحمة ﷺ بالحجارة وبالسباب وكلمات السفه، وأخذوا يطاردونه بالحجارة حتى أدموا قدميه وأخرجوه من

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام (١ / ٣٥٩ – ٣٦٧).

(٢) السيرة النبوية لابن هشام (١ / ٤١٦).

(٣) السلى هو غشاء يحيط بالجنين.

(٤) البخاري (٣٤٠٢).

الطائف حزينًا مهمومًا، حيث ذهب إليهم داعيًا مرشدًا طامعًا في هدايتهم وإنقاذهم مما هم فيه من الشرك والكفر، فلم يجبه أحد إلى ما أراد، قال نبي الرحمة ﷺ: «فانطلقت وأنا مهموم على وجهي فلم أستفق إلا وأنا بقرن الثعالب (وهو مكان على بعد مرحلتين من مكة) فرفعت رأسي فإذا أنا بسحابة قد أظلتني فنظرت، فإذا فيها جبريل فناداني فقال: إن الله قد سمع قول قومك لك وما ردّوا عليك، وقد بعث إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت، فيهم، فناداني ملك الجبال فسلم عليّ ثم قال: يا محمد، ذلك فيما شئت إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين (وهما جبلان بمكة)، فقال النبي ﷺ: **بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئًا**»[(١)].

وجرّ كفار مكة على أتباعه ﷺ لا سيما المستضعفين منهم من العذابات والويلات ما تقشعرّ منه الجلود وتنفطر منه القلوب، وساموهم من أصناف التنكيل والقهر والاضطهاد ما تتزلزل النفوس من الاستماع إلى مثله.

فهذا الصحابي مصعب بن عمير تمنعه أمه من الطعام والشراب وتطرده من بيته حتى تخشّف جلده -أي يبس- تخشّف الحية[(٢)].

وهذا الصحابي عثمان بن عفان يلفه عمّه في حصير من ورق النخيل ثم يدخنه من تحته[(٣)].

---

(١) البخاري (٢٩٩٢)، ومسلم (٣٣٥٢).

(٢) أسد الغابة، لابن الأثير (٤ / ٤٠٦).

(٣) رحمة للعالمين، المنصور فوري (١ / ٥٧).

وذاك الصحابي صُهيب الرومي يُعذَّب حتى يفقد وعيه ولا يدري ما يقول[١].

وذلك الصحابي بلال يوضع الحبل في عنقه ويسلم للصبيان يجرونه حتى يؤثر الحبل في عنقه، ويُخرج إلى الصحراء في الرمضاء حين تشتد حرارة الظهيرة في بطحاء مكة فيطرح على ظهره ويلقى على صدره الصخرة العظيمة[٢].

وذلكم الصحابي ياسر يصنع به مثل بلال ويعذّب حتى يموت وكذلك تُقتل زوجه سمية بطعنة غادرة في قبلها[٣].

وخبّاب بن الأرت تأتي مولاته بحديدة محماة فتجعلها على ظهره أو رأسه، ويلقيه المشركون على النار ويسحبونه عليها فلا يطفئها إلا ودك ظهره[٤].

وكان الكفار يحاولون إجبار هؤلاء المستضعفين على سبّ الله ورسوله ﷺ والمجاهرة بالكفر والردة، والإقرار بإلهية الأحجار والأشجار والجعلان.

فمارسوا فوق التعذيب الجسدي الوحشي تعذيبًا نفسيًا معنويًا أرادوا به إذلال المؤمنين وقهرهم والفتّ في عضدهم.

كما ضربوا على المؤمنين حصارًا اقتصاديًا واجتماعيًا، وتعاهدوا ألا يخالطوهم ولا يتزوجوا منهم، ولا يدخلوا بيوتهم، ولا يبايعوهم، وحرصوا على منعهم من كل طعامٍ وزاد يدخل إلى مكة حتى ألجأوا المؤمنين إلى أكل أوراق الشجر ورخويّات الأرض والجلود وما تعافه النفوس، ولم تؤثر فيهم أصوات النساء والصبيان وهم يصرخون ويبكون من شدة الجوع وقد أخذ الجهد منهم مأخذه.

---

(١) الإصابة في تمييز الصحابة، لابن حجر العسقلاني، (٣ / ٢٥٥).

(٢) السيرة النبوية لابن هشام (١ / ٣٢٦)

(٣) سيرة ابن هشام (١ / ٣٢٨)

(٤) أسد الغابة (١ / ٥٩٢) والودك هو دسم اللحم.



واستمر ذاك الحصار ثلاث سنوات كاملة عانى فيه الموحدون ويلات الجوع وعذابات الحرمان، حتى نقضت الصحيفة وفك الحصار[1].

ورغم ذلك استمر الرسول ﷺ في الدعوة في مكة وخارجها، وفى داخل مكة وجّه دعوته إلى أهل مكة، وإلى الحجيج والوفود التي كانت ترد إلى مكة.

وكان نبي الرحمة ﷺ في مقابل ما يفعله زبانية المشركين من التعذيب والتنكيل يدعو أصحابه إلى الصبر والثبات، ويؤكّد لهم أنهم على الحق المبين، وأن موعدهم الجنة، ويذكرهم بحقيقة الانتصار، وأن الحياة الحقيقية هي عيش الآخرة.

ثم أذن الله للمسلمين في هجرة إلى الحبشة حيث يجدون ملكًا عادلاً لن يظلموا عنده، وحاول المشركون أن يلاحقوهم هناك وأن ينالوا منهم ولكن الله أفشل حيلهم وردّ كيدهم.

كما شهدت هذه المرحلة الكثير من العروض على الرسول ﷺ والإغراءات والمساومات على الحق الذي يدعو إليه، ولكن الرسول ﷺ قابل كل ذلك بالرفض التام لأي تنازل عن شيء مما يدعو إليه.

الهجرة إلى المدينة:

ثم بدأت الهجرة إلى يثرب جماعات وفرادى بعد بيعتين مع أهلها، وخلّف المهاجرون وراءهم بيوتهم وديارهم وأهليهم وأموالهم وممتلكاتهم، فرارًا بدينهم ورغبة في إقامة شعائره بمنأى عن الاضطهاد الذي بلغ مداه، وبمأمن على النفس والمال والأهل.

---

(١) سيرة ابن هشام (١ / ٣٥٧ – ٣٥٩).

وبعد مؤامرة فاشلة من الكفار على قتله هاجر رسول الله ﷺ بصحبة الصدّيق أبي بكر رضي الله عنه.

وسعى المشركون في ملاحقتهما ورصدوا الجوائز لمن يأتي بهما أو يدلّ عليهما أو يساعد في الوصول إليهما، ولكن الله نصرهما وأنجاهما حتى وصلا إلى يثرب بأمان.

وترك رسول الله ﷺ ابن عمه علي بن أبي طالب في فراشه ليردّ للكفار أماناتهم وأموالهم التي تركوها لديه.

ومع بلوغه يثرب -التي صارت المدينة النبوية- وضع رسول الله ﷺ السطر الأخير في هذه المرحلة المكية المفعمة بالأحداث والدروس والعبر والعظات، مرحلة امتدت ثلاثة عشر عامًا هي الجزء الأعظم من عمر الدعوة الإسلامية لم يسمع فيها من المسلمين صليل سيف أو صرير نصل على صفحة قد احتوشت سطورًا من عذابات وجراحات واعتداءات[1].

تكوين الدولة:

وبمجرد وصول النبي الكريم محمد ﷺ إلى المدينة بدأت مرحلة جديدة في الدعوة، حيث عمل رسول الله ﷺ على تكوين دولة يحكمها شرع الله وتكون المرجعية فيها إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وتنطلق من القواعد الخُلقية الإسلامية والآداب الشرعية المنبثقة من نور الوحي والرسالة.

---

(١) انظر: أخلاق الحروب الإسلامية في سيرة خير البرية للمؤلف ص٣٨-٤٧.



وقد جعل النبي الكريم محمد ﷺ الأساس الذي تقوم عليه العلاقة بين أفراد هذا المجتمع الناشئ هو الأخوة والمحبة والود والمساواة والعدل، فلا تفاضل بين الناس على أساس النسب والحسب، أو الفقر والثراء، أو القوة والضعف، ولا تمييز بين أفراد المجتمع الواحد على أساس اللون أو الجنس، بل الناس كلهم سواسية لا يتفاضلون إلا بمقدار ما يتزوّدون من تقوى الله سبحانه.

قال رسول الله ﷺ: **«يا أيها الناس، إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد، ألا لافضل لعربي على عجمي، ولا عجمي على عربي، ولا لأحمر على أسود، ولا لأسود على أحمر إلا بالتقوى، إن أكرمكم عند الله أتقاكم»**[(١)].

وبذلك أرسى نبي الرحمة ﷺ قواعد العدالة بكل وجوهها الاجتماعية والسياسية والاقتصادية سابقًا في ذلك كل النظم والقوانين الأرضية الوضعية التي تحكم المجتمعات المدنية التي كانت تقبع حتى وقت قريب جدًا تحت وطأة التمييز العنصري الظالم الذي يضطهد فيه الإنسان أخاه لمجرد أنه ذو بشرة سوداء!

فعلى سبيل المثال إذا نظرنا إلى دولة كالولايات المتحدة الأمريكية التي تزعم أنها راعية الحضارة والمدنية والحرية نجد أنها كانت غارقة وما زالت في عنصرية مقيتة، فمنذ وطأت أقدام العبيد الأفارقة أرض أمريكا عام ١٦١٩م ظلوا يعانون من هذا الاضطهاد العنصري، ثم عانى أبناؤهم ونسلهم من هذه العنصرية أيضًا

---

(١) حلية الأولياء (١٠٠/٣) وقال ابن تيمية في اقتضاء الصراط المستقيم (٤١٢/١): إسناده صحيح، وقال الهيثمي في المجمع(٢٦٩/٣): إسناده صحيح، وقال الألباني في الصحيحة (٢٧٠٠): وهذا إسناد صحيح رجاله كلهم ثقات رجال مسلم.

رغم أنهم يمثلون الآن ما يقارب ١٣٪ من تعداد الأمريكيين؛ وما ارتكب أولئك السود من ذنب سوى أن الله خلقهم بلون آخر!

لقد كان الاضطهاد والفصل العنصري مقننًا في تشريعات وقوانين دستورية، كما تعددت مظاهره في الشوارع والمؤسسات المختلفة:

ففي السجون والمؤسسات الإصلاحية: كان يتم التفريق بين البيض والسود؛ حيث جاء في دستور ولاية ميسيسبي (الفصل العاشر، في الإصلاحيات والسجون، الفقرة ٢٢٥): «للمجلس التشريعي أن يهيئ الأسباب المؤدية إلى فصل المساجين البيض عن المساجين السود بقدر الطاقة والإمكان»، وهذا الفصل بين البيض والسود كان إلزاميًّا في السجون والمؤسسات الإصلاحية في إحدى عشرة ولاية من الولايات المتحدة.

وكانت كثير من الولايات الأمريكية تحرّم التزاوج بين البيض والسود، مثل: كاليفورنيا، وكولورادو، وإيداهو، وإنديانا، ونبراسكا، ونيفادا، وأوريغون، وأوته.

وكانت هنالك قوانين تقضي بالفصل بين المرضى البيض والمرضى السود في المستشفيات، وفي إحدى عشرة ولاية كان يُفصل ما بين المصابين بالأمراض العقلية على أساس اللون والعرق أيضًا.

وفي وسائل المواصلات كان القانون يفرض عزل ركاب القطارات البيض عن السود في أربع عشرة ولاية، أما في السيارات العامة والحافلات فكان العزل مفروضًا في إحدى عشرة ولاية.

وفي بعض المناطق تم إنشاء غرف تليفونية مستقلة للزنوج، وما كان يُسمح للعمال الزنوج والبيض بأن يقيموا على صعيد واحد في مصانع النسيج القطني،



ولا يجوز للزنوج أن يدخلوا أو يخرجوا من الأبواب عينها التي يدخل منها البيض ويخرجون، وكان يفرّق بينهم حتى في مبرِّدات المياه والأكواب، إلى درجة أن الرجل الأبيض يرضى أن يشرب كلبه من كوبه ولا يشرب منه رجل أسود!

وفي التعليم: جاء في دستور ولاية ميسيسبي: (الفصل الثامن: في التربية والتعليم، الفقرة ٢٠٧): «يُراعى في هذا الحقل أن يُفصل أطفال البيض عن أطفال الزنوج، فتكون لكل فريق مدارسه الخاصة».

وجاء في وثيقة «نداء إلى العالم» التي قدمتها «الجمعية الوطنية لترقية الشعب الملون» للأمم المتحدة عام ١٩٤٧م: «وفي عشرين ولاية من ولايات البلاد يُفصل ما بين الطلبة البيض والطلبة السود في المدارس فصلاً إلزاميًّا، أما ولاية فلوريدا فتقضي قوانينها بأن تخزن الكتب المدرسية الخاصة بالطلاب الزنوج بمعزل عن الكتب الخاصة بالطلاب البيض!».

ورغم إلغاء بعض هذه القوانين بعد ضغوط من منظمات حقوق الإنسان؛ إلا أن العنصرية ما زالت مترسّخة في النفوس وذات جذور عميقة، بدليل استمرار الممارسات العنصرية في الشارع الأمريكي بشكل واسع كما تذكر كثير من الإحصائيات والدراسات الحديثة، وليس هذا غريبًا على مجتمع تربى على أصول التفرقة العنصرية.

أما في مجتمع نبي الرحمة محمد ﷺ فقد ذابت هذه الفوارق، وألغيت تلك العنصريات الظالمة والعصبيات المقيتة، وصار جميع أفراد المجتمع إخوة متحابين، لا احتقار لأي إنسان بسبب لونه أو فقره أو ضعفه، فإن من أكبر الشرّ الكبر واحتقار الآخرين.

قال نبي الرحمة ﷺ: «**كونوا عباد الله إخوانًا، المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره.. بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم، كل المسلم على المسلم حرام، دمه وماله وعرضه**»(١).

وقال ﷺ: «**لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر**، قال رجل: إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنًا ونعله حسنة، قال ﷺ: **إن الله جميل يحب الجمال، الكبر بطر الحق وغمط الناس**»(٢).

ففي الصلاة مثلاً يقف الجميع في صفٍّ واحد الكتف بالكتف والقدم بالقدم، يركعون ويسجدون معًا، وفي الحج والعمرة يسعى الجميع معًا ويطوفون ويؤدون المناسك معًا، وفي الجهاد يقف الجميع في صفٍّ واحد لا فرق بين غني وفقير، أو أسود وأبيض، أو قوي وضعيف، فالكل سواسية.

في غزوة بدر كان مع المسلمين سبعون بعيرًا يتعاقبون على ركوبها، وكان رسول الله ﷺ وأبو لبابة وعليّ بن أبي طالب رضى الله عنهما يتعاقبون على بعير واحد، فأراد أبو لبابة وعلي أن يؤثروا الرسول بالركوب فقالا: نحن نمشي عنك، فقال: «**ما أنتما بأقوى مني، ولا أنا بأغنى عن الأجر منكما**»(٣).

وعلى هذه الأسس السامية تربى المسلمون وعاشوا تحت قيادة نبي الرحمة

---

(١) مسلم (٤٦٥٠).

(٢) مسلم (١٣١).

(٣) أخرجه أحمد (٣٧٠٦) وقال الهيثمي في المجمع (٧١/٦): فيه عاصم بن بهدلة وحديثه حسن وبقية رجاله رجال الصحيح، وصححه أحمد شاكر، وحسنه الألباني في مشكاة المصابيح (٣٨٣٨).

رسول الله محمد ﷺ؛ لينعم الجميع في ظل هذه القيادة المباركة بالأمن والعدل.

وانطلق نبي الرحمة محمد ﷺ في علاقته مع غير المسلمين من منطلق محبة الخير لهم والحرص على هدايتهم بكل طريق، والتزم في تعامله معهم بالإحسان والبر والقسط والعدل، والدعوة إلى الخير والحق بالحكمة والمعروف.

قال الله تعالى: ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾[الممتحنة: ٨].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ۖ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾[النحل: ١٢٥].

وحرّم الإسلام التعرض للآخرين بالظلم والاعتداء مهما اعتدى هؤلاء أو ظلموا، وحتى إن إن ارتكبوا ما يوجب الكراهية والبغضاء لهم، فإن هذا في الإسلام ليس مسوغًا لظلمهم وعدم إعطائهم حقّهم من العدل والإنصاف.

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا ۚ اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾[المائدة: ٨].

وعلى هذه الأخلاق والقيم والمبادئ السامية بنى الرسول محمد ﷺ الدولة الإسلامية الأولى التي شكّلت مثالاً فريدًا في كل شيء، في التعامل الأخوي الودود بين أفراد هذا المجتمع -والذي كان يعيش بين مجتمعات غارقة في

العنصرية والجاهلية- وفي التعامل المتسامح والعادل مع جميع المخالفين مع الحرص عليهم وحب الخير لهم والرغبة الصادقة في استنقاذهم من الضلال، ثم في الروح العجيبة التي دبّت في قلوب المؤمنين لتجعلهم يرتقون فوق ملذّات الدنيا لتتعلق قلوبهم بالآخرة، وليجنّدوا أنفسهم لحرب الفساد بكل أشكاله وأنواعه، والدعوة إلى كل خير ونفع للناس، فكانوا أشبه بالنار التي يلتهم لهيبها الفساد من جهة، ويضيء نورها السبيل لمن ضلوا الطريق من جهة أخرى، فهم الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والداعون إلى الله؛ ولذلك استحقوا أن يكونوا خير أمة أخرجت للناس كما وصفهم الله تبارك وتعالى.

قال الله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾[آل عمران: ١١٠].

استمرار الدعوة:

واستمر نبي الرحمة محمد ﷺ ينشر دعوته للتوحيد ومكارم الأخلاق التي تهفو لها الفطر السليمة والعقول الصحيحة، فأخذ عدد المؤمنين يزداد يومًا بعد يوم لدرجة أقلقت جيوش الكافرين المفسدين الذين قرروا شنّ حروب تستهدف استئصال المسلمين من جذورهم.

ودخل المسلمون جملة من المعارك والحروب تستهدف ردَّ اعتداءات الكافرين، وإسقاطَ سلطان الطواغيت المستبدِّين الذين يعيثون في الأرض فسادًا ويصدّون الناس عن الإيمان بالله وتوحيده ويستعبدون رعاياهم ويقهرونهم، وتستهدف تلك الحروب كذلك الدفاع عن المستضعفين من

الأقليات المسلمة التي تضطهد ويُحال بينها وبين الهجرة إلى بلاد المسلمين، وتعريف الناس بالإسلام وإعلاء كلمة الحق وإزالة الفتن والشرك من الأرض حتى يتبيّن الرشد من الغي، والحق من الباطل.

وكان المسلمون في غالب معاركهم أقل عددًا وعُدة وتسليحًا من خصومهم، لكن ما كان يبثه النبي محمد ﷺ في قلوب المسلمين من روح الوحي وقوة الإيمان بالحق واليقين بنصر الله والتعلق بالآخرة هي الأسلحة الرئيسة التي كانت ترجّح كفة المسلمين وتجعلهم مستحقين لنصر الله لهم.

لقد علّم نبي الرحمة محمد ﷺ أتباعه كيف يبذلون أرواحهم رخيصة في سبيل إنقاذ الآخرين من عبودية الأهواء والأموال والشهوات والسلطان، وكيف يرتقون فوق كل متاع دنيوي زائل ليقصدوا الآخرة ونعيمها الدائم، وكيف يسخِّرون حياتهم من أجل نشر نور الهداية بين الناس، وعلّمهم أن مصدر قوة دعوتهم هو الحق الذي يدعون إليه، وأن العزة كلها لله وأنه الذي يعزّ عباده الصالحين، وأنه الذي ينصر الذين ينصرون دين الله ويقاتلون لتكون كلمة الله هي العليا.

القدوة والأسوة:

وكان نبي الرحمة محمد ﷺ هو الأسوة والقدوة لأتباعه في كل شيء، فهو الداعية الذي بذل حياته كلها في سبيل نشر الحق الذي يحمله، وهو الزاهد في متاع الدنيا الراغب في الآخرة، وهو الحريص على الناس المشفق عليهم من العذاب، قد امتلأ قلبه رأفة ورحمة وحُبًا للمؤمنين.

قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا

عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨].

وهو المعلّم الصبور الشفيق والمربي الناصح الأمين الذي يتسع صدره للجميع، ويحرص على تعليم كل شخص من رعيته بالليل والنهار لا يصده في ذلك ملل ولا يوقفه إرهاق، ولا يصرفه كثرة الأخطاء أو تكررها، ولا يثنيه طول السنين عن مواصلة المسير.

فقد جاءت إلى رسول الله ﷺ امرأة بسيطة -ذكر أن في عقلها شيئًا [(١)]- ومعها صبي لها، فقالت: يا رسول الله إن لي إليك حاجة، فقال لها النبي الكريم ﷺ: **يا أم فلان اجلسي في أي طرق المدينة شئت حتى أجلس إليك**، فلما جلست جلس النبي ﷺ إليها وسعى في حاجتها ولم يتركها حتى قضى لها ما تريد[(٢)]، وهذا كان دأبه ﷺ وعادته مع جميع أفراد رعيته.

وكان ﷺ في المعارك القائد العظيم الحكيم صاحب الرأي والمكيدة، والبطل الشجاع المغوار الذي يحتمي به الجنود إذا اشتد القتال، والفارس الشريف الذي يثبت إذا انفضّت الجموع وانكشفت الصفوف، لم يعرف قلبه طعم الخوف إلا من ربِّه وخالقه، ولا تغريه كل كنوز الأرض إن وضعت تحت رجليه.

لقد كان نبي الرحمة محمد ﷺ أسوة في أقواله وأفعاله، فإذا أمر بخير كان أسرع الناس إلى تنفيذه، وإذا أبلغ شيئًا من الوحي كان أول من يلتزم به، فكان أشدّ الناس زهدًا وورعًا وعبادة تقوى، وأعظمهم شجاعة وشهامة ومروءة

---

(١) أبو داود (٤١٨٢).

(٢) البخاري (٣٥٠٢)، ومسلم (٤٢٩٣).

وكرمًا، وأكبرهم تضحية وبذلاً وفداء وأكثرهم صبرًا وحلمًا وعفوًا.

ولم يكن عجيبًا أن تصنع تلك الشخصية المتفرّدة ذاك الأثر الكبير في نفوس الصحابة، ليقدّموا نجاحات مبهرة على الصعيد الفردي والجماعي، وفي المجال الحضاري والسياسي والعسكري والاجتماعي.

جهاد في سبيل الله:

وفي ظلّ تلك القيادة الحكيمة لنبي الرحمة محمد ﷺ انتقل المسلمون من نجاح إلى نجاح، ومن انتصار إلى انتصار، يسطّرون منظومة من الكفاح البشري غاية في الرقي، ويكتبون ملحمة إنسانية لم يعرف لها التاريخ مثيلاً، يجمعون فيها بين الدعوة إلى الحق بالحكمة والموعظة الحسنة، والجدال والإقناع العقلي، والارتقاء النفسي والتأثير الوجداني، مع العمل على تطهير الأرض من الجبابرة الظالمين وإسقاط الأنظمة الجائرة الفاسدة بالجهاد والقوة والسلاح.

فقد دخل المسلمون سلسلة من المعارك مع كفّار قريش الوثنيين انتهت بصلح الحديبية الذي نقضه الكفار بغدرهم واعتدائهم على حلفاء المسلمين، فاتجه النبي ﷺ بجيشه إلى مكة فاتحًا ودخلها منتصرًا؛ ليطهّرها مما امتلأت به من أصنام وأوثان وأرجاس وشرك، وليعلي راية التوحيد والإيمان والحق.

وكان مشهدًا إنسانيًا عظيمًا أن يقف نبي الرحمة محمد ﷺ متمكنًا من الذين آذوه وعذبوا أصحابه وأقاموا ضده الحروب وألّبوا عليه القبائل، ليصدر عفوًا عنهم بغير شرط وهو القادر على الانتقام منهم وإنزال أشد العقوبات بهم، لكن هذا هو محمد ﷺ الرحمة للعالمين.

وكان لهذا العفو أثره في دخول أهل مكة في الإسلام ليخلعوا عن أنفسهم

عباءة الشرك والكفر، ويتحوّلوا إلى دعاة ومجاهدين في سبيل الله.

أما اليهود فقد صالحهم الرسول ﷺ وأقام معهم العهود وأخذ عليهم المواثيق، لكنهم كانوا كعادتهم خونة غادرين لا عهد لهم، فدارت عليهم رحى الحرب فطردت بعضهم من المدينة ثم من جزيرة العرب كلها، وقتلت البعض الآخر جزاء خيانة عظمى في حق المؤمنين.

كما دارت رحى الحرب على قبائل العرب التي تآمرت على المسلمين فذاقوا مرارة الهزيمة وعلموا أن الحق ظاهر لا يغلب، وأن نور الله لا تبدده دياجير ظلمة الكفر والشرك، فانشرحت قلوبهم للحق ودخلوا في دين الله أفواجًا.

أما القوى العظمى الطاغية في الأرض حينئذ كالفرس والروم وأتباعهم فلم يرهب المؤمنون لقاءهم، وأظهروا بطولات عظيمة في قتالهم، قبل أن يكتب الله زوال هذه الأمم وانكسارها على يد المسلمين بعد ذلك؛ لتدخل تلك الشعوب إلى الإسلام محبة مختارة بعد أن زالت الأنظمة الجائرة المستبدة التي كانت تستعبدها وتصدّها عن اتباع الحق.

الرسل والوفود:

وأرسل نبي الرحمة محمد ﷺ الدعاة إلى الإسلام إلى مناطق مختلفة، كما بعث الرسل والبعوث إلى الملوك والأمراء والزعماء والرؤساء يعرّفونهم بالإسلام ويدعونهم للإيمان بالله وتوحيده، وترك الكفر والشرك والظلم، ويرغّبونهم في الثواب والأجر المضاعف الذي سينالونه إذا تركوا شعوبهم تدخل في الإسلام، فأجابه إلى ذلك الكثيرون، ولم يجبه البعض الآخر.

وجاءت الوفود والأفواج إلى النبي ﷺ من كل حدب وصوب لتعلن إسلامها لله ودخولها طواعية في دين الله تعالى.

وهكذا استمرت مسيرة الدعوة والجهاد في صمود وثبات وتؤدة منذ وطئت قدم النبي ﷺ المدينة، لتحصد في كل يوم نجاحات باهرة، وتكسب في كل ساعة مهتديًا جديدًا يتحول إلى داعية ومجاهد، وأخذت دائرة الدولة الإسلامية تتسع وتكبر حتى شملت جزيرة العرب قاطبة في عشر سنوات فقط.

مراسم الوداع:

وأكمل نبي الرحمة محمد ﷺ دعوته وأتمّ رسالته، وبلّغ خير البلاغ، ونصح أفضل النصح وترك للمسلمين كتابًا محفوظًا لن يضلوا ما تمسكوا به، ثم قام في حجة الوداع قائلاً لأصحابه: «**تركت فيكم ما لن تضلّوا بعده إن اعتصمتم به: كتاب الله، وأنتم تسألون عني، فما أنتم قائلون؟** قالوا: نشهد أنك قد بلّغت وأدّيت ونصحت، فقال بإصبعه السبابة، يرفعها إلى السماء وينكتها إلى الناس: **اللّٰهُمَّ اشهد، اللّٰهُمَّ اشهد ثلاث مرات**»[١].

وبدأ النبي ﷺ في مراسم توديع الحياة الدنيا فاعتكف في رمضان من السنة العاشرة عشرين يومًا، وكانت عادته أن يعتكف عشرة أيام فقط، كما دارسه جبريل عليه السلام القرآن مرتين وكانت العادة أن يدارسه القرآن مرة واحدة.

قال رسول الله ﷺ: «**إن جبريل كان يعارضني القرآن كل سنة مرة، وإنه**

---

(١) مسلم (٢١٣٧).

عارضني العام مرتين ولا أراه إلا حضر أجلي»[(١)].

وقال للصحابة في حجة الوداع: «**لتأخذوا مناسككم فإني لا أدري لعلي لا أحج بعد حجتي هذه**»[(٢)].

وخرج رسول الله ﷺ إلى أُحُد فَصَلّى على الشهداء، وخرج إلى مدافن البقيع فاستغفر لمن فيها، كأنه مودّع للأموات كما ودّع الأحياء.

ثم خُيّر النبي ﷺ بين الحياة وبين أن يموت ويلقى ربه سبحانه وتعالى فاختار لقاء ربه والرفيق الأعلى[(٣)].

الوفاة:

وفي ضحى يوم الاثنين الثاني عشر من شهر ربيع الأول من السنة الحادية عشر من الهجرة توفي نبي الرحمة محمد ﷺ وقد تم له ثلاث وستون سنة، ليفقد أهل الدنيا صحبة أفضل الخلق وأكمل البشر وخير من وطئ التراب، وإنا لله وإنا إليه راجعون.

مات نبي الرحمة محمد ﷺ وبقيت تعاليمه حية نابضة في قلوب جميع المؤمنين، واستمرت دعوته في انتشارها وشموخها، وظل نور الوحي الذي جاء به محفوظًا وسيبقى كذلك حتى يرث الله الأرض ومن عليها.

مات النبي محمد ﷺ لكن الدين الذي جاء به سيظل باقيًا؛ لأن الله هو

---

(١) البخاري حديث رقم (٣٣٥٣)، ومسلم حديث رقم (٤٤٨٨).

(٢) مسلم (٢٢٨٦).

(٣) البخاري (٤٠٨٣)، مسلم (٤٠٦٥).

الذي يحفظ هذا الدين، ولأن الدين الحق لا يرتبط وجوده بوجود بشر، فالبشر جميعًا إلى زوال وموت، والله هو الحي الذي لا يموت.

هكذا كانت تربية الحبيب محمد ﷺ لأصحابه رضوان الله عليهم، ربّاهم على أن يجعلوا حياتهم ومماتهم لمن له البقاء سبحانه، وأن يجعلوا تمام الإخلاص والعبودية لله تعالى وحده.

لذلك لم يكن عجيبًا أن يقف أبو بكر الصديق أكثر الناس قربًا ومحبة وتعلقًا وارتباطًا بالنبي الحبيب محمد ﷺ ليخطب في الناس بعد وفاته قائلاً: «أما بعد، فمن كان منكم يعبد محمدًا ﷺ فإن محمدًا ﷺ قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت، قال الله تعالى: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ ۚ أَفَإِين مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا ۗ وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴾ [آل عمران: ١٤٤]»[1].

نسأل الله أن يرزقنا اتباع سنة الحبيب محمد ﷺ، وأن يحشرنا في زمرته، وأن يسقينا من يده الشريفة شربة هنيئة لا نظمأ بعدها أبدًا.

اللَّهُمَّ إنا نشهد أنه بلغ الرسالة وأدّى الأمانة ونصح للأمة وكشف الله به الغمة، وتركنا على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك.

اللَّهُمَّ اجزه عنّا خير ما جزيت نبيًا عن أمته ورسولاً عن قومه، وآته الوسيلة والفضيلة وابعثه مقامًا محمودًا الذي وعدته.

---

(١) البخاري (١١٦٥)، مسلم (٤١٠١).





الشمائل والصفات

من أكبر الأدلة على صدق نبوة الرسول ﷺ هو شخصية الرسول نفسه وما تحلى به من مكارم الأخلاق وحسن الخصال وجميل الخلال، حيث بلغ النبي ﷺ درجة من الكمال البشري في حسن الصفات والأخلاق لا يمكن أن تكون إلا لنبي مرسل من عند الله.


هذا محمد
صلى الله عليه وسلم
رحمة للعالمين وخاتم النبيين

الشمائل والصفات

من أكبر الأدلة على صدق نبوة الرسول ﷺ هو شخصية الرسول نفسه وما تحلى به من مكارم الأخلاق وحسن الخصال وجميل الخلال، حيث بلغ النبي ﷺ درجة من الكمال البشري في حسن الصفات والأخلاق لا يمكن أن تكون إلا لنبي مرسل من عند الله، فقد بلغ اعتنائه بالخلق درجة تعليل رسالته وبعثته بتقويم الأخلاق وإشاعة مكارمها، والعمل على إصلاح ما أفسدته الجاهلية منها، فقد جاء في الحديث الشريف عن النبي ﷺ أنه قال: «**إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق**»[1].

وجعل رسول الله ﷺ أكثر المسلمين ظفرًا بحبه والقرب منه مجلسًا يوم القيامة هم الذين حسنت أخلاقهم حتى صاروا فيها أحسن من غيرهم.

ففي الحديث الشريف عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أنه سمع النبي ﷺ يقول: «**ألا أخبركم بأحبكم إليّ وأقربكم مني مجلسًا يوم القيامة** فسكت القوم فأعادها مرتين أو ثلاثًا قال القوم: نعم يا رسول الله، قال: **أحسنكم خلقًا**»[2].

---

(١) أخرجه أحمد (٨٥٩٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وسنده صحيح، قال الهيثمي في المجمع: رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح، وصحح العجلوني سنده في كشف الخفاء، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢٣٤٩).

(٢) أحمد (٦٤٤٧) وسنده صحيح، قال الهيثمي: إسناده جيد، وصححه الألباني في صحيح الترهيب والترغيب (٢٦٥٠).

ويكفي في ذلك شهادة الله تعالى لرسوله الكريم ﷺ بحسن الخلق، فقد جاء في القرآن الكريم في وصف النبي قول الله تعالى: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [القلم: ٤].

وصدق القائل إذ يقول في وصفه ﷺ:

يا من له الأخلاق ما تهوى العلا	منه وما يتعشق الكبراء
لو لم تقم دينًا لقامت وحدها	دينًا تضيء بنوره الآلاء
زانتك في الخلق العظيم شمائل	يغرى بهن ويولع الكرماء

ولله درّ القائل:

بلغ العلا بكماله	كشف الدجى بجماله
حسنت جميع خصاله	صلوا عليه وآله

والحديث عن أخلاق النبي ﷺ وشمائله وخصاله الجليلة يطول جدًا ويحتاج لمصنفات مستقلة[1] لكننا سنحاول إيجازه واختصاره فيما يلي:

الزهد:

عاش نبي الرحمة محمد ﷺ زاهدًا في شهوات الدنيا وملذّاتها، مترفعًا عن المتاع الدنيوي الزائل، معلمًا الناس كيف يكون أكبر همهم الآخرة.

فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **ما لي وما للدنيا، ما أنا في الدنيا إلا كراكب استظلّ تحت شجرة ثم راح وتركها»**[2].

---

(١) من الكتب التي صنفت في ذلك: كتاب الشمائل المحمدية للترمذي، وشمائل الرسول للحافظ ابن كثير.

(٢) أحمد (٢٥٣٥)، والترمذي (٢٢٩٩) وقال: هذا حديث حسن صحيح.

وعن عبد الله بن عمر ﵄ أن النبي ﷺ كان يقول: «**كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل**»[١].

وكان عيش النبي ﷺ شاهدًا على زهده في هذه الدنيا:

فقد دخل عليه عمر بن الخطاب ﵁ يومًا، فإذا هو مضطجع على رمالٍ وحصيرٍ ليس بينه وبينه فراش، وقد أثّر في جنبه.

قال عمر: فرفعت بصري في بيته، فوالله ما رأيت فيه شيئًا يردّ البصر، فقلت: ادع الله فليوسع على أمّتك، فإن فارس والروم وُسّع عليهم وأُعطوا الدنيا وهم لا يعبدون الله، فقال: «**أوَفي شك أنت يا ابن الخطاب؟! أولئك قوم عُجِّلت لهم طيباتهم في الحياة الدنيا**»[٢].

وقال النعمان بن بشير: «لقد رأيت نبيكم ﷺ وما يجد من الدقل -وهو التمر الرديء- ما يملأ به بطنه»[٣].

وعن عائشة ﵂ أنها قالت: «إن كنا لننظر إلى الهلال ثم الهلال، ثلاثة أهلة في شهرين، وما أوقدت في أبيات رسول الله ﷺ نار فقيل: ما كان يُعيِّشكم؟ قالت: الأسودان التمر والماء»[٤].

أي كانوا في بيت النبي ﷺ يمكثون لمدة شهرين لا يطبخون فيه أي شيء،

---

(١) البخاري (٥٩٣٧).

(٢) البخاري (٢٢٨٨)مسلم (٢٧٠٧).

(٣) مسلم (٥٢٨٨).

(٤) البخاري (٢٣٧٩)، مسلم (٥٢٨٠).



وكانوا يعيشون على التمر والماء فقط.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «خرج رسول الله ﷺ من الدنيا، ولم يشبع من خبز الشعير»[١].

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «ما أعلم النبي ﷺ رأى رغيفًا مرقّقًا حتى لحق بالله، ولا رأى شاة سميطًا بعينه قط»[٢].

والشاة السميط أي الصغيرة السنّ الطرية اللحم التي تشوى بجلدها بعد إزالة شعرها بالماء الساخن، وهذا يعدّ من فعل المترفين المرفّهين.

وعن أنس رضي الله عنه قال: «لم يأكل النبي ﷺ على خوان حتى مات، وما أكل خبزًا مرققًا حتى مات»[٣]. والخِوان هو ما يؤكل عليه كالمائدة والسفرة.

وقال عتبة بن غزوان رضي الله عنه: «لقد رأيتني سابع سبعة مع رسول الله ﷺ ما طعامنا إلا ورق الحُبلة حتى قرحت أشداقنا»[٤]. والحُبلة: شجر له شوك.

وعن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ لم يجتمع له غداء ولا عشاء من خبز ولحم إلا على ضَفَف[٥].

---

(١) البخاري (٤٩٩٤).

(٢) البخاري (٥٠٠١).

(٣) البخاري (٥٩٦٩).

(٤) مسلم (٥٢٦٩).

(٥) أحمد (١٣٣٥٦) وصححه ابن كثير، وقال الألباني في مختصر الشمائل حديث رقم (١١٧): هذا إسناد صحيح على شرط الشيخين.

ومعنى ذلك أن النبي ﷺ ما كان يجتمع لديه طعام كثير في أي زمن من الأزمان، ولا كان يشبع من الطعام قط، إلا إذا اجتمع عنده ضيوف، فكان ﷺ يتكلّف إحضار الطعام لضيوفه ويأكل معهم للمؤانسة وحسن الاستضافة، وهذا من كرمه وحسن خُلُقه ﷺ.

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: «إنما كان فراش رسول الله ﷺ الذي ينام عليه أدمًا حشوه ليف»[1]. والأدم هو الجلد.

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: «نام رسول الله ﷺ على حصير فقام وقد أثّر في جنبه»[2].

وعن أبي بردة قال: «أخرجت إلينا عائشة رضي الله عنها إزارًا غليظًا وكساء ملبدًا فقالت: في هذا قُبض -أي مات- رسول الله ﷺ»[3].

والإزار الغليظ أي السميك الخشن، والكساء الملبّد أي المرقّع.

وإن كانت تلك هي حياة النبي ﷺ وذلك هو عيشه، فإنه لم يترك بعد موته شيئًا من المال لأهله، فقد مات ﷺ على ما عاش عليه.

فعن عمرو بن الحارث قال: «ما ترك رسول الله ﷺ عند موته درهمًا ولا دينارًا ولا عبدًا ولا أمة ولا شيئًا إلا بغلته البيضاء وسلاحه وأرضًا جعلها صدقة»[4].

---

(١) البخاري (٥٩٧٥)، مسلم (٣٨٨٣).

(٢) أحمد (٢٥٣٥)، والترمذي (٢٢٩٩) وقال: هذا حديث حسن صحيح.

(٣) البخاري (٢٥٣٤).

(٤) البخاري (٢٨٧٧)، مسلم (٣٨٨٠).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «توفي النبي ﷺ ودرعه مرهونة بعشرين صاعًا من طعام أخذه لأهله»[١].

وعن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: «قالت توفي رسول الله ﷺ وما في بيتي من شيء يأكله ذو كبد إلا شطر شعير في رفٍّ لي»[٢].

وأنبه هنا إلى أن هذا الزهد وضيق العيش لم يكن موقفًا اضطراريًا من رسول الله ﷺ، بل كان هذا اختياره.

فقد جاء جبريل إلى نبي الرحمة محمد ﷺ فقال: «يا محمد، أرسلني إليك ربك قال: أملكًا أجعلك أم عبدًا رسولاً؟ فقال رسول الله ﷺ: «**بل عبدًا رسولاً**»[٣].

فرفض النبي ﷺ أن يعيش كالملوك واختار أن يكون عبدًا رسولاً.

وكان رسول الله ﷺ يدعو فيقول: «**اللَّهُمَّ اجعل رزق آل محمد قوتًا**»[٤]. وفي رواية: «**كفافًا**».

قال الإمام النووي: «قال أهل اللغة والعربية: (القوت): ما يسدّ الرمق، وفي الحديث فضيلة التقلّل من الدنيا، والاقتصار على القوت منها والدعاء بذلك»[٥].

---

(١) الترمذي (١١٣٥) وقال حسن صحيح، وهو في البخاري (٢٧٠٠) عن عائشة رضي الله عنها.

(٢) البخاري (٢٨٦٦)، مسلم (٥٢٨١) وشطر شعير أي شيء من الشعير.

(٣) أحمد (٦٨٦٣) وصححه أحمد شاكر، وقال الألباني في الصحيحة (١٠٠٢): إسناده صحيح على شرط مسلم.

(٤) البخاري (٥٩٧٩)، ومسلم (٥٢٧٣).

(٥) شرح صحيح مسلم للنووي (٨/٤).

وقال القرطبي: «أي ما يقوتهم ويكفيهم بحيث لا يشوشهم الجهد، ولا ترهقهم الفاقة، ولا تذلّهم المسألة والحاجة، ولا يكون في ذلك أيضًا فضول يخرج إلى الترف والتبسّط في الدنيا والركون إليها»[١].

وكان رسول الله ﷺ إذا جاءه طعام سارع بدعوة الناس له ليأكلوا منه، وإذا جاءه مال لا يدّخر شيئًا منه بل ينفقه كله في سبيل الله.

فعن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«ما يسرني أن عندي مثل أُحُد هذا ذهبًا، تمضي عليّ ثالثة وعندي منه دينار، إلا شيئًا أرصده لدَين»**[٢].

والمعنى أن النبي ﷺ إذا امتلك ذهبًا بمقدار جبل أُحُد، فسوف ينفق كل هذا الذهب في التصدّق على الفقراء، ولن يُبقي منه دينارًا واحدًا بعد ثلاث ليالٍ، إلا شيئًا يتركه لوفاء الديون.

التواضع:

كان نبي الرحمة محمد ﷺ أكثر الناس تواضعًا لأنه كان يتشرف دائمًا أن يكون عبدًا لله.

قال النبي ﷺ: **«لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم فإنما أنا عبده فقولوا: عبد الله ورسوله»**[٣].

---

(١) شرح السيوطي على صحيح مسلم (٣/١٣٧).

(٢) البخاري (٥٩٦٣)، ومسلم (١٣٧).

(٣) البخاري (٣٢٩٨)، مسلم (٤٢٨٤).

وحين يكون المؤمن في مقام العبودية لله فلا كبرياء ولا تجبّر ولا عُجب أو استعلاء إلا بالإيمان وعبادة الرحمن، وإنما هو التواضع وإنكار الذات والرغبة في نيل الأجر ورضا الله، والمواقف الدالة على تواضعه ﷺ كثيرة، منها:

كان مع المسلمين في غزوة بدر سبعون بعيرًا يتعاقبون على ركوبها، وكان رسول الله ﷺ وأبو لبابة وعليّ بن أبي طالب رضى الله عنهما يتعاقبون على بعير واحد، فأراد أبو لبابة وعليّ أن يؤثروا الرسول بالركوب فقالا: نحن نمشي عنك، فقال: «**ما أنتما بأقوى مني، ولا أنا بأغنى عن الأجر منكما**»[1].

ويا لروعة هذا الموقف حين يتواضع القائد ويرفض أن يُمنح وضعًا متميزًا مستحقًا فيستوي القائد والجند في تحمّل الشدائد وقد تملكهم جميعًا الصدق والإخلاص في التطلع إلى رضوان الله وثوابه، وكيف لا يحتمل الجند المشاق وقائدهم يسابقهم في ذلك، ولا يرضى أن يكون دونهم في مواجهتها، وهو ﷺ شيخ في الخامسة والخمسين من عمره[2].

إنه درس لجميع أفراد الجيش؛ بل لجميع أفراد الأمة من معلمها الأول رسول الله ﷺ في كيفية التواضع في مقام العبودية لله والإخلاص في طلب الثواب والأجر من الله، وفي إنكار الذات والرغبة عن العلو في الأرض والاستكبار فيها، قال ﷻ: ﴿ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [القصص:٨٣].

---

(١) أخرجه أحمد (٣٧٠٦) وقال الهيثمي في المجمع (٧١/٦): فيه عاصم بن بهدلة وحديثه حسن وبقية رجاله رجال الصحيح، وصححه أحمد شاكر، وحسنه الألباني في مشكاة المصابيح (٣٨٣٨).

(٢) السيرة النبوية الصحيحة (٢ / ٣٥٥).

ومن المهم هنا الإشارة إلى رحمة المسلمين بالحيوان وعدم تحميله فوق طاقته، فالجُند يتعاقبون على البعير فيركب واحدًا ويمشي الباقون، ولا يشقّون على البعير، وهذا يدل على مراعاة الحيوان والرأفة والرحمة به وهذا خلق كريم.

ومن مظاهر التواضع أيضًا: نزول النبي ﷺ على رأي أصحابه، وأخذه بالشورى، وكان لهذا بركة كبيرة في الوصول إلى أفضل الآراء.

فقد كان من عادة رسول الله ﷺ أن يستشير أصحابه قبل الشروع في أي أمر مهم؛ تنفيذًا لأوامر الله ﷻ له بمشاورتهم وإقرارًا لمبدأ الشورى، رغم أنه ﷺ كان أكمل الناس عقلاً وأحسنهم رأيًا، إلا أنه لم ينفرد باتخاذ القرار.

قال الله تعالى: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

ومن مظاهر تواضع الرسول ﷺ أيضًا: أنه اشترك بنفسه في حفر الخندق في غزوة الأحزاب، قال البراء بن عازب: «رأيت النبي ﷺ يوم الخندق وهو ينقل التراب حتى وارى الترابُ شعر صدره وكان رجلاً كثير الشعر»[1].

ومن مظاهر تواضع الرسول ﷺ أنه في انتصاره العظيم يوم فتح مكة دخل مكة منتصرًا فاتحًا ورغم ذلك لم يتكبّر أو يتعاظم بل دخل متواضعًا.

فقال روى عبد الله بن أبي بكر أن رسول الله ﷺ لما دخل مكة كان يضع

(١) أخرجه البخاري (٢٨٠٨)، ومسلم (٣٣٦٥).



رأسه تواضعًا لله حين رأى ما أكرمه الله بن من الفتح، حتى إن عُثنونه ليكاد يمسّ واسطة الرحل[١].

إن رسول الله ﷺ لم يغرّه النصر على عظمه، ولم يصبه ذاك الفتح المبين بكبر -وحاشاه من ذلك- فلم يدخل مكة دخول الفاتحين المتغطرسين، بل كان خاشعًا لله شاكرًا لأنعمه، حتى إنه كان يضع رأسه ويطأطئها تواضعًا لله حين رأى ما أكرمه الله به من الفتح، حتى أن شعر لحيته ليكاد يمس واسطة الرحل [٢]، وكان يقرأ وهو على راحلته سورة الفتح يرجّع في قراءتها [٣]بل إنه لما طاف بالكعبة استلم الركن بمحجنه كراهة أن يزاحم الطائفين[٤].

ولم ينزل رسول الله ﷺ في بيته في مكة بل ضربت له قبة في الحجون، ولم يكره أحدًا على الخروج من بيته أو ترك مكانه[٥].

الحياء:

الحياء خلق من الأخلاق الإسلامية العظيمة المعدودة من شعب الإيمان، كما قال النبي ﷺ: «**الإيمان بضع وستون شعبة، والحياء شعبة من الإيمان**»[٦].

وقال النبي ﷺ: «**الحياء لا يأتي إلا بخير**»[٧].

---

(١) سيرة ابن هشام (٤ / ١٠٧٢) والعثنون هو أسفل اللحية.

(٢) انظر: السيرة النبوية الصحيحة (٢ / ٤٨٢)، الرحيق المختوم ص ٤٠٩.

(٣) أخرجه البخاري (٣٩٤٥) من حديث عبد الله بن مغفل ﷺ.

(٤) سنن أبي داود (١٦٠٣) من حديث أبي الطفيل ﷺ، والمحجن: عصا معوجة الرأس.

(٥) السيرة النبوية الصحيحة (٢ / ٤٨٢).

(٦) البخاري (٨)، مسلم (٥٢٨١).

(٧) البخاري (٥٦٥٢)، مسلم (٥٣).

ومرّ رسول الله ﷺ على رجل من الأنصار وهو يعظ أخاه في الحياء فقال رسول الله ﷺ: «**دعه فإن الحياء من الإيمان**»[١].

وكان النبي ﷺ شديد الحياء حتى قال أبو سعيد الخدري رضي الله عنه: «كان النبي ﷺ أشدّ حياء من العذراء في خدرها»[٢].

ومن مواقف الحياء ما روته عائشة رضي الله عنها أن امرأة سألت النبي ﷺ عن غسلها من المحيض وكيف تطهّر موضع الدم؟ فقال لها النبي ﷺ: **خذي فِرصة**[٣] **من مسك فتطهري بها**، فقالت: كيف أتطهر؟ قال ﷺ: **تطهّري بها**، فقالت: كيف؟ قال ﷺ في حياء: **سبحان الله تطهّري**، واستحى أن يشرح لها أكثر من ذلك، قالت عائشة: فاجتبذتها إليّ فقلت: «تتبعي بها أثر الدم»[٤].

العدل:

كان نبي الرحمة محمد ﷺ مشهورًا بعدالته الشديدة وإنصافه لكل الناس المؤمن منهم والكافر، ومن المواقف الدالة على ذلك:

وقف الرسول الكريم ﷺ قبل غزوة بدر يُعدّل الصفوف بقدح في يديه قبل بدء المعركة وكان سواد بن غزية خارجًا عن الصف، فطعنه الرسول في بطنه قائلاً: «**استو يا سواد**» فقال سواد: يارسول الله أوجعتنى وقد بعثك الله

(١) البخاري (٢٣)، مسلم (٥٢).
(٢) البخاري (٣١٨٩)، مسلم (٣٢٠١).
(٣) فرصة أي خرقة أو قطعة من قطن أو صوف.
(٤) البخاري (٣٠٣)، مسلم (٤٩٩).

بالحق والعدل فأقدني، فكشف عن بطنه وقال: استقد، فاعتنقه سواد وقبّل بطنه، فقال النبي ﷺ: «**ما حملك على هذا ياسواد؟**» قال: يارسول الله قد حضر ما ترى، فأردت أن يكون آخر العهد بك أن يمسَّ جلدى جلدك[١].

فحين طالب سواد بحقه في القود والقصاص، لم يتردّد الرسول ﷺ القائد العام للجيش في منحه فرصة الاقتصاص وإن لم يكن يقصد إيذاءه وإيجاعه من البداية، ليضرب بذلك مثلاً رائعًا للعدالة في الإسلام.

ومن مواقف العدالة السامية نهي النبي ﷺ عن قتل من خرج مع قريش مكرهًا في هذه الغزوة حيث قال: «**إني قد عرفت أن رجالاً من بني هاشم وغيرهم قد أخرجوا كرهًا، لا حاجة لهم بقتالنا، فمن لقي أحدًا من بني هاشم فلا يقتله، ومن لقي أبا البحتري فلا يقتله، ومن لقي العباس عبد المطلب فلا يقتله، فإنه إنما خرج مستكرهًا**»[٢].

ولا شك أن ترك قتال المُكره في هذا المقام الصعب فيه تحقيق لأسمى معانى العدل والإنصاف.

ومن مواقف العدل أيضًا رفض الرسول ﷺ إعفاء عمه من دفع الفدية ومساواته بالأسرى رغم أنه كان مسلمًا ويخفي إسلامه.

فعن أنس رضي الله عنه أن رجالاً من الأنصار استأذنوا رسول الله ﷺ فقالوا: ائذن لنا فلنترك لابن أختنا عباس فداءه فقال: «**لا تدعون منه درهمًا**»[٣].

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام (٢/٦٠٧، ٦٠٨)، والبداية والنهاية (٣/٢٣).

(٢) تاريخ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، (٢/٣٤).

(٣) أخرجه البخاري (٢٣٥٢).

ومن المواقف العجيبة أيضًا ما روته عائشة زوج النبي ﷺ حين قالت: «لما بعث أهل مكة في فداء أسرائهم بعثت زينب بنت رسول الله ﷺ في فداء أبي العاص بن الربيع بمال وبعثت فيه بقلادة لها كانت خديجة أدخلتها بها على أبي العاص حين بنى عليها.

فلما رأى رسول الله ﷺ قلادة ابنته رقّ لها رقة شديدة وقال: «**إن رأيتم أن تطلقوا لها أسيرها وتردوا عليها الذي لها فافعلوا**».

فقالوا: نعم يا رسول الله فأطلقوه، وردّوا عليها الذي لها»(١).

إن هذا الموقف يوضح عدالة النبي ﷺ التي وقفت في مواجهة مشاعر الأبوة الصادقة، فلم يحكم النبي بشيء يميز به ابنته، ولم يقطع أمرًا دون صحابته، وكان بإمكانه أن يحكم ولن يردّ أحد حكمه، ولكنه العدل النبوي قد مزج بمشاعر الأبوة الصادقة فبلغ الكمال في الجهتين.

وروت عائشة أيضًا ﵂ أن امرأة سرقت في عهد رسول الله ﷺ في غزوة الفتح فأُتي بها رسول الله ﷺ.

فكلمه فيها أسامة بن زيد ﵁ يتوسط لها ليعفو عنها، فلما كلمه تلون وجه رسول الله ﷺ وقال في غضب: **أتشفع في حدٍّ من حدود الله؟!**

فقال له أسامة: استغفر لي يا رسول الله.

فلما كان العشي قام رسول الله ﷺ فأثنى على الله ﷻ بما هو أهله ثم قال:

---

(١) تاريخ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، (٢/٤٣).

أما بعد، إنما أهلك الناس قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد.

ثم قال: **والذي نفسي بيده لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها**»[١].

الشجاعة:

الرسول الكريم والقائد العظيم لم يكن يكتفي بمقام القيادة العسكرية والروحية بل كان يشارك بنفسه في القتال، ليس ذلك فقد بل كان ﷺ في أول الصفوف القريبة من العدو يقدم نموذجًا حيًا للشجاعة والبطولة والإقدام، ولقد شهد له بذلك بطل من أشجع الشجعان وهو على بن أبي طالب، وما أدراك ما عليّ في بطولته وشجاعته وإقدامه ورغم ذلك قال: «لقد رأيتنا يوم بدر ونحن نلوذ برسول الله ﷺ، وهو أقربنا للعدو، وكان من أشدّنا يومئذ بأسًا» [٢].

ومن المواقف التي توضح شجاعة رسول الله ﷺ أنه كان ذات مرة بالبطحاء، فأتى عليه ركانة بن يزيد، و معه شياة له، وكان ركانة مشهورًا بقوته وشدته في المصارعة.

فقال ركانة: يا محمد هل لك أن تصارعنى؟ فقال النبي ﷺ في ثقة: ما تسبقنى (أي ماذا تعطيني لو فزت عليك)؟ قال: شاة من غنمى، فقام رسول الله ﷺ في شجاعة فصارعه فصرعه، وأخذ شاة.

فأراد ركانة أن يعوّض خسارته فقال: هل لك فى العود (أي هل تصارعني

---

(١) البخاري (٣٢١٦)، ومسلم (٣١٩٦)، والنسائي (٤٨٤١) وهذا لفظه.

(٢)أحمد (٦١٩) وصححه البيهقي في دلائل النبوة، انظر: كنز العمال (٢٩٩٤٣).

مرة أخرى)؟ قال ﷺ: ما تسبقني؟ قال: شاة أخرى، فقام رسول الله ﷺ في شجاعة فصارعه فصرعه ثانية، وأخذ الشاة الأخرى، ثم تكرر هذا الأمر مرارًا، وفي كل مرة يصرعه النبي ﷺ.

فقال ركانة: يا محمد، والله ما وضع أحد جنبي إلى الأرض، وما أنت الذى تصرعني، فأسلم ركانة، وردّ عليه رسول الله ﷺ غنمه[1].

ومن مواقف الشجاعة أيضًا ثبات رسول الله ﷺ يوم أحد في موقف بطولي فذ وهو يواجه الموت وجحافل الأعداء قد شجّوا رأسه وكسروا رباعيته وطالوا وجنته وأصرّوا على قتله، وهو كالجبل الأشم، يدافع ويجالد جموع المشركين المحيطين به من كل ناحية، وهو يقول: «**إليّ عباد الله، إليّ عباد الله**»[2]، ولم يزل يجمع الأصحاب حوله حتى قويت عزائمهم، واشتدّ صلبهم، واستعادوا أنفاسهم وعادوا إلى القتال، فكان سببًا مباشرًا في إفاقة الجيش من غفلته التي إن طالت ربما زادت الخسائر وتضاعفت لكنه الثبات النبوي الذي يفوق ثبات الطود الشامخ أمام الموج العاتي.

وقال أنس بن مالك رضي الله عنه: «كان النبي ﷺ أحسن الناس وأشجع الناس، ولقد فزع أهل المدينة ليلة فخرجوا نحو الصوت فاستقبلهم النبي ﷺ وقد استبرأ الخبر وهو على فرس وفي عنقه السيف وهو يقول: **لم تراعوا، لم تراعوا**»[3] أي لا تشعروا بالخوف فليس هناك ما يضرّكم.

---

(١) أبو داود (٣٥٥٦)، والبيهقي (١٠/١٨)، وحسنه الألباني في إرواء الغليل (١٥٠٣).

(٢) السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة (٢ / ١٩٨).

(٣) البخاري (٢٦٩٢)، مسلم (٤٢٦٦).



الصدق:

الصدق يحتل مكانًا رئيسًا في منظومة الأخلاق الإسلامية، ومنه ما يتعلق بالقول، ومنه ما يتعلق بالعمل [١].

وقد امتدح النبي ﷺ الصدق وعظّم شأنه فقال: «**إن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة، وإن الرجل ليصدق حتى يكون صديقًا، وإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، وإن الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذابًا**» [٢].

وقد اشتهر رسول الله ﷺ بصدقه حتى قبل بعثته حيث كان معروفًا بين الناس بأنه صادق أمين.

فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال لما نزلت ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤] صعد النبي ﷺ على الصفا فجعل ينادي: يا بني فهر، يا بني عديّ لبطون قريش حتى اجتمعوا، فجعل الرجل إذا لم يستطع أن يخرج أرسل رسولاً لينظر ما هو، فقال ﷺ: **أرأيتكم لو أخبرتكم أن خيلاً بالوادي تريد أن تغير عليكم أكنتم مُصَدِّقِيّ؟**

قالوا: نعم ما جرّبنا عليك إلا صدقًا» [٣].

وفي رواية: «ما جرّبنا عليك كذبًا» [٤].

---

(١) مفردات ألفاظ القرآن، للراغب الأصفهاني، ص ٤٧٩.

(٢) البخاري (٥٦٢٩)، مسلم (٤٧١٨).

(٣) البخاري (٤٣٩٧).

(٤) مسلم (٣٠٧).

فهذه شهادة من كفار قريش لنبي الرحمة محمد ﷺ أنهم لم يؤثروا عليه كذبًا قط، ولم يعلموا عنه إلا الصدق.

ومن المواقف التي تظهر جانب الصدق وأهميته ومراعاته لأقصى درجة ما حدث في غزوة بدر، حيث التقى رسول الله ﷺ والصديق قبل الغزوة على مقربة من بدر مع شيخ من العرب يقال له سفيان الضمري، فسأله الرسول عن قريش وعن محمد وأصحابه وما بلغه من أخبارهم، فقال الشيخ لا أخبركما حتى تخبراني ممن أنتما؟ ذ فقال الرسول: **إذا أخبرتنا أخبرناك**، قال: ذاك بذاك؟ قال: **نعم**؛ قال الشيخ: فإنه بلغني أن محمدًا وأصحابه خرجوا يوم كذا وكذا، فإن كان صدق الذي أخبرني، فهم اليوم بمكان كذا وكذا، للمكان الذي به رسول الله ﷺ، وبلغني أن قريشًا خرجوا يوم كذا وكذا، فإن كان الذي أخبرني صدقني فهم اليوم بمكان كذا وكذا للمكان الذي به قريش، فلمّا فرغ من خبره، قال ممن أنتما؟ فقال رسول الله ﷺ: **نحن من ماء**، ثم انصرف عنه، فقال الشيخ ما من ماء؟ أمن ماء العراق؟ [(١)].

فقوله ﷺ: «**نحن من ماء**» من التوريات البديعة، وهو يحتمل معنيين معنى قريب وهو المكان المعروف بهذا الاسم، والثاني بعيد وهو الماء الذى خلق منه الإنسان، وهو ما قصده الرسول ﷺ.

قال أبو بكر الجزائرى فيما يستفاد من الغزوة: «مشروعية استعمال الرموز والمعاريض والتورية في الكلام في حالة الحرب، والتعمية على العدو» [(٢)].

---

(١) سيرة ابن هشام (٢ / ٥٩٨، ٥٩٩)، البداية والنهاية (٣ / ١١).

(٢) هذا الحبيب يامحب، أبو بكر الجزائرى، ص١٩٣.



ففى مقام الحرب والقتال قد يضطرّ الإنسان إلى عدم التزام الصدق في كل ما يقول مراعاة لمصالح أعلى تتعلق بحفظ النفوس والأموال والنسل، بل حفظ الدين نفسه.

وقد كان إخبار الرسول ﷺ الشيخ عن حقيقة هويته يشكل خطرًا على المسلمين، رغم ذلك لم يلجأ النبي إلى الكذب، بل استخدم التورية والتعريض، وفى المعاريض مندوحة عن الكذب، وبذلك حفظ جناب الصدق في قوله بلا إضرار بالمصلحة العامة.

الكــرم:

الكرم كان شيمة وصفة ملازمة لنبي الرحمة ﷺ حيث كان أكثر الناس كرمًا وأجودهم بالخير.

فقبل بعثته كان النبي ﷺ مشهورًا بكرمه الشديد لا سيما مع الفقراء والضعفاء والأيتام، وكان من أكثر الناس كرمًا مع ضيوفه، وكان يشارك الناس ويعينهم فيما يصيبهم من خير أو شر.

فعندما نزل الوحي على النبي ﷺ وجاء إلى زوجته خديجة رضي الله عنها وحكى لها ما حدث، قالت له: «كلا والله ما يخزيك الله أبدًا، إنك لتصل الرحم، وتحمل الكَلّ، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق»[1].

ومعنى تحمل الكَلّ: أي تتحمل أثقال الفقراء والضعفاء والأيتام بالإنفاق عليهم وإعانتهم بالمال، أما تكسب المعدوم فتعني: أنك تتبرع بالمال لمن لا

---

(١) البخاري (٣)، ومسلم (٢٣١).

يجده، وتقري الضيف معناها: أنك تكرم ضيوفك، وأما معنى تعين على نوائب الحق: أي تعين الناس فيما يصيبهم من خير أو شر.

أما بعد بعثته فكان النبي ﷺ أكرم الناس وأكثرهم جودًا، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «كان رسول الله ﷺ أجود الناس، وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل، وكان يلقاه في كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن فلرسول الله ﷺ، أجود بالخير من الريح المرسلة»(١).

وقد تعددت المواقف الدالة على الكرم في حياته ﷺ عمومًا مع كل الناس، حتى أنه كان يكرم أعداءه ومحاربيه.

فقد أوصى رسول الله ﷺ بالأسرى في غزوة بدر وأمر بإكرامهم وحسن تعامل الصحابة معهم.

روى ابن هشام نقلاً عن ابن إسحاق أن رسول الله ﷺ حين أقبل بالأسارى فرقهم بين أصحابه، وقال: «**استوصوا بالأسارى خيرًا**».

وكان أبو عزيز بن عمير بن هاشم أخو مصعب بن عمير في الأسارى، فقال أبو عزيز: وكنت في رهط من الأنصار حين أقبلوا بي من بدر، فكانوا إذا قدّموا غذاءهم وعشاءهم خصوني بالخبز وأكلوا التمر، لوصية رسول الله ﷺ إياهم بنا، ما تقع في يد رجل منهم كسرة خبز إلا نفحني بها، فأستحي أن أردّها على أحدهم فيردها عليّ ما يمسها(٢).

وكان الخبز لديهم أجود من التمر لكثرة التمر عندهم وقلة الطحين والخبز.

---

(١) البخاري (٥)، مسلم (٤٢٦٨).

(٢) سيرة ابن هشام (٢/ ٦٢٥)، البداية والنهاية (٣ / ٧٣، ٧٤).



الوفاء:

الوفاء من أبرز سمات نبي الرحمة محمد ﷺ القائل: «**أدِّ الأمانة إلى من ائتمنك ولا تخن من خانك**»[١].

وقد شهد أبو سفيان -وهو لم يكن آمن بعد- عند هرقل ملك الروم بأن رسول الله ﷺ كان داعيًا إلى الوفاء وحفظ العهود وهذه شهادة من عدو والفضل ما شهدت به الأعداء.

فعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال:«أخبرني أبو سفيان أن هرقل قال له: سألتك ماذا يأمركم فزعمت أنه أمركم بالصلاة والصدق والعفاف **والوفاء بالعهد وأداء الأمانة** قال: وهذه صفة نبي»[٢].

وروى أبو داود عن أبي رافع قال: «بعثتني قريش إلى رسول الله ﷺ فلما رأيت رسول الله ﷺ ألقي في قلبي الإسلام فقلت يا رسول الله إني والله لا أرجع إليهم أبدًا فقال رسول الله ﷺ: «**إني لا أخيس بالعهد ولا أحبس البرد ولكن ارجع فإن كان في نفسك الذي في نفسك الآن فارجع**»، قال: فذهبت ثم أتيت النبي ﷺ فأسلمت»[٣].

قال الخطابي: «يشبه أن يكون المعنى في ذلك أن الرسالة تقتضي جوابًا والجواب لا يصل إلى المرسل إلا مع الرسول بعد انصرافه فصار كأنه عقد له

---

(١) أخرجه أبو داود(٣٥٣٥)، والترمذي (١٢٦٤) وسنده صحيح.

(٢) أخرجه البخاري (٢٦٨١) ومسلم (١٧٧٣).

(٣) أخرجه أحمد (٢٢٧٣٧) وأبو داود (٢٣٧٧)، وسنده صحيح، انظر السلسلة الصحيحة ٧٠٢.

العقد مدة مجيئه ورجوعه.

قال: وفي قوله لا أخيس بالعهد أن العهد يراعى مع الكافر كما يراعى مع المسلم وأن الكافر إذا عقد لك عقد أمان فقد وجب عليك أن تؤمنه ولا تغتاله في دم ولا مال ولا منفعة»[1].

وكان رسول الله ﷺ ينهى قادة الجيش عن الغدر ويوصيهم بالوفاء والأمانة.

فعن سليمان بن بريدة قال: كان رسول الله ﷺ إذا بعث أميرًا على جيش أوصاه في خاصة نفسه بتقوى الله ومن معه من المسلمين خيرًا فقال: «**اغزوا بسم الله وفي سبيل الله قاتلوا من كفر اغزوا ولا تغلّوا ولا تغدروا ولا تمثّلوا ولا تقتلوا وليدًا**»[2].

«**ولا تغدروا**» بكسر الدال أي لا تنقضوا العهد، وقيل: لا تحاربوهم قبل أن تدعوهم إلى الإسلام»[3].

وقد عدّ الرسول إخلاف الوعد والغدر بعد العهد من صفات المنافقين الذين هم أسوأ الكفار مكانة:

فعن أبي هريرة ؓ عن النبي ﷺ قال: «**آية المنافق ثلاث إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا اؤتمن خان**»[4].

---

(١) عون المعبود (٧/٣١١).

(٢) أخرجه مسلم (١٧٣١).

(٣) تحفة الأحوذي (٥/٢٠١)، وعون المعبود (٧/١٩٦).

(٤) أخرجه البخاري (٣٣) ومسلم (٥٩).

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «**أربع من كن فيه كان منافقًا خالصًا، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها: إذا اؤتمن خان، وإذا حدث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر**»(١).

وروي أن المغيرة بن شعبة قبل إسلامه قد صحب قومًا فغدر بهم وقتلهم وأخذ أموالهم، ثم جاء للنبي ﷺ وأسلم، فقال له النبي ﷺ: «**أما الإسلام فأقبل، وأما المال فلست منه في شيء**»(٢).

فقبل ﷺ منه إسلامه، ولم يقبل منه الغدر، ولا المال الذي أخذ غدرًا وفي هذا دلالة على أن النبي ﷺ لا يقبل إلا الحق.

ومن المواقف الدالة على تحلي نبي الرحمة ﷺ بخلق الوفاء في أعظم صوره، وعلى تعظيمه له في السلم والحرب، ما رواه حذيفة بن اليمان حيث قال: «ما منعني أن أشهد بدرًا إلا أني خرجت أنا وأبو حسيل، فأخذنا كفار قريش قالوا: إنكم تريدون محمدًا؟ فقلنا: ما نريده، ما نريد إلا المدينة، فأخذوا منا عهد الله وميثاقه لننصرفن إلى المدينة ولا نقاتل معه.

فأتينا رسول الله ﷺ فأخبرناه الخبر فقال: «**انصرفا، نفي لهم بعهدهم ونستعين الله عليهم**» (٣).

قال النووي في تعليقه على الحديث: «وفيه الوفاء بالعهد.. أمرهما النبي ﷺ

---

(١) أخرجه البخاري (٣٣) ومسلم (٥٩).

(٢) زاد المعاد (٣ / ٣٠٤)، سيرة ابن هشام (٣ / ٩٨٨)، والبداية والنهاية (٣ / ٣٣٤).

(٣) أخرجه مسلم (٣٣٤٢) في كتاب الجهاد والسير، باب الوفاء بالعهد

بالوفاء، وهذا ليس للإيجاب فإنه لا يجب الوفاء بترك الجهاد مع الإمام ونائبه، ولكن أراد النبي ﷺ أن لا يشيع عن أصحابه نقض العهد»[1].

ومن مواقف الوفاء أيضًا نهي النبي ﷺ عن قتل أبي البحتري بن هشام حيث قال: «**من لقي أبا البحتري بن هشام ابن الحارث بن أسد فلا يقتله**»[2].

وإنما نهى عن قتله وفاء له وحفظًا للجميل «لأنه أكفّ القوم عن رسول الله ﷺ وهو بمكة، كان لا يؤذيه ولا يبلغه عنه شيء يكرهه، وكان ممن قام في نقض الصحيفة»[3].

ومما يدل على الوفاء بالعهود أيضًا: ما وقع في أعقاب صلح الحديبية الذي كان من شروطه أن يردّ المسلمون من جاءهم من قريش مسلمًا دون أن يأذن أولياؤه، فلما عقد رسول الله ﷺ المعاهدة مع سهيل بن عمرو جاء أبو جندل ابن سهيل بن عمرو إلى رسول الله ﷺ ليعلن إسلامه، «فلما رأى سهيل أبا جندل قام إليه فضرب وجهه ثم قال: يا محمد قد لجت القضية بيني وبينك قبل أن يأتيك هذا.

قال: صدقت، فقام إليه فأخذ بتلبيبه وصرخ أبو جندل بأعلى صوته: يا معاشر المسلمين أتردونني إلى أهل الشرك فيفتنوني في ديني؟!

فقال رسول الله ﷺ: «**يا أبا جندل اصبر واحتسب فإن الله ﷻ جاعل لك**

---

(١) شرح صحيح مسلم، النووي، (٢٠١/١٢).
(٢) تاريخ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، (٣٤/٢).
(٣) البداية والنهاية (٤٣/٣).



ولمن معك من المستضعفين فرجًا ومخرجًا، إنا قد عقدنا بيننا وبين القوم صلحًا فأعطيناهم على ذلك، وأعطونا عليه عهدًا وإنا لن نغدر بهم»(١).

ولما رجع النبي ﷺ بعد عقد الصلح إلى المدينة جاءه أبو بصير -رجل من قريش- وهو مسلم، فأرسلوا في طلبه رجلين، فقالوا: العهد الذي جعلت لنا، فخلى النبي ﷺ بينه وبين الرجلين، فأمسكاه فخرجا به حتى إذا بلغا ذا الحليفة فنزلوا يأكلون من تمر لهم، فقال أبو بصير لأحد الرجلين: والله إني لأرى سيفك هذا يا فلان جيدًا فاستله الآخر فقال: أجل والله إنه لجيد فقال أبو بصير: أرني أنظر إليه، فأمكنه منه، فضربه به وفرَّ الآخر حتى أتى المدينة فدخل المسجد يعدو فقال رسول الله ﷺ حين رآه:«**لقد رأى هذا ذعرًا**»، فلما انتهى إلى النبي ﷺ قال: قتل والله صاحبي وإني لمقتول.

فجاء أبو بصير فقال: يا نبي الله، قد والله أوفى الله ذمتك، قد رددتني إليهم ثم نجاني الله منهم، قال النبي ﷺ: «**ويل أمه مسعر حرب لو كان له أحد**»، فلما سمع ذلك عرف أنه سيرده إليهم فهرب»(٢).

فالتزم رسول الله ﷺ بعهده مع قريش ولم يقبل أبا بصير في المرتين وخَلّى بينهم وبينه.

الأمانة:

كان رسول الله ﷺ مشهورًا من قبل بعثته بأمانته الشديدة حتى أنه كان ينادى بالأمين.

---

(١) مسند أحمد (١٨٤١٣) بسند صحيح، وأصله عند البخاري في صحيحه.

(٢) البخاري (٢٧٣٤).

معرض للموت، وتحاك حوله مؤامرات وضيعة للنيل منه وقتله، وكان من قبل ذلك يعاني ويلات الاضطهاد على مدى ثلاثة عشر عامًا في مكة حتى هاجر أصحابه مخلفين وراءهم ديارهم وأموالهم، ورغم ذلك لم يفُتْهُ أن يردّ أمانات هؤلاء المشركين التي أودعت عنده، ويستبقي ابن عمه وحبيب قلبه عليًا ﷺ ليرد الأمانات إلى أهلها.

ثم إن الناظر ليعجب من وضع المشركين لأماناتهم لدى النبي ﷺ رغم ما بينهم من عداوة ورغم زعمهم أنه كاذب فيما يدعيه من النبوة، في إقرار عملي واضح منهم أنه ﷺ أكثر الناس أمانة وصدقًا.

الحلم:

كان نبي الرحمة محمد ﷺ رجلاً شديد الحلم، يصبر على أذى الناس وجهلهم، ولا يغضب لنفسه قط، ويتسع صدره لمن أخطأ واعتدى في شفقة ورحمة، فيقابل جهالات الناس بالحلم، ويواجه إساءة المسيء بالإحسان والبرّ.

فعن أنس بن مالك ﷺ قال: «كنت أمشي مع النبي ﷺ وعليه برد نجراني غليظ الحاشية، فأدركه أعرابي فجذبه جذبة شديدة حتى نظرت إلى صفحة عاتق النبي ﷺ قد أثّرت به حاشية الرداء من شدة جذبته، ثم قال: مر لي من مال الله الذي عندك، فالتفت إليه فضحك، ثم أمر له بعطاء»[1].

وعن أبي هريرة ﷺ قال: «قام أعرابي فبال في المسجد فتناوله الناس، فقال

---

(١) البخاري (٢٩١٦) ومسلم (١٧٤٩).

لهم النبي ﷺ: **دعوه وهريقوا على بوله سجلاً من ماء أو ذنوبًا من ماء فإنما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسرين**»[1].

وفي رواية أن رسول الله ﷺ قام إليه فقال: «**إنما بني هذا البيت لذكر الله والصلاة وإنه لا يبال فيه**» ثم دعا بسجل من ماء فأفرغه عليه.

وقال هذا الأعرابي: «فقام النبي ﷺ إليّ بأبي هو وأمي فلم يسب ولم يؤنّب ولم يضرب»[2].

وإليك هذه القصة العجيبة التي تدلّ على شدة حلم النبي ﷺ والذي يعدّ من دلائل نبوته وعلامات صدقه وإخلاصه:

فقد كان زيد بن سعنة رجلاً يهوديًا يعلم من كتابه علامات النبي الذي بشّرت به التوراة، وأراد الله تعالى أن يهديه للإسلام، فقال زيد: ما من علامات النبوة شيء إلا وقد عرفتها في وجه محمد ﷺ حين نظرت إليه إلا اثنتين لم أخبرهما منه وهما: يسبق حلمه جهله، ولا يزيده شدة الجهل عليه إلا حلمًا، فكنت ألطف له إلى أن أخالطه فأعرف حلمه من جهله.

قال زيد بن سعنة: فخرج رسول الله ﷺ يومًا، فأتاه رجل بدوي على راحلته فقال: يا رسول الله إن بقربي قرية بني فلان قد أسلموا وقد أصابتهم جفاف وشدة وقحط ومجاعة، فهل لك أن ترسل إليهم بشيء تعينهم به؟

قال زيد بن سعنة: فدنوت إليه .فقلت: يا محمد هل لك أن تبيعني تمرًا

---

(١) البخاري (٢١٣).

(٢) أحمد (١٠١٢٩).

معلومًا في حائط بني فلان إلى أجل كذا وكذا؟ فقال: لا يا يهودي، ولكن أبيعك تمرًا معلومًا إلى أجل كذا وكذا، فقلت: نعم، فبايعني فأعطيته ثمانين مثقالاً من ذهب في تمر معلوم إلى أجل معلوم، فأعطاه رسول الله ﷺ إلى البدوي وقال له: اعدل عليهم وأعنهم بها.

قال زيد بن سعنة: فلما كان قبل محلّ الأجل بيومين أو ثلاثة خرج رسول الله ﷺ في جنازة رجل من الأنصار ومعه أبو بكر وعمر وعثمان في نفر من أصحابه فلما صلى على الجنازة ودنا من جدار ليجلس أتيته فأخذت بمجامع قميصه ورداءه ونظرت إليه بوجه غليظ فقلت له: ألا تقضيني يا محمد حقّي؟ فوالله ما علمتكم بني عبد المطلب إلا تماطلون في ردّ الحقوق.

قال زيد بن سعنة: فرماني عمر بن الخطاب ببصره فقال: يا عدو الله، أتقول لرسول الله ﷺ ما أسمع؟ وتصنع به ما أرى؟! فوالذي بعثه بالحق لولا ما أحاذر فوته لضربت بسيفي رأسك.

ورسول الله ﷺ ينظر إلى عمر في سكون وتؤدة وتبسُّم، ثم قال: يا عمر أنا وهو كنا أحوج إلى غير هذا، أن تأمرني بحسن الأداء وتأمره بحسن المطالبة، اذهب به يا عمر فأعطه حقه، وزده عشرين صاعًا من تمر تعويضًا له مقابل ما رُعته وخوّفته.

قال زيد: فذهب بي عمر فأعطاني حقّي وزادني عشرين صاعًا من تمر، ثم قال عمر: ما دعاك أن فعلت برسول الله ما فعلت، وقلت له ما قلت؟

قلت: يا عمر لم يكن من علامات النبوة شيء إلا وقد عرفته في وجه

رسول الله ﷺ حين نظرت إليه إلا اثنتين لم أخبرهما منه: يسبق حلمه جهله، ولا يزيده شدة الجهل عليه إلا حلمًا، فقد اختبرتهما، فأشهدك يا عمر أني قد رضيت بالله ربًّا، وبالإسلام دينًا، وبمحمد نبيًّا، فرجع عمر وزيد إلى رسول الله ﷺ، فقال زيد: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، وآمن به وصدّقه وتابعه[1].

العفو والرحمة:

كان النبي ﷺ أكثر الناس عفوًا لا ينتصر لنفسه قط، ولا يغضب إلا إذا انتهكت محارم الله، أما في حقه الشخصي فقد كان عفوًا حليمًا رحيمًا.

فعن أنس رضي الله عنه قال: «خدمت النبي ﷺ عشر سنين فما قال لي أفٍّ قط، وما قال لشيء صنعته لم صنعته ولا لشيء تركته لم تركته وكان رسول الله ﷺ من أحسن الناس خلقًا»[2].

وعن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: «ما انتقم رسول الله ﷺ لنفسه في شيء قط إلا أن تنتهك حرمة الله فينتقم بها لله»[3].

وقد مكث الرسول ﷺ وصحابته الكرام في مكة ثلاث عشرة سنة

---

(١) القصة منقولة هنا باختصار وتصرف، وقد رواها الحاكم (٦٠٤/٣) وقال: صحيح الإسناد، والبيهقي في دلائل النبوة (٢٧٨/٦)، وقال الحافظ ابن حجر في الإصابة(٦٠٧/٢): رجال إسناده موثقون، وقال الهيثمي في المجمع (٢٤٢/٢): رجاله ثقات.

(٢) البخاري (٥٥٧٨)، مسلم (٤٣٧٠)، والترمذي (١٩٣٨) وهذا لفظه.

(٣) البخاري (٣٢٩٦)، مسلم (٤٢٩٤).



مأمورين بالعفو، لا يقاتلون من يقاتلهم، ولا يردّون على الإيذاء بمثله، رغم ما يتعرضون له من تنكيل واضطهاد وتعذيب يومي، ورغم ما يقاسونه من ويلات ومؤامرات قد بلغت ذروة الوحشية.

وقد ذهب عبد الرحمن بن عوف وبعض الصحابة إلى النبي ﷺ بمكة فقالوا: يا رسول الله إنا كنا في عز ونحن مشركون، فلما آمنا صرنا أذلة فقال «**إني أمرت بالعفو فلا تقاتلوا..**»[(١)].

ومن المواقف التي تدلّ على حلمه وعفوه ورحمته أنه في غزوة أحد مرّ جيش المسلمين في أثناء سيره ببستان رجل كافر أعمى يدعى مربع بن قيظي، فلما سمع حسّ الجيش، قال: لا أحل لك إن كنت نبيًا أن تمر في حائطي، وأخذ في يده حفنة من تراب ثم قال: لو أعلم أن لا أصيب بها غيرك لرميت بها وجهك، وأساء الأدب مع النبي ﷺ.

فابتدره القوم ليقتلوه ويؤدبوه عقابًا له على سوء أدبه مع خير الخلق ﷺ، لكن رسول الله ﷺ بحلم وعفو ورحمة أمرهم أن يتركوه ولا يمسّوه بسوء قائلاً لهم: «**دعوه فإنه أعمى القلب أعمى البصر**»[(٢)].

وفي غزوة أحد أيضًا خلص المشركون إلى النبي ﷺ فجرحوا وجهه، وكسروا رباعيته، وهشموا الخوذة على رأسه، ورموه بالحجارة ونشبت حلقتان من المغفر في وجهه وسال الدم من وجنته.

---

(١) أخرجه النسائي (٣٠٣٦)، والحاكم (٢٣٧٧) وقال: صحيح على شرط البخاري ووافقه الذهبي.
(٢) زاد المعاد (١٩٤/٣)، وعيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير، لابن سيد الناس، (٥/٢).

وأخذت فاطمة بنت رسول الله ﷺ تغسل الدم عن وجهه فكان الدم يزيد حتى أخذت قطعة من الحصير فأحرقتها وألصقتها بالجراح فاستمسك الدم[(١)].

ثم إننا لنعجب أن نرى إزاء هذا الإيذاء الظالم والتعدي الفاحش إحسانًا وفضلاً من رسول الله ﷺ، حيث كان يمسح الدم عن وجهه قائلاً: «**اللَّهُمَّ اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون**».

قال أبو حاتم: يعني هذا الدعاء أن قال يوم أحد لما شج وجهه: «**اللَّهُمَّ اغفر لقومي**» ذنبهم بي من الشج لوجهي[(٢)].

وقال أبو بكر الجزائري: «مظاهر رحمة الحبيب ﷺ تجلّت في عفوه عن الأعمى الذي سبه ونال منه حتى همّ أصحابه بقتلِه فأبى عليهم، وقال دعوه فإنه أعمى القلب أعمى البصر، وفي قوله وهو يجفف الدم عن وجهه الكريم الشريف: «**اللَّهُمَّ اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون**»[(٣)].

ومن مواقف رحمته ﷺ وعفوه عن أعدائه، أنه بعد انتهاء معركة بدر واستقرار الرأي على قبول الفدية في الأسرى وإطلاقهم، وكان من بين هؤلاء الأسرى أبو عزة عمرو بن عبيد الله بن عثمان بن أهيب بن حذافة، وكان فقيرًا محتاجًا ذا بنات فقال: يارسول الله، لقد عرفت مالى من مال، وإني لذو حاجة وذو عيال، فامنن عليّ، فمَنَّ عليه رسول الله ﷺ، وأخذ عليه ألا يظاهر أحدًا، فقال أبو عزة يمدح رسول الله ﷺ:

---

(١) أخرجه البخاري (٢٦٩٥)، ومسلم (٣٣٤٥) من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه.
(٢) صحيح ابن حبان (٩٧٣)، والطبراني في الكبير (٥٦٩٤)، عن سهل رضي الله عنه.
(٣) هذا الحبيب لأبي بكر الجزائري ص ٢١٩.



مـن مبلـغ عـنى الرسـول محمـدًا بأنـك حـق والمليـك حميـد

وأنت امرؤ تدعو إلى الحـق والهـدى عليك مـن الله العظـيم شـهيد

وأنـت امـرؤ بوّئـت فينـا مبـاءة شـقيّ ومـن سـالمته لـسعيد

ولكن إذا نكـرت بـدرًا وأهلـه تـأوب مـا بي حـسرة وقعـود[١]

ومن ذلك أيضًا ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال:«كان ناسٌ من الأسرى يوم بدر لم يكن لهم فداء، فجعل رسول الله ﷺ فداءهم أن يعلموا أولاد الأنصار الكتابة»[٢].

فانظر إلى هذا الموقف الجليل الذى فيه الرحمة بالأسرى والحكمة في إدارة الأمور، والاهتمام بالعلم وتحصيله، سابقًا بذلك كل الأنظمة العصرية التى أقرت الخدمة الاجتماعية كعقوبة لبعض المخالفات، وإن لم ترق إلى هذا المستوى الشامخ في معاملة الأسرى.

ومن مواقف العفو أيضًا أن كفار قريش قبل صلح الحديبية بعثوا خمسين رجلاً منهم لمعسكر المسلمين ليلاً، وأمروهم أن يطيفوا بعسكر المسلمين ليصيبوا لهم أحدًا من أصحاب رسول الله ﷺ غرّة، وكان على رأسهم مكرز بن حفص، ولكن جند المسلمين البواسل استطاعوا أن يأسروهم جميعًا إلا رئيسهم مكرز الذي فرّ هاربًا، وكان على حراسة جيش المسلمين محمد بن مسلمة، فأتى بهم إلى رسول الله ﷺ، فعفا عنهم جميعًا، وخلّى سبيلهم، وقد كانوا

---

(١) البداية والنهاية (٣/٨٠، ٨١).

(٢) أخرجه أحمد (٢١٠٦)، والحاكم (٢٦٢١) وصححه، ووافقه الذهبي.

رموا في عسكر رسول الله ﷺ بالحجارة والنبل[١].

ومن مواقف عفوه ﷺ: ما رواه جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أنه غزا مع رسول الله ﷺ ناحية نجد، وفي طريق العودة فأدركتهم الظهيرة في واد كثير العضاه فنزل رسول الله ﷺ وتفرق الناس في العضاه[٢] يستظلون بالشجر ونزل رسول الله ﷺ تحت شجرة فعلق بها سيفه.

قال جابر: فنمنا نومة ثم إذا رسول الله ﷺ يدعونا فجئناه فإذا عنده أعرابي من المشركين من أعدائه يقال له غورث بن الحارث جالس.

فقال رسول الله ﷺ: **إن هذا اخترط سيفي وأنا نائم فاستيقظت وهو في يده صلتًا[٣] فقال لي: من يمنعك مني؟ قلت: الله.**

فرعب الرجل وسقط السيف من يده فتناوله رسول الله ﷺ، ورفعه، وقال للرجل: **من يمنعك مني؟** قال: كن كخير آخذ، قال: **أتشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله؟** قال: لا ولكن أعاهدك على أن لا أقاتلك ولا أكون مع قوم يقاتلونك.

قال جابر: فها هو ذا جالس ثم لم يعاقبه رسول الله ﷺ.

وخلى سبيله رسول الله ﷺ فأتى قومه فقال: جئتكم من عند خير الناس[٤].

ويتجلى أعظم مواقف العفو بعد أن تحقق النصر العظيم في فتح مكة المبين

---

(١) سيرة ابن هشام (٣ / ٩٨٩)، والبداية والنهاية (٣ / ٣٣٤).

(٢) العضاة: الجشر الذي له شوك.

(٣) صلتًا: مجردًا مشهرًا.

(٤) القصة عند البخاري (٣٨٢٢)، ومسلم (١٣٩١)، وأحمد (١٣٨١٦).

حيث صلى رسول الله ﷺ في البيت، ثم دار وكبر في نواحيه، ثم خرج من البيت وقريش قد ملأت المسجد صفوفًا ينتظرون ماذا يصنع، فقال لهم ﷺ: «**لا إله إلا الله وحده لا شريك له، صدق وعده ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده، ألا كل مأثرة أو مال أو دم فهو تحت قدمي هاتين إلا سدانة البيت وسقاية الحاج.... يا معشر قريش إن الله قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية وتعظمها بالآباء، الناس من آدم وآدم من تراب،** ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَـٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾[الحجرات:١٣].

ثم قال: **يا معشر قريش، ما ترون أني فاعل بكم؟** قالوا: خيرًا، أخ كريم، وابن أخ كريم.

قال: «**فإني أقول لكم كما قال يوسف لإخوته: لا تثريب عليكم اليوم، اذهبوا فأنتم الطلقاء**»[١].

إن عفو رسول الله ﷺ عن أعدائه بعد أن صاروا أسارى في يده، يظنون كل الظن أنهم سيأخذون بذنوبهم وجرائمهم، وقد نشف الدم في عروقهم وتيبست أعصابهم، واصفرت جلودهم من شدة ما هم فيه من الفزع والخوف أن يقضي عليهم رسول الله ﷺ بما يستحقونه قضاء يقضي عليهم، أو يضرب عليهم الرق ويجعلهم عبيدًا يتقاسمهم المجاهدون، فما زال ما فعلوه بالمستضعفين شاخصًا في النفوس، وما زالت أيديهم تقطر من دماء الشهداء،

---

(١) سيرة ابن هشام (٤ / ١٠٧٨)، وزاد المعاد (٣ / ٤٠٧، ٤٠٨).

فعند إعادة الكفار لبناء الكعبة اختلفوا لما بلغ البنيان موضع الحجر الأسود فيمن يمتاز بشرف وضعه في مكانه، واستمر النزاع أربع ليال أو خمسًا، واشتد حتى كاد يتحول إلى حرب ضروس في أرض الحرم، إلا أن أبا أمية بن المغيرة المخزومى عرض عليهم أن يحكموا فيما شجر بينهم أول داخل عليهم من باب المسجد فارتضوه، وشاء الله أن يكون ذلك رسول الله ﷺ، فلما رأوه هتفوا: **هذا الأمين**، رضيناه، هذا محمد[1].

ومن المواقف التي تنطلق من قاعدة الأمانة الإسلامية: استبقاء الرسول ﷺ لعلي بن أبي طالب في يوم الهجرة ليؤدي ما عنده من أمانات وودائع للناس رغم خروجه مضطرًا مطاردًا، مع تآمر قريش عليه لقتله.

روى ابن هشام عن ابن إسحاق قوله: «ولم يعلم فيما بلغني بخروج رسول الله ﷺ أحد حين خرج -أي للهجرة- إلا علي بن أبي طالب، وأبو بكر الصديق وآل أبي بكر.

أما علي فإن رسول الله ﷺ فيما بلغني أخبره بخروجه وأمره أن يتخلف بعده بمكة حتى يؤدي عن رسول الله ﷺ الودائع التي كانت عنده للناس.

وكان رسول الله ﷺ ليس بمكة أحد عنده شيء يخشى عليه إلا وضعه عنده، لما يعلم من صدقه وأمانته ﷺ»[2].

فهذا مثال فريد في الأمانة في أحلك الظروف، فها هو رسول الله ﷺ

---

(١) الرحيق المحتوم ص٧٩.

(٢) سيرة ابن هشام (٢/٤٨٣).

وما أذاقوه للمؤمنين بمكة من ويلات وعذابات لم يمح بعد من الذاكرة.

إن غاية ما يرجى من نفس بشرية ظلمت بكل هذه الألوان من الظلم ثم انتصرت وتمكنت من عدوها الجبار الطاغية أن تقتص منه بغير إسراف أو تعدٍّ.

ولكنها النفوس التي حلقت في سمو أخلاقي عجيب، إنه عفو عام بلا تثريب،فلله درّ هذه النفوس الربانية، ولله دَرّك يا نبي الرحمة.

نصرة المستضعفين.

كان من أخلاق نبي الرحمة ﷺ أنه يسارع لنجدة المستضعفين وإغاثة الملهوفين وإجارة المستجيرين حتى إن كانوا من غير المسلمين.

قال الله تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ﴾ [التوبة:٦].

ولنقرأ معًا موقف الرسول ﷺ من مظلوم استغاث به لإنقاذ حقّه، ولنتأمل في الظروف الصعبة التي كانت تحيط بالرسول ﷺ يومها.

قدم رجل من أراش بإبل له إلى مكّة، فاشتراها منه أبو جهل بن هشام، وماطله في تسديد أثمانها، فأقبل الأراشي حتى وقف على نادي قريش، ورسول الله ﷺ جالس في ناحية المسجد، فقال: يا معشر قريش من رجل ينصرني على أبي جهل بن هشام، فإني غريب، وابن سبيل، وقد غلبني على حقي، فقال أهل المجلس وهم يشيرون إلى رسول الله ﷺ: ترى ذلك؟ اذهب إليه، فهو ينصرك عليه.

فأقبل الأراشي حتى وقف على رسول الله ﷺ فذكر ذلك له، فخرج معه رسول الله ﷺ حتى جاءه بيت أبي جهل فضرب عليه بابه.

فقال أبو جهل: مَن هذا؟ قال: محمد، فاخرج، فخرج إليه، وما في وجهه قطرة دم، وقد اصفرّ وجهه، فقال النبي ﷺ: أعطِ هذا الرجل حقّه، فقال أبو جهل: لن يذهب الرجل حتى أعطيه حقه، فدخل بيته، ثم خرج إليه بحقه، فدفعه إليه، ثمّ انصرف رسول الله ﷺ، وقال للأراشي: الحقْ لشأنك.

فأقبل الأراشي حتى وقف على المجلس، فقال: جزاه الله خيرًا، فقد أخذ الذي لي»(١).

إن هذه الحادثة من سيرة رسول الله ﷺ العملية تكشف عن إنسانيته ووقوفه إلى جنب الإنسان المظلوم، واستنقاذ الحق، رغم أنّ الظالم كان من أعتى طواغيت قريش، ورغم العداوة التي كانت بين الرسول ﷺ وبين أبي جهل، فالرسول ﷺ لم يعتذر من الرجل لما يعلم من أبي جهل، بل صحبه إلى دار أبي جهل، ووقف بكل جرأة وشجاعة في وجه الظالم يطالبه بحق المظلوم.

والموقف كما يكشف عن مواجهة الظلم والطغيان، فإنّه يكشف عن الاهتمام بالآخرين، ونصرة المستضعفين ومشاركتهم همومهم والوقوف معهم لاستنقاذ حقوقهم الشخصية، ويبرز معانى المروءة والشهامة الأصيلة التي تدفع المرء لارتكاب المخاطر دفاعًا عن المظلومين ونصرتهم.

وقد روى الإمام أحمد في مسنده عن عبد الرحمن بن عوف عن النبي ﷺ قال: «**شهدت حلف المطيبين مع عمومتي وأنا غلام فما أحب أن لي حمر النعم وأني أنكثه**»(٢).

---

(١) البداية والنهاية (٢/٣٨٨-٣٨٩).

(٢) أحمد (١٥٦٧) وصححه أحمد شاكر والألباني في صحيح الأدب المفرد (٤٤١).

وفي رواية: «**لقد شهدت في دار عبد الله بن جدعان حلفًا لو دعيت به في الإسلام لأجبت؛ تحالفوا أن يردّوا الفضول على أهلها وألا يعزّ ظالم مظلومًا**»(١).

وحلف الفضول كان قبل المبعث بعشرين سنة، وهو أكرم حلف سمع به وأشرفه في العرب، وكان أول من تكلّم به ودعا إليه الزبير بن عبد المطلب.

وكان سببه أن رجلاً من زبيد قدم مكة ببضاعة فاشتراها منه العاص ابن وائل فحبس عنه حقه فاستعدى عليه الزبيدي الأحلاف عبد الدار ومخزومًا وجمحًا وسهمًا وعدي بن كعب فأبوا أن يعينوا على العاص بن وائل وزبروه -أي انتهروه- فلما رأى الزبيدي الشر أوفى على أبي قبيس عند طلوع الشمس وقريش في أنديتهم حول الكعبة فنادى بأعلى صوته:

يا آل فهر لمظلوم بضاعته ... ببطن مكة نائي الدار والنفر

ومحرم أشعث لم يقض عمرته ... يا للرجال وبين الحجر والحجر

إن الحرام لمن تمت كرامته ... ولا حرام لثوب الفاجر الغدر

فقام في ذلك الزبير بن عبد المطلب وقال: ما لهذا مترك.

فاجتمعت هاشم وزهرة وتيم بن مرة في دار عبد الله بن جدعان فصنع لهم طعامًا وتحالفوا وتعاقدوا وتعاهدوا بالله ليكونن يدًا واحدة مع المظلوم على الظالم حتى يؤدي إليه حقه.

فسمّت قريش ذلك الحلف حلف الفضول وقالوا: لقد دخل هؤلاء في فضل من الأمر ثم مشوا إلى العاص بن وائل فانتزعوا منه سلعة الزبيدي فدفعوها إليه.

---

(١) البدر المنير (٣٢٥/٧) وصححه ابن الملقن.

إن حلف الفضول كان تجمعاً وميثاقاً إنسانياً تنادت فيه المشاعر الإنسانية، ومكارم الأخلاق لنصرة الإنسان المظلوم، والدفاع عن الحق المسلوب، وقد أنشأته قوى اجتماعية بإحساس وجداني والتزام أخلاقي بضرورة نصرة المستضعفين والمظلومين.

إن هذه الوثيقة التاريخية تكشف لنا عن أبرز مبادئ الإسلام الإنسانية على المستوى الدولي، وهي نصرة المظلوم، والدفاع عن الحق، بغض النظر عن دين المظلوم ومذهبه وعشيرته وقوميته ووطنه..

ويعطينا هذا الحلف والميثاق دليلاً على تنظيم الإسلام للعلاقات الإنسانية على المستوى الدولي، والحثّ على الاشتراك مع الآخرين في نصرة المستضعفين وإن كانوا من غير المسلمين، ومن ذلك التعاون مع المنظمات الدولية الإنسانية التي تعمل على إغاثة المظلومين ونصرتهم، والدفاع عن حقوقهم، ومقاومة الظلم والطغيان في أي بقعة من بقاع العالم[1].

إن هذه القيمة الأخلاقية الإنسانية من أعظم القيم التي تحتاجها الإنسانية في عالمنا المعاصر، الذي صار عالم التكتلات العدوانية ضد المستضعفين، وعالم المنظمات المسخّرة لخدمة مصالح القوى العظمى المتسلطة على حساب الضعفاء.

إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يعلن اعتزازه بالاشتراك بهذا الحلف الذي عقد بالجاهلية قبل الإسلام لما اشتمل عليه من مبادئ يقرّها الإسلام

---

(١) انظر: أخلاق الحروب الإسلامية في سيرة خير البرية للمؤلف ص١٤٤.

ويدعمها من إقامة العدل ونصرة المظلومين والمستضعفين وإغاثة الملهوفين، وهذا درس أخلاقي يقدمه نبي الرحمة ﷺ لكل من يدّعون الحرص على حقوق الإنسان ثم تراهم يكيلون بمكاييل مختلفة بحسب الدين واللون والمصلحة.

احترام الآخر:

إن العلاقات في الإسلام تنبني على احترام الآخرين، وإنزالهم منازلهم مالم يوقعوا أنفسهم في مواطن الذلة ويكتبوا على أنفسهم بأفعالهم الخزى والعار.

والاحترام المتبادل هو سمة العلاقة بين الكبير والصغير، والغني والفقير، والقائد والرعيّة، وحتى مع الخصوم والأعداء لا تخلو العلاقة من احترام.

ومن المواقف التي تدعم هذا الخلق وتوضح هذا المعنى:

- مشاورة النبي ﷺ لأصحابه قبل الغزوة وهو أكمل الناس رأيًا،وأتمهم عقلاً وحكمة، «فكثيرًا ما كان الرسول ﷺ يستشير أصحابه فيما لا وحي فيه من الكتاب والسنة تعويدًا لهم على التفكير بالمشاكل العامة، وحرصًا على تربيتهم على الشعور بالمسؤولية، ورغبة في تطبيق الأمر الإلهي بالشورى، وتعويد الأمة على ممارستها»[1].

فحين نزل النبي ﷺ ببدر، قال الحباب بن المنذر يا رسول الله أهذا رأي رأيته، أم وحي؟ فقال ﷺ: **بل رأي رأيته**، قال: فإني أرى أن تنزل على ماء ونجعله خلف ظهرك وتغور المياه كلها، فقال رسول الله ﷺ: **قد اشرت بالرأي**، ونفذ ما

---

(١) السيرة النبوية الصحيحة (٢ / ٣٦٠).



أشار به الحُباب[١].

«وقد دلل النبي بهذا على تأصل روح الشورى في نفسه الشريفة فيما لم ينزل فيه وحي، وأنه على جلالة قدره، ووفور عقله، وبعد نظره لا يستبد برأيه، ولا يأنف من الرجوع إلى الحق»[٢].

وإن المتأمل في أسلوب طرح الحباب لرأيه وطريقته في إبداء المشورة ثم في نزول النبي ﷺ على رأيه وإثنائه عليه ليلحظ بسهولة ما تتميز به العلاقة بين النبي ﷺ وأصحابه من معاني الاحترام والتقدير المتبادل.

وفي غزوة الأحزاب نزل النبي ﷺ على رأي الصحابي الجليل سلمان الفارسي بحفر خندق في الجهة الشمالية من المدينة وقد كان الاقتراح موفقًا لأبعد حدّ، وكان سببًا مباشرًا في رد اعتداء الأحزاب على المدينة، حيث كان دخولهم إلى المدينة سيؤدي إلى إراقة الكثير من الدماء[٣].

ومما يدل على احترام رسول الله ﷺ للنفس البشرية وتعليمه ذلك لأصحابه ما رواه قيس بن سعد وسهل بن حنيف أنهما كانا بالقادسية فمرت بهما جنازة فقاما فقيل لهما: إنها من أهل الذمة، فقالا: إن رسول الله ﷺ مرّت به جنازة فقام، فقيل: إنه يهودي، فقال: «**أليست نفسًا؟!**»[٤].

---

(١) سنن البيهقي الكبرى (١٧٩٠٢)، وأسد الغابة (١ / ٢٣١)، زاد المعاد (٣/ ١٧٥).

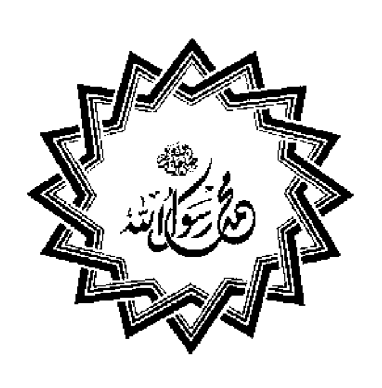
(٢) السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة (٢ / ١٣٤).

(٣) زاد المعاد (٣ / ٢٧١).

(٤) البخاري (١٢٢٩) ومسلم (١٥٩٦).

ومن ذلك أيضًا أن رسول الله ﷺ أمر بعد غزوة أُحُد بقتلى المشركين فنقلوا من مصارعهم التى كانوا بها إلى قليب بدر [١] ليدفنوا فيها، وقد كانت هذه هى سنة رسول الله ﷺ مع القتلى.

فقد روى عمر بن يعلى بن مرة عن أبيه قال: «سافرت مع النبى ﷺ غير مرة فما رأيته مرّ بجيفة إنسان إلا أمر بدفنه لا يسأل أمسلم هو أم كافر؟» [٢].



(١) القليب بئر لم تبن جوانبها بالطوب فانهارت.

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك (١٣٧٤) وقال هذا حديث صحيح على شرط مسلم، والدارقطني في سننه (٤١)، والبيهقى في الكبرى (٦٤٠٩).


هذا محمد
صلى الله عليه وسلم
رحمة للعالمين وخاتم النبيين



الفَصْلُ الرَّابِعُ

الدعوة والرسالة

دعوة النبي الكريم محمد ﷺ لم تكن دعوة مبتدعة لشيء لم يسبق إليه وإنما جاءت تلكم الدعوة المباركة امتدادًا وتقريرًا لكل الرسالات الربانية السابقة الداعية للتوحيد؛ لكن دعوته ورسالته ﷺ هي آخر الرسالات وخاتمتها، والكتاب الذي أنزل عليه هو مصدق لكل الكتب السابقة له، وهو آخرها والمهيمن عليها.


هذا محمد
صلى الله عليه وسلم
رحمة للعالمين وخاتم النبيين

الدعوة والرسالة

قد يتساءل البعض: لماذا أرسل الله محمدًا ﷺ؟

وإلى أي شيء كان يدعو نبي الرحمة محمد ﷺ؟ وما هي رسالته؟

وما موقف نبي الرحمة محمد ﷺ ممن سبقه من الأنبياء والرسل؟

وللإجابة على هذه الأسئلة نقول:

إن نبي الرحمة محمدًا ﷺ هو خاتم الأنبياء والمرسلين، وقد جاء يدعو إلى ما كان يدعو إليه كل نبي أرسله الله وهو توحيد الله تعالى وعبادته وحده لا شريك له، ونبذ كل أشكال الشرك والكفر والعبودية لغير الله.

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء:٢٥].

وقال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل:٣٦].

وقال: ﴿وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [الزمر:٦٥].

وقال: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف:١١٠].

فدعوة النبي الكريم محمد ﷺ لم تكن دعوة مبتدعة لشيء لم يسبق إليه وإنما جاءت تلكم الدعوة المباركة امتدادًا وتقريرًا لكل الرسالات الربانية السابقة الداعية للتوحيد؛ لكن دعوته ورسالته ﷺ هي آخر الرسالات

وخاتمتها، والكتاب الذي أنزل عليه هو مصدق لكل الكتب السابقة له، وهو آخرها والمهيمن عليها.

قال الله تعالى: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ﴾ [المائدة:٤٨].

والنبي الكريم محمد ﷺ هو المصدق لكل الأنبياء المتمم والمكمل لكل الرسالات الربانية، بَيْد أنه خاتم النبيين الذي ليس بعده رسول ولا نبي.

قال الله تعالى: ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴾ [الأحزاب:٤٠].

ولقد دعا النبي محمد ﷺ إلى الإيمان بالأنبياء والرسل جميعًا، وتصديق ما جاءوا به من رسالات، والإيمان بما أنزل عليهم من الكتب، مع توقيرهم وتعظيمهم، وبيان أنهم جميعًا إخوة.

قال الله تعالى: ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴾ [البقرة:٢٨٥].

وقال: ﴿ قُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴾ [البقرة:١٣٦].

وقال رسول الله ﷺ: «**الأنبياء إخوة لعلات أمهاتهم شتى ودينهم واحد**»(١)

ومعنى ذلك أن الأنبياء أصل دينهم واحد وهو التوحيد، وإنما يختلفون في فروع الشرائع.

فأصل دعوة النبي الكريم محمد ﷺ تتلخص في بناء معتقدات صحيحة على أسس شرعية وعقلية سليمة، فهي دعوة إلى الإيمان بالله وتوحيده في إلهيته وربوبيته، فلا يستحق العبادة إلا إله واحد وهو الله سبحانه، لأنه رب هذا الكون وخالقه ومالكه ومدبّر شؤونه ومصرّف أموره والحاكم فيه بأمره، والذي يملك الضرّ والنفع، والذي يملك رزق كل المخلوقات، والذي له كل صفات الكمال، والمقدّس عن كل عيب أو نقص أو خلل، ولا يشاركه في ذلك أحد، ولا يكافئه أو يماثله أحد، فهو منزه سبحانه عن الشركاء والأنداد والأقران والأكفاء.

قال الله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [سورة الإخلاص].

وقال الله تعالى: ﴿فَاطِرُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ أَزْوَٰجًا ۖ يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ ۚ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ۝١١ لَهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الشورى:١١-١٢].

ودعوة النبي الكريم محمد ﷺ دعوة تهدم الشرك بكل أشكاله، فلا عبادة للأحجار والأشجار والأبقار، والبشر والشمس والقمر والنجوم والنار، ولا

---

(١) البخاري(٣١٨٧)، ومسلم (٤٣٦٠).

عبادة كذلك للمال والشهوات والأهواء والسلاطين وطواغيت الأرض.

قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ وَلَآ أُشْرِكَ بِهِۦٓ ۚ إِلَيْهِ أَدْعُوا۟ وَإِلَيْهِ مَـَٔابِ﴾ [الرعد:٣٦].

وقال: ﴿فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ وَٱجْتَنِبُوا۟ قَوْلَ ٱلزُّورِ ﴿٣٠﴾ حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِۦ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ [الحج:٣٠-٣١].

وقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا﴾ [النساء:٤٨].

وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:٢١-٢٢].

إنها دعوة جاءت لتحرّر البشرية من عبادة العباد، وتخرجها من ذلّ الوثنيات وظلم الطواغيت، وتخلصّها من أسر الشهوات الفاجرة والأهواء الجائرة.

ومن هذا المنطلق السامي جاءت دعوة النبي الكريم محمد ﷺ لتكمل مكارم الأخلاق وتتمم صالحها، ولذلك تجد أن هذه الرسالة العظيمة قد اشتملت على الدعوة إلى كل خلق صالح كريم كالصدق والأمانة والبرّ والإحسان والكرم وصلة الرحم والوفاء والإيثار والحلم والعدل والتواضع والرحمة والحبّ والحياء.

وفي ذات الوقت نهى النبي الكريم محمد ﷺ عن كل الأخلاق الذميمة،

والصفات القبيحة، وخصال الجاهلية المقيتة مثل الظلم والغش والخيانة والخداع والغدر والكذب والبخل والشحّ والجبن والفحش والفجور والتعصّب والعنصرية واحتقار الآخرين والتفاخر بالأنساب واحتقار المرأة ووأد البنات وقتل الأبناء خشية الفقر.

قال الله تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (١٥١) وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (١٥٢) وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام:١٥١-١٥٣].

وبلغ اعتناء هذه الدعوة الكريمة بالأخلاق درجة النصّ على أن سبب البعثة وعلة الرسالة هو تقويم الأخلاق وإشاعة مكارمها في صورة كاملة تامة، مع العمل على إصلاح ما أفسدته الجاهلية منها، وقد جاء هذا التعليل صريحًا على لسان النبي الكريم ﷺ حيث قال: «**إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق**»[(١)].

لقد بعث النبي ﷺ في فترة لم يكن فيها رسل ولا أنبياء، وانطمست فيها

(١) أخرجه أحمد (٨٥٩٥) من حديث أبي هريرة ﷺ، وسنده صحيح، قال الهيثمي في المجمع: رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح، وصحح العجلوني سنده في كشف الخفاء، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢٣٤٩).

سبل الحقّ عن كثير من الناس، فانتشرت فيهم الوثنيات والشركيات والعادات الجاهلية، وتلاعب الشيطان بعقول الناس فأوقعهم في شَرَك الإيمان بالخرافات والخزعبلات، حتى ارتكبوا من الجرائم والحماقات ما ترفضه العقول السليمة وتأباه الفطرة السوية وتستنكف منه الطبيعة الإنسانية الطاهرة.

لقد عاشت البشرية قبل بعثة النبي ﷺ عصورًا مظلمة تفتقر إلى بصيص من نور، حيث ضُيعت رسالات الأنبياء وحُرِّفت الكتب التي أنزلها الله على رسله مثل كتب اليهود والنصارى، التوراة والإنجيل، وأثّرت الفلسفات الوثنية والأديان الشركية القديمة في عقائد أهل الكتاب حتى صارت صورة مشابهة لهذه الوثنيات.

وانتشر في مقابل ذلك الشرك بكل صوره، والوثنية بكل أشكالها، وتردّت أخلاق الأكثرين إلى أقصى دركات السفول.

في هذا الوقت جاءت بعثة النبي ﷺ مشكاة مضيئة وسراجًا منيرًا يبدّد دياجير الظلمة ويهدي إلى الحق، وينقذ البشرية جمعاء من التردّي في أوحال الشرك والكفر والفساد الخلقي.

قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴿٤٦﴾ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴿٤٧﴾ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَدَعْ أَذَىٰهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴾[الأحزاب:٤٥-٤٨].

جاءت هذه الدعوة لتكون رحمة للناس جميعًا من ذلّ العبودية ومهانة الخضوع لغير الله، فمن استجاب لهذه الدعوة فقد أكرم نفسه وخلّصها من المهانة، ومن أعرض عنها واستسلم لهوى نفسه فقد كتب على نفسه ذلّ الدنيا والآخرة.

قال الله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾ قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٨﴾ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُلْ ءَاذَنتُكُمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ وَإِنْ أَدْرِىٓ أَقَرِيبٌ أَم بَعِيدٌ مَّا تُوعَدُونَ ﴿١٠٩﴾ إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ ﴿١١٠﴾ وَإِنْ أَدْرِى لَعَلَّهُۥ فِتْنَةٌ لَّكُمْ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿١١١﴾ قَٰلَ رَبِّ ٱحْكُم بِٱلْحَقِّ وَرَبُّنَا ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧-١١٢].

وعلى هذا كان نبي الرحمة محمد ﷺ يبايع أصحابه رضوان الله عليهم ويأخذ عليهم العهد والميثاق.

فعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال لأصحابه: «**بايعوني على أن لا تشركوا بالله شيئًا، ولا تسرقوا، ولا تزنوا، ولا تقتلوا أولادكم، ولا تأتوا ببهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم، ولا تعصوا في معروف، فمن وفّى منكم فأجره على الله، ومن أصاب من ذلك شيئًا فعوقب في الدنيا فهو كفارة له، ومن أصاب من ذلك شيئًا ثم ستره الله فهو إلى الله إن شاء عفا عنه وإن شاء عاقبه**» فبايعوه على ذلك[1].

وقد كانت مفردات تلك الدعوة العظيمة واضحة في خطابات المسلمين إلى غير المسلمين حين يشرحون دعوتهم ويُجلّون للناس حقيقتها.

فقد وقف جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه ممثلاً للمسلمين يخاطب النجاشي وأساقفته حين سألهم النجاشي فقال لهم: ما هذا الدين الذي قد فارقتم فيه

---

(١) البخاري (١٧)، مسلم (٣٢٢٣).

قومكم به ولم تدخلوا ديني، ولا في دين أحد من هذه الملل؟

فقال جعفر: «أيها الملك، كنّا قومًا أهل جاهلية نعبد الأصنام، ونأكل الميتة، ونأتي الفواحش، ونقطع الأرحام، ونسيء الجوار، ويأكل القوي منا الضعيف.

فكنا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولاً منا، نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه، **فدعانا إلى الله لنوحّده ونعبده، ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان، وأمرنا بصدق الحديث وأداء الأمانة وصلة الرحم وحسن الجوار والكفّ عن المحارم والدماء، ونهانا عن الفواحش وقول الزور وأكل مال اليتيم وقذف المحصنات، وأمرنا أن نعبد الله وحده لا نشرك به شيئًا، وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام..**

فصدقناه وآمنا به واتبعناه على ما جاء به من الله، فعبدنا الله وحده فلم نشرك به شيئًا، وحرمنا ما حرم علينا، وأحللنا ما أحل لنا، فعدا علينا قومنا، فعذبونا، وفتنونا عن ديننا، ليردونا إلى عبادة الأوثان من عبادة الله تعالى، وأن نستحل ما كنا نستحل من الخبائث، فلما قهرونا وظلمونا وضيقوا علينا، وحالوا بيننا وبين ديننا، خرجنا إلى بلادك، واخترناك على من سواك؛ ورغبنا في جوارك، ورجونا أن لا نظلم عندك أيها الملك» [(١)].

وحين تعجّب رستم ملك الفرس من مجيء المسلمين لغزو الفرس وفتح بلاد العراق، ووجّه سؤاله في دهشة للصحابي الجليل ربعي بن عامر قائلاً: ما جاء بكم؟

قال ربعي: «إن الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله،

---

(١) سيرة ابن هشام (١/٣٣٧)، والروض الأنف للسهيلي (٢/١١١).

ومن ضيق الدنيا إلى سعتها، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام، فأرسلنا بدينه إلى خلقه لندعوهم إليه، فمن قَبل ذلك قبلنا منه ورجعنا عنه، ومن أَبَى قاتلناه أبدًا حتى نقضي إلى موعود الله».

قالوا: وما موعود الله؟

قال: «الجنة لمن مات على قتال من أَبى، والظفر لمن بقي»[١].

وعندما سأل هرقل أبا سفيان عن النبي ﷺ فقال: ماذا يأمركم؟

قال أبو سفيان: «يقول اعبدوا الله وحده ولا تشركوا به شيئًا، واتركوا ما يقول آباؤكم ويأمرنا بالصلاة والزكاة والصدق والعفاف والصلة»[٢].

وعندما سأل كسرى ملك الفرس المغيرة بن شعبة: من أنتم؟

قال المغيرة بن شعبة: «نحن أناس من العرب كنّا في شقاء شديد، وبلاء شديد، نمصّ الجلد والنوى من الجوع، ونلبس الوبر والشعر، ونعبد الشجر والحجر.

فبينا نحن كذلك إذ بعث ربّ السموات ورب الأرضين تعالى ذكره وجلت عظمته إلينا نبيًا من أنفسنا نعرف أباه وأمه، فأمرنا نبينا رسول ربنا ﷺ أن نقاتلكم حتى تعبدوا الله وحده أو تؤدّوا الجزية، وأخبرنا نبينا ﷺ عن رسالة ربنا أنه من قتل منا صار إلى الجنة في نعيم لم ير مثلها قط، ومن بقي منا ملك رقابكم»[٣].

وانطلاقًا من قاعدة التوحيد ونبذ الشرك نهى النبي ﷺ عن تعظيم الأشخاص،

---

(١) البداية والنهاية، لابن كثير، (٥ / ١٠٧، ١٠٨).

(٢) البخاري (٦)، مسلم (٣٣٢٢).

(٣) البخاري (٢٩٢٥).



وتأليه البشر أو الغلو فيهم مهما كانت منزلتهم ومكانتهم وعلمهم، حتى أنه نهى المسلمين عن الغلو فيه كما غلا النصارى في المسيح ﷺ واتخذوه إلهًا.

فقد قال النبي ﷺ: «**لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم فإنما أنا عبده، فقولوا: عبد الله ورسوله**»[١].

بل كان النبي ﷺ ينهى عن أي شبهة أو ذريعة للغلو فيه ولو كانت باللفظ دون الاعتقاد.

فقد جاء رجل إلى رسول الله ﷺ يكلّمه في بعض الأمر، فقال: ما شاء الله وشئت، فقال ﷺ: أجعلتني لله عدلاً (أي شريكًا ومكافئًا)؟! قل: **ما شاء الله وحده**»[٢].

وعن عدي بن حاتم رضي الله عنه أن رجلاً خطب عند النبي ﷺ فقال: من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعصهما فقد غوى، فقال رسول الله ﷺ: «**بئس الخطيب أنت، قل: ومن يعص الله ورسوله فقد غوي**»[٣].

ونهى النبي ﷺ عن اتخاذ قبره مسجدًا وجعله وثنًا يعبده الناس ويمارسون عنده الشعائر الشركية.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان يقول: «**اللّهُمَّ لا تجعل قبري وثنًا، لعن الله قومًا اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**»[٤].

---

(١) البخاري (٣٢٩٨)، مسلم (٤٢٨٤).
(٢) أحمد (١٧٤٢) وصححه أحمد شاكر.
(٣) مسلم (١٤٣٨).
(٤) أحمد (٧٠٥٤) وصححه الألباني في فقه السيرة (٥٣).

وقال النبي ﷺ: «**لا تجعلوا قبري عيدًا، وصلوا عليّ**[١]**، فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم**»[٢].

«**لا تجعلوا قبري عيدًا**» معناه النهي عن الاجتماع لزيارته اجتماعهم للعيد كراهة أن يتجاوزوا حدّ التعظيم، وغلقًا لباب الغلو[٣].

فلم يكن النبي الكريم محمد ﷺ داعيًا لمصلحة خاصة، أو محاربًا من أجل مجد شخصي، وإنما كانت دعوته كلها لتوحيد الله وتخليص الناس من ذلّ كل عبودية لغيره، وحرب كل أشكال الشرك والكفر والانحراف الخلقي.

وقد كان النبي الكريم محمد ﷺ يعلن دائمًا أنه لا يملك للناس شيئًا، وأن ما عليه هو البلاغ فقط، والأمر كله لله من قبل ومن بعد.

قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَدْعُوا رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا (٢٠) قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا (٢١) قُلْ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِ مُلْتَحَدًا (٢٢) إِلَّا بَلَاغًا مِّنَ اللَّهِ وَرِسَالَاتِهِ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا (٢٣) حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا (٢٤) قُلْ إِنْ أَدْرِي أَقَرِيبٌ مَّا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُ رَبِّي أَمَدًا (٢٥) عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا (٢٦) إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا (٢٧) لِّيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالَاتِ رَبِّهِمْ

---

(١) معنى "وصلوا عليّ" أي ادعوا الله أن يصلي عليّ، وصلاة الله على النبي معناها ثناء الله على النبي عند الملائكة ومباركته، وإظهار شرفه وفضله وحرمته، انظر: جلاء الأفهام لابن القيم (ص١٦١).

(٢) أحمد (٨٤٤٩)، وأبو داود (١٧٤٦) وصححه النووي في الأذكار (١٥٤)، والألباني في صحيح أبي داود (٢٠٤٢)، وحسن ابن تيمية إسناده في اقتضاء الصراط المستقيم (٢/١٦٩).

(٣) انظر: اقتضاء الصراط المستقيم لابن تيمية (٢/١٦٩)، وفيض القدير للمناوي (٤/٢٦٣).

وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا﴾ [الجن: ٢٠-٢٨].

وقال: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ۚ ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ۗ يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِىٌّ عَنْهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٧﴾ قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُ ۚ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٧-١٨٨].

وحين أنزل الله ﷻ قوله: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤] قام رسول الله ﷺ يخطب في الناس قائلاً: «**يا معشر قريش، اشتروا أنفسكم لا أغني عنكم من الله شيئًا، يا بني عبد مناف لا أغني عنكم من الله شيئًا، يا عباس بن عبد المطلب لا أغني عنك من الله شيئًا، ويا صفية عمة رسول الله لا أغني عنك من الله شيئًا، ويا فاطمة بنت محمد سليني ما شئت من مالي لا أغني عنك من الله شيئًا**»[1].

وقد نجح النبي الكريم ﷺ في إبلاغ رسالته وأداء وظيفته، ونجحت تلك الدعوة المباركة في تحقيق هدفها حين قدّمت المثال العملي الواقعي في تلك الأمة الإسلامية التي توحّد ربها، وتدعو للفضائل، وتأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، فاستحقّت أن تكون خير أمة أخرجت للناس.

قال الله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۗ﴾ [آل عمران: ١١٠].

---

(١) البخاري (٢٥٤٨)، مسلم (٣٠٣).





المعجزات ودلائل النبوة

أعظم معجزات النبي الكريم محمد ﷺ هو القرآن الكريم الذي اشتمل على وجوه متعددة من الإعجاز مثل: الإعجاز البياني، والإعجاز العلمي، والإعجاز التشريعي، والإخبار بالأمور المستقبلية والغيبية.. وغير ذلك.


هذا محمد صلى الله عليه وسلم
رحمة للعالمين وخاتم النبيين

المعجزات ودلائل النبوة

من المعلوم أن النبي ﷺ له معجزات ودلائل كثيرة تدل على صدق نبوته وتأييده من الله ﷻ ومن أهم هذه المعجزات والدلائل:

١- القرآن الكريم:

أعظم معجزات النبي الكريم محمد ﷺ هو القرآن الكريم الذي اشتمل على وجوه متعددة من الإعجاز مثل: الإعجاز البياني، والإعجاز العلمي، والإعجاز التشريعي، والإخبار بالأمور المستقبلية والغيبية.. وغير ذلك.

وقد تحدّى الله الكفار أن يأتوا بمثله فعجزوا، كما أخبر القرآن: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾[الإسراء:٨٨].

وتحداهم أن يأتوا بعشر سور من مثله فعجزوا، قال الله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَـٰتٍ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴾[هود:١٣].

بل تحداهم أن يأتوا بسورة واحدة من مثله فعجزوا، قال الله ﷻ: ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴾[البقرة:٢٣].

وهذا التحدي قائم إلى قيام الساعة لكلّ الإنس والجن، فهل يستطيعون أن



يأتوا بمثله؟ نحن نؤكد ونجزم أنهم لم ولن يستطيعوا أبدًا أن يأتوا ولو بسورة واحدة من مثل هذا القرآن المعجز.

والحمد لله نحن أمة المسلمين استمر وجود معجزتنا إلى ما بعد وفاة نبينا الكريم ﷺ، ولم يرتبط وجودها بحياته ﷺ كعادة المعجزات التي ترتبط بحياة أصحابها، فالقرآن هو المعجزة الباقية إلى قيام الساعة.

وقد شهد بإعجاز القرآن الكريم الكثيرون من غير المسلمين ومنهم:

» «**الوليد بن المغيرة**» الذي مات كافرًا غير مؤمن بالقرآن لكنه شهد له بالبلاغة وحسن البيان وقوة التأثير قائلاً: «فوالله ما فيكم رجل أعلم بالأشعار مني، ولا أعلم برجزه ولا بقصيده مني، ولا بأشعار الجن؛ والله مايشبه الذي يقول -أي القرآن- شيئًا من هذا، ووالله إن لقوله الذي يقول لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإنه لمثمر أعلاه، مغدق أسفله، وإنه ليعلو وما يعلى عليه، وإنه ليحطم ما تحته»(١).

» البروفيسور العالمي الدكتور «**كيث مور**» الذي شهد للقرآن قبل أن يعلن إسلامه بعد أن أدهشه ما يحتويه القرآن من حقائق علمية وعجائب تشهد بأنه وحي الله.

والبروفيسور كيث مور هو صاحب كتاب:

«أطوار خلق الإنسان» (The Developing Human)، وهو مرجع علمي عالمي مترجم بثماني لغات.

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب (٢٨٥/٤).

وقد كُوِّنت لجنة في أمريكا على أعلى مستوى لاختيار أحسن كتاب في العالم ألّفه مؤلف واحد، وكان هذا الكتاب هو الفائز عند تلك اللجنة.

وقد التقى عدد من علماء المسلمين من هيئة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة بالبروفيسور كيث مور، ودار بينهم حوار منشور وموثّق بالصوت والصورة على موقع الهيئة على شبكة المعلومات الدولية، وإليكم ما جاء على الموقع:

«التقينا به وعرضنا عليه كثيراً من الآيات والأحاديث المتعلقة بمجال تخصصه في علم الأجنة فاقتنع بما عرضنا عليه وقلنا له: إنك ذكرت في كتابك القرون الوسطى وقلت إن هذه القرون لم يكن فيها تقدم لعلم الأجنة، بل لم يعلم فيها إلا الشيء القليل، وفي هذه العصور عندكم كان القرآن ينزل عندنا، وكان محمد ﷺ يعلّم الناس الهدى الذي جاء من عند الله سبحانه وتعالى وفيه الوصف الدقيق لخلق الإنسان ولأطوار خلق الإنسان، وأنت رجل عالمي فلماذا لم تنصف وتضع في كتابك هذه الحقائق؟

فقال: الحجة عندكم وليست عندي قدِّموها لنا.

ففعلنا فكان هو كذلك عالماً شجاعاً، فوضع إضافة في الطبعة الثالثة وهي الآن منتشرة في العالم بثماني لغات يقرؤها أكابر العلماء في العالم الذين ينطقون باللغة الإنجليزية والروسية والصينية واليابانية والألمانية والإيطالية واليوغوسلافية والبرتغالية، أكابر العلماء في العالم الناطقون بهذه اللغات يقرؤون ما أضافه البروفيسور كيث مور في هذا الباب.

يقول البروفيسور كيث مور في كتابه تحت عنوان «العصور الوسطى»:

كان تقدم العلوم في العصور الوسطى بطيئاً ولم نعلم عن علم الأجنة إلا



الشيء القليل، وفي القرآن الكريم الكتاب المقدس لدى المسلمين ورد أن الإنسان يخلق من مزيج من الإفرازات من الذكر والأنثى، وقد وردت عدة إشارات بأن الإنسان يخلق من نطفة من المني، وبيّن أيضًا أن النطفة الناتجة تستقر في المرأة كبذرة بعد ستة أيام، والمعروف أن البيضة الملقحة بعد أن تكون قد بدأت في الانقسام تبدأ في النمو بعد ستة أيام من الإخصاب، ويقول القرآن الكريم أيضاً: إن النطفة (المني) تتطور لتصبح قطعة من دم جامد (علقة) وأن البُييضة الملقحة بعد أن تكون قد بدأت في الانقسام أو أن البُييضة الملقحة التي بدأت بالانقسام أو الحمل المجهض تلقائياً يمكن أن تشبه العلقة، ويمكن رؤية مظهر الجنين في تلك المرحلة يشبه العلقة.

ويكون مظهر الجنين في هذه المرحلة يشبه شيئاً ممضوغاً كاللبان أو الخشب ويظهر وكأن فيها آثار الأسنان التي مضغتها، ولقد اعتبر الجنين في الشكل الإنساني بعد مضي أربعين أو اثنين وأربعين يوماً ولا يشبه بعدها جنين الحيوان؛ لأن الجنين البشري يبدأ باكتساب مميزات الإنسان في هذه المرحلة،.. قال تعالى: ﴿يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِّن بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ﴾ [الزمر:٦]، إن الجنين يتطور داخل ثلاثة حجب مظلمة، وهذا قد يشير إلى:

١- جدار البطن الخارجي للمرأة.

٢- جدار الرحم.

٣- الغشاء الداخلي الذي يحيط بالجنين مباشرة.

وقد اقتنع الأستاذ كيث مور أيضًا بأن التقسيم الذي تقسم إليه أطوار الجنين في بطن أمه الآن في العالم كله تقسيم صعب غير مفهوم، ولا ينفع في

فهم مراحل تطور الجنين، ذلك لأنه يقسم المراحل تقسيماً رقمياً أي المرحلة الأولى، والثانية، الثالثة، الرابعة وهكذا....

أما التقسيم الذي جاء به القرآن فلا يعتمد على الأرقام بل يعتمد على الأشكال المتميزة الجلية فكانت التقسيمات في كتاب الله: «نطفة –علقة- مضغة –عظام- كساء العظام باللحم -النشأة خلقاً آخر..» وهناك تفاصيل متفاوتة في كل منها.

وعن هذه التقسيمات القرآنية التي تعتمد على الشكل المحدّد المتميز عن الشكل الآخر قال البروفيسور كيث مور: هي تقسيمات علمية دقيقة، وتقسيمات سهلة ومفهومة ونافعة، ووقف في أحد المؤتمرات يعلن هذا فقال الدكتور كيث مور: «يحمي الجنين في رحم الأم ثلاثة أحجبة أو طبقات موضحة في التالي:

أ- الجدار البطني.

ب- الجدار الرحمي.

ج- الغشاء.

لأن مراحل تطور الجنين البشري معقدة وذلك بسبب التغيرات المستمرة التي تطرأ عليه فإنه يصبح بالإمكان تبني نظام جديد في التصنيف باستخدام الاصطلاحات والمفاهيم التي ورد ذكرها في القرآن والسنة، ويتميز النظام الجديد بالبساطة والشمولية إضافة إلى انسجام مع علم الأجنة الحالي.

لقد كشفت الدراسات المكثفة للقرآن والحديث خلال السنوات الأربعة الأخيرة جهاز تصنيف الأجنة البشرية الذي يعتبر مدهشًا، حيث إنه سجّل في القرن السابع بعد الميلاد فيما يتعلق بما هو معلوم من تاريخ علم الأجنة، لم



يكن يُعرف شيء عن تطور وتصنيف الأجنة البشرية حتى حلول القرن العشرين؛ ولهذا السبب فإن أوصاف الأجنة البشرية في القرآن الكريم لا يمكن بناؤها على المعرفة العلمية للقرن السابع.

ثم قال البروفيسور كيث مور: «**الاستنتاج الوحيد المعقول هو أن هذه الأوصاف قد أوحيت إلى محمد من الله؛ إذ ما كان له أن يعرف مثل هذه التفاصيل لأنه كان أمياً، ولهذا لم يكن قد نال تدريباً علمياً**».

ولما قيل للدكتور مور: إن هذا الذي قلته صحيح، ولكنه أقل مما عرض عليك من حقائق الكتاب والسنة في مجال علم الأجنة فلم لا تكون منصفًا، وتفسح المجال لبيان جميع الآيات والأحاديث التي وردت في القرآن المتعلقة بمجال اختصاصك؟

فقال كيث مور: لقد كتبت القدر المناسب في المكان المناسب في كتاب علمي متخصص، ولكني أسمح لك أن تضيف إلى كتابي إضافات إسلامية تجمع فيها جميع الآيات والأحاديث التي تحدثنا عنها وناقشناها وتضعها في مواضعها المناسبة من كتابي هذا وبعد ذلك تقدم وتبين أوجه الإعجاز في هذا الكتاب.

فتم ذلك بالفعل، وبعد ذلك وضع الدكتور كيث مور مقدمة هذه الإضافات الإسلامية فكان الكتاب هو الذي اقترحه البروفيسور كيث مور مع الإضافات الإسلامية، والكتاب منشور على موقع هيئة الإعجاز العلمي، كما نشر الموقع بحثاً للبروفيسور كيث مور في نفس الموضوع[1].

---

(١) يمكن مراجعة قصة الدكتور كيث مور واعترافاته بإعجاز القرآن موثقة بالصوت والصوت على موقع "الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة": http://www.eajaz.org.

- ومن هؤلاء الذين شهدوا للقرآن وإعجازه أيضًا أستاذ الجراحة العالمي وعالم التشريح الفرنسي الدكتور «**موريس بوكاي**» الذي أعلن إسلامه بعد أن ثبت له بالدليل العلمي أن القرآن كتاب معجز من عند الله.

وتبدأ قصة موريس بوكاي مع الإسلام عندما تسلم الرئيس الفرنسي الراحل فرانسوا ميتران زمام الحكم في فرنسا عام ١٩٨١م، وطلبت فرنسا من مصر في نهاية الثمانينات استضافة مومياء الفرعون لإجراء اختبارات وفحوصات أثرية عليه وترميمه، وبالفعل تمّ نقل جثمان الفرعون إلى فرنسا، وهناك اصطفّ الرئيس الفرنسي ووزراؤه وكبار المسؤولين الفرنسيين ليستقبلوا الفرعون المصري.

وعندما انتهت مراسم الاستقبال الملكي للفرعون على أرض فرنسا، حملت مومياء الفرعون ونقلت إلى جناح خاص في مركز الآثار الفرنسي، ليبدأ بعدها أكبر علماء الآثار في فرنسا وأطباء الجراحة والتشريح دراسة تلك المومياء واكتشاف أسرارها، وكان رئيس الجراحين والمسئول الأول عن دراسة هذه المومياء هو البروفيسور موريس بوكاي.

وبينما كان المعالجون مهتمين بترميم المومياء، كان اهتمام البروفيسور موريس بوكاي هو محاولة اكتشاف كيفية موت هذا الفرعون؛ لأن جثة رمسيس الثاني ليست كباقي جثث الفراعين التي تم تحنيطها من قبل.

وبعد بحث وكشف ظهرت النتائج النهائية للبروفيسور موريس، وتبين وجود بقايا الملح عالقة في جسد الفرعون، كما أظهرت أشعة إكس أن عظامه مكسورة بدون تمزق الجلد، وهذا يعني أن هذا الفرعون مات غريقًا، فقد



تكسّرت عظامه دون اللحم بسبب قوة ضغط الماء، واستخرجت جثته من البحر بعد غرقه فورًا ثم أسرعوا بتحنيط جثته لينجو بدنه.

وأعدّ موريس بوكاي تقريرًا عما كان يعتقد أنه اكتشاف جديد يذكر فيه انتشال جثة فرعون من البحر، وكان يحلم بسبق صحفي كبير نتيجة هذا الاكتشاف، لكن أحد زملائه همس في أذنه قائلاً: لا تتعجل يا بروفيسور موريس، فإن المسلمين يؤمنون بالفعل بغرق هذه المومياء، لأن قرآنهم منذ أربعة عشر قرنًا يخبرهم بذلك.

فتعجب البروفيسور بوكاي من هذا الكلام؛ لأن مثل هذا الأمر لا يمكن اكتشافه إلا من خلال أجهزة حديثة بالغة الدقة من جهة،كما أن هذه المومياء لم تكتشف إلا في عام ١٨٩٨م من جهة أخرى، فكيف يمكن للقرآن الكريم الذي أنزل من أربعة عشر قرنًا أن يقرر هذه الحقيقة العلمية التي لم يذكرها كتاب قبله أو بعده؟

راجع موريس بوكاي كتاب اليهود والنصارى المقدّس لديهم بعهديه القديم والجديد محاولاً الوصول إلى مصير جثة فرعون في هذه الكتب، لكنه ازداد حيرة حين علم أن كلاً من التوراة والإنجيل لم يتحدث عن نجاة هذه الجثة وبقائها سليمة.

وبعد أن تمت الأبحاث على جثمان فرعون وتم ترميمه أعادت فرنسا لمصر المومياء، لكن موريس بوكاي لم يهدأ له بال منذ أن عرف الخبر الذي يتناقله المسلمون عن سلامة هذه الجثه فقرر السفر لبلاد المسلمين لمقابلة عدد من علماء التشريح المسلمين وهناك كان أوّل حديث تحدثه معهم عما اكتشفه من نجاة جثة فرعون بعد الغرق.

فقام أحدهم وفتح له المصحف وقرأ له قوله تعالى:﴿ فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً ۚ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنْ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ ﴾ [يونس: ٩٢].

وكان وقع الآية شديدًا على موريس بوكاي، وبعد بحث علمي دقيق وتفكير عقلاني عميق، لم يجد موريس بوكاي سوى التسليم لهذا الكتاب المعجز وإعلان إسلامه لله ﷻ، فمثل هذا القرآن لا يمكن أن يكون إلا من عند الله.

ثم رجع موريس بوكاي إلى فرنسا ومكث عشر سنوات ليس لديه شغل سوى دراسة القرآن ومدى تطابقه مع الحقائق العلمية والمكتشفة حديثًا، واجتهد في البحث عن شيء واحد يناقض حقيقة علمية لكنه لم يجد أي شيء من ذلك.

وكانت ثمرة هذه السنوات التي قضاها البروفيسور موريس أنه قام بتأليف كتاب عن القرآن الكريم كان عنوانه:

«القرآن والتوراة والإنجيل والعلم دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة».

وقد لاقى الكتاب نجاحًا كبيرًا حيث نفدت جميع نسخ الكتاب في أول طبعاته، ثم طبع مرات وحقق رواجًا واسعًا، وما زال الطلب عليه كبيرًا في أوروبا وأمريكا حتى وقتنا هذا.

وبالإضافة إلى القرآن الكريم كمعجزة تخاطب العقل والوجدان، وتقنع أولي الألباب والعلماء في كل التخصصات، فهناك معجزات وآيات حسية كثيرة تدلّ على صدق النبي الكريم محمد ﷺ، ومنها[1]:

---

(١) وربما تسمى آيات أو دلائل نبوة، على اعتبار أن المعجزة يقصد بها التحدي وإظهار عجز الكفار.



٢- انشقاق القمر :

وقد جاء ذكر ذلك في القرآن الكريم، قال الله تعالى: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ۝١ وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً يُعْرِضُوا۟ وَيَقُولُوا۟ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ﴾ [القمر:١-٢].

قال ابن كثير: «وقد اتفق العلماء مع بقية الأئمة على أن انشقاق القمر كان في عهد رسول الله ﷺ، وقد وردت الأحاديث بذلك من طرق تفيد القطع عند الأمة»(١).

وعن ابن مسعود قال: «انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ فرقتين فرقة فوق الجبل وفرقة دونه فقال رسول الله ﷺ: **اشهدوا**»(٢).

وفي رواية صحيحة: «انشق القمر على عهد النبي ﷺ حتى صار فرقتين: على هذا الجبل، وعلى هذا الجبل، فقالوا (أي الكفار): سحرنا محمد، فقال بعضهم: لئن كان سحرنا فما يستطيع أن يسحر الناس كلهم»(٣).

«فقالت كفار قريش أهل مكة: هذا سحر سحركم به محمد ﷺ، انظروا المسافرين فإن كانوا رأوا ما رأيتم فقد صدق، وإن كانوا لم يروا ما رأيتم فهو سحر سحركم به، فسألوا المسافرين - وقدموا من كل وجه - فقالوا: رأيناه»(٤).

قال ابن كثير: «فإن قيل: فلم لم يعرف هذا في جميع أقطار الأرض؟

فالجواب: ومن ينفي ذلك؟ ولكن تطاول العهد والكفرة يجحدون بآيات

---

(١) البداية والنهاية (٦/٨٢).
(٢) البخاري (٤٤٨٦)، ومسلم (٥٠١٠).
(٣) الترمذي (٣٢١١) وصححه الألباني في صحيح الترمذي (٣٢٨٩).
(٤) دلائل النبوة للبيهقي (٢/٢٧٦)، وانظر: البداية والنهاية (٦/٨٤).

الله، ولعلهم لما أخبروا أن هذا كان آية لهذا النبي المبعوث، تداعت آراؤهم الفاسدة على كتمانه وتناسيه، على أنه قد ذكر غير واحد من المسافرين أنهم شاهدوا هيكلاً بالهند مكتوبًا عليه أنه بني في الليلة التي انشق القمر فيها.

ثم لما كان انشقاق القمر ليلاً قد يخفي أمره على كثير من الناس لأمور مانعة من مشاهدته في تلك الساعة، من غيوم متراكمة كانت تلك الليلة في بلدانهم، ولنوم كثير منهم، أو لعله كان في أثناء الليل حيث ينام كثير من الناس وغير ذلك من الأمور والله أعلم» [(١)].

٣- تسبيح الطعام:

كان صحابة النبي ﷺ يسمعون من الطعام صوت تسبيح الله ﷻ، وهو يؤكل في حضرة النبي ﷺ وقد شهد بذلك جموع منهم، ومن ذلك ما روي عن عبد الله بن مسعود أنه قال: «لقد كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يؤكل» [(٢)].

٤- نبوع الماء من بين أصابعه:

كذلك رأى صحابة النبي ﷺ الماء وهو ينبع من بين أصابعه فيكفي جيشًا شربًا ووضوءًا، وهذا منقول عن جمع منهم.

ومن ذلك ما روي عن أنس رضي الله عنه أنه قال: «أتي النبي ﷺ بإناء وهو بالزوراء فوضع يده في الإناء فجعل الماء ينبع من بين أصابعه فتوضأ القوم.

---

(١) البداية والنهاية (٦/٨٥).
(٢) البخاري (٣٣١٤).

قال قتادة: قلت لأنس: كم كنتم؟ قال: ثلاث مائة»[(١)].

وعن عبد الله بن مسعود قال: «كنا نعد الآيات بركة وأنتم تعدونها تخويفًا كنا مع رسول الله ﷺ في سفر فقلّ الماء فقال: اطلبوا فضلة من ماء فجاءوا بإناء فيه ماء قليل، فأدخل يده في الإناء ثم قال: حي على الطهور المبارك والبركة من الله، فلقد رأيت الماء ينبع من بين أصابع رسول الله ﷺ..»[(٢)].

٥- حنين النخلة وبكاؤها لفراق النبي ﷺ:

ومن المواقف العجيبة أن جذع الشجرة سُمع له بكاء وحنين لحزنه على فراق النبي ﷺ، فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما «أن امرأة من الأنصار قالت لرسول الله ﷺ: يا رسول الله ألا أجعل لك شيئًا تقعد عليه فإن لي غلامًا نجارًا؟ قال: إن شئت، قال: فعملت له المنبر، فلما كان يوم الجمعة قعد النبي ﷺ على المنبر الذي صنع، فصاحت النخلة التي كان يخطب عندها حتى كادت تنشق فنزل النبي ﷺ حتى أخذها فضمها إليه فجعلت تئنّ أنين الصبي[(٣)] الذي يسكت حتى استقرت، قال: بكت على ما كانت تسمع من الذكر»[(٤)].

٦- انقياد الشجرة له:

رُوي جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أنه قال: «سرنا مع رسول الله ﷺ حتى نزلنا

---

(١) البخاري (٣٣٠٧).
(٢) البخاري (٣٣١٤).
(٣) أي تبكي مثل الطفل الصغير.
(٤) البخاري (١٩٥٣).

واديًا أفيح (أي متسع)، فذهب رسول الله ﷺ يقضي حاجته، فاتبعته بإداوة[1] من ماء، فنظر رسول الله ﷺ فلم ير شيئًا يستتر به، فإذا شجرتان بشاطئ الوادي، فانطلق رسول الله ﷺ إلى إحداهما فأخذ بغصن من أغصانها، فقال «**انقادي عليّ بإذن الله**» فانقادت معه كالبعير المخشوش[2] الذي يصانع قائده حتى أتى الشجرة الأخرى، فأخذ بغصن من أغصانها، فقال: «**انقادي علي بإذن الله**» فانقادت معه كذلك حتى إذا كان بالمنصف مما بينهما (أي في المنتصف)، لَأَم بينهما (يعني جمعهما) فقال «**التئما علي بإذن الله**» فالتأمتا»[3].

٧- تسبيح الحصى بين يديه، وأيدي أصحابه:

ومن دلائل نبوته ﷺ أن الحجارة والحصى كانت تسبح بين يديه وبين أيدي بعض أصحابه فيسمع الناس تسبيحها، فعن أبي ذر قال: «إني انطلقت ألتمس رسول الله ﷺ في بعض حوائط المدينة فإذا رسول الله ﷺ قاعد فأقبلت إليه حتى سلمت عليه، وحصيات موضوعة بين يديه فأخذهن في يده فسبّحن في يده ثم وضعهن في الأرض فسكتن، ثم أخذهن فوضعهن في يد أبي بكر فسبحن في يده، ثم أخذهن فوضعهن في الأرض فخرسن (أي سكتت)، ثم أخذهن فوضعهن في يد عمر فسبحن في يده ثم أخذهن فوضعهن في الأرض فخرسن، ثم أخذهن فوضعهن في يد عثمان فسبحن ثم أخذهن فوضعهن في الأرض فخرسن»[4].

---

(١) الإداوة: إناء صغير من الجلد.
(٢) المخشوش: أي الذي وضع في أنفه عودًا ليكون سهل الانقياد والخضوع.
(٣) مسلم (٥٣٢٨).
(٤) أخرجه البزار والطبراني في الأوسط، وصححه الألباني في ظلال الجنة (١١٤٦).



٨- الشاة المشوية التي أخبرته أنها مسمومة:

ومن أمور النبي ﷺ المعجزة أن شاة مشوية نطقت لتخبره أنها مسمومة حتى لا يأكل منها، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن يهودية بخيبر أهدت لرسول الله ﷺ شاة مصلية سمّتها فأكل وأكل القوم، فقال: **ارفعوا أيديكم فإنها أخبرتني أنها مسمومة**، فمات بشر بن البراء بن معرور الأنصاري، فأرسل إلى اليهودية: **ما حملك على الذي صنعت؟** قالت: إن كنتَ نبيًا لم يضرك الذي صنعت وإن كنت ملكًا أرحت الناس منك، فأمر بها رسول الله ﷺ فقتلت لأنها قتلت البراء(١).

٩- دعاؤه المستجاب :

في أحداث كثيرة كان النبي ﷺ يدعو فيستجاب له فورًا على نحو يثبت مدى صدق ما يتكلم به، ومن ذلك:

ما روي عن عبد الله بن مسعود أن رسول الله ﷺ لما رأى قريشًا استعصوا عليه فقال: **اللَّهُمَّ أعنّي عليهم بسبع كسبع يوسف** (أي بمثل السنين العجاف التي ابتلي بها قوم يوسف عليه السلام)، فأخذتهم السنة (أي الجفاف والقحط) حتى حصت كل شيء، حتى أكلوا العظام والجلود والميتة، فأتاه أبو سفيان فقال: أي محمد إن قومك قد هلكوا فادع الله أن يكشف عنهم، فدعا فانكشف عنهم العذاب(٢).

وعن أنس بن مالك قال: «أصابت الناس سنة (أي جفاف وقحط) على عهد النبي ﷺ، فبينا النبي ﷺ يخطب في يوم جمعة قام أعرابي فقال: يا رسول الله هلك

---

(١) البخاري (٢٩٣٣)، وأبو داود (٣٩١٢).
(٢) البخاري (٤٤٥٠)، ومسلم (٥٠٠٦).

المال وجاع العيال فادع الله لنا، فرفع يديه وما نرى في السماء قزعة (أي سحاب) فوالذي نفسي بيده ما وضعها حتى ثار السحاب أمثال الجبال ثم لم ينزل عن منبره حتى رأيت المطر يتحادر على لحيته ﷺ، فمطرنا يومنا ذلك ومن الغد وبعد الغد والذي يليه حتى الجمعة الأخرى، وقام ذلك الأعرابي فقال: يا رسول الله تهدم البناء وغرق المال فادع الله لنا، فرفع يديه فقال: **اللَّهُمَّ حوالينا ولا علينا**.

فما يشير بيده إلى ناحية من السحاب إلا انفرجت وصارت المدينة مثل الجَوْبة (أي مثل فرجة في وسط السحاب) وسال الوادي قناة شهرًا ولم يجئ أحد من ناحية إلا حدث بالجَوْد (أي المطر الغزير)»[١].

١٠- تكثير الطعام:

في مواقف متعددة كان النبي محمد ﷺ يكثّر الطعام القليل حتى يجعله يكفي جيشًا بأكمله، وقد حدث ذلك مرارًا على مرأى جموع من الناس.

ومن ذلك ما روي عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أنه قال: «لما حفر الخندق رأيت بالنبي ﷺ خمصًا شديدًا (أي هزالاً من قلة الطعام) فانكفأت إلى امرأتي فقلت: هل عندك شيء؟ فإني رأيت برسول الله ﷺ خمصًا شديدًا، فأخرجت إليّ جرابًا[٢] فيه صاع من شعير[٣] ولنا بهيمة داجن[٤] فذبحتها وطحنت الشعير ففرغت إلى فراغي

---

(١) البخاري (٨٨١)، ومسلم (١٤٩٠).

(٢) الجراب: وعاء من جلد.

(٣) الصاع وحدة حجم وهي أربعة أمداد، والمد مقدار ما يملأ غرفة بالكفين مجتمعتين، والصاع من الشعير يقارب الألفي جرام من حيث الوزن.

(٤) البهيمة ذكر أنها كانت من أنثى الماعز، والداجن هي التي لا تذهب للمرعى بل تمسك في مكان وهذا يجعلها تسمن.

وقطعتها في بُرمتها (وهي إناء للطبخ) ثم ولّيت إلى رسول الله ﷺ فقالت: لا تفضحني برسول الله ﷺ وبمن معه (أي لا تخبره بالوليمة علانية لأن الطعام لن يكفي كل الجيش) فجئته فساررته (أي كلمته سرًّا) فقلت: يا رسول الله ذبحنا بهيمة لنا وطحنا صاعًا من شعير كان عندنا فتعال أنت ونفر معك.

فصاح النبي ﷺ فقال: **يا أهل الخندق إن جابرًا قد صنع سورًا** (أي وليمة) **فحي هلا بهلكم** (أي هلموا مسرعين)، فقال رسول الله ﷺ: **لا تنزلن بُرمتكم ولا تخبزن عجينكم حتى أجيء**، فجئت وجاء رسول الله ﷺ يقدم الناس حتى جئت امرأتي فقالت: بك وبك فقلت قد فعلت الذي قلت فأخرجت له عجينًا فبصق فيه وبارك، ثم عمد إلى برمتنا فبصق وبارك ثم قال: ادع خابزة فلتخبز معي واقدحي من برمتكم ولا تنزلوها **وهم ألف**، فأقسم بالله لقد أكلوا حتى تركوه وانحرفوا (أي مالوا عن الطعام)، وإن برمتنا لتغط كما هي، وإن عجيننا ليخبز كما هو»[١].

١١- شفاؤه لبعض المرضى بإذن الله:

مكّن الله رسوله عليه الصلاة والسلام من شفاء بعض المرضى بغير الأسباب المعروفة المعهودة، فقد بصق رسول الله عليه الصلاة والسلام في عين علي ابن أبي طالب ودعا له بعد أن اشتكى من عينه، فشفيت بإذن الله، وكان ذلك في غزوة خيبر[٢].

---

(١) البخاري (٣٧٩٣)، ومسلم (٣٨٠٠).

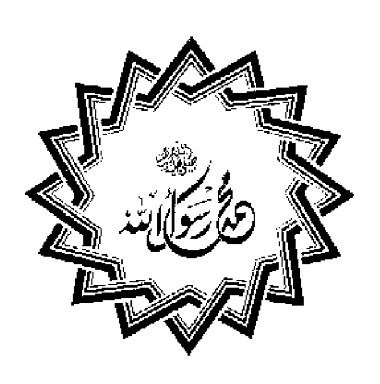
(٢) البخاري (٣٤٢٥).

وردّ رسول الله ﷺ عين قتادة بن النعمان رضي الله عنه إلى موضعها بعد ما سالت على خده، فأخذها في كفه الكريم وأعادها إلى مقرها فاستمرت بحالها وبصرها، وكانت أحسن عينيه وأحدّهما، وكانت لا ترمد إذا رمدت الأخرى، وكان ذلك في غزوة أحد[١].

١٢- سلام الحجر عليه :

ومن المعجزات التي حدثت للنبي ﷺ قبل أن يبعث أن حجرًا في مكة كان ينطق ويتكلم ليسلم عليه

فعن جابر بن سمرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**إني لأعرف حجرًا بمكة كان يسلّم عليّ قبل أن أبعث، إني لأعرفه الآن**»[٢].



(١) سيرة ابن هشام (٨٢/٢)، وابن سعد (١٨٨/١)، وسير أعلام النبلاء (٣٣٢/٢)، والبداية والنهاية (٣٢٦/٦).
(٢) صحيح مسلم (٤٢٢٢).


هذا محمد
صلى الله عليه وسلم
رحمة للعالمين وخاتم النبيين



الفصل السادس

النبوءات

وقد تنبأ النبي ﷺ بكثير من الأشياء التي تحدث في المستقبل، فوقعت كما أخبرنا تمامًا، وهذا دليل على أن الله ﷻ قد أوحى إلى الرسول محمد ﷺ وأطلعه على أشياء من علم الغيب الذي لا يمكن الوصول إليه إلا بالوحي


هذا محمد صلى الله عليه وسلم
رحمة للعالمين وخاتم النبيين

النبوءات

نقصد بالنبوءات هنا: ما أخبر به النبي الكريم محمد ﷺ من أمور وأحداث تقع في المستقبل سواء في حياته أو بعد مماته.

وقد تنبأ النبي ﷺ بكثير من الأشياء التي تحدث في المستقبل، فوقعت كما أخبرنا تمامًا، وهذا دليل على أن الله ﷻ قد أوحى إلى الرسول محمد ﷺ وأطلعه على أشياء من علم الغيب الذي لا يمكن الوصول إليه إلا بالوحي، ومن ذلك:

١- انتصار الروم وهزيمة الفرس:

في القرآن الكريم ذلك الكتاب العظيم الذي أنزله الله تعالى على نبي الرحمة محمد ﷺ جاء قول الله تعالى: ﴿الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ۝٣ فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۝٤ بِنَصۡرِ ٱللَّهِۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الروم:١-٥].

ولهذه الآيات قصة عجيبة ذكرها المؤرّخون وأصحاب السنن والسير وأهل التفسير وملخص هذه القصة: أن الروم وفارس اقتتلوا في أدنى الأرض[١] فهُزمت الروم، فبلغ ذلك النبي ﷺ وأصحابه وهم بمكة؛ فحزنوا لذلك، حيث كان النبي ﷺ وأصحابه يكرهون أن ينتصر الوثنيون من المجوس على أهل

---

(١) المقصود بأدنى الأرض هنا كما ذكر المؤرخون هي مدينة أذرعات بالشام.



الكتاب من الروم، لأن أهل الكتاب أقرب إلى الحق والتوحيد من الوثنيين من المجوس عباد النار.

وفي المقابل فرح الكفار بمكة من الوثنيين بانتصار الفرس وشمتوا بأهل الكتاب من الروم، فلقوا أصحاب النبي ﷺ، فقالوا: إنكم أهل الكتاب والنصارى أهل كتاب ونحن أميون، وقد ظهر إخواننا من أهل فارس على إخوانكم من أهل الكتاب، وإنكم إن قاتلتمونا لننتصر عليكم كما انتصر الفرس على الروم؛ فأنزل الله تعالى: ﴿الٓمٓ ﴿١﴾ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ﴿٢﴾ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ﴿٣﴾ فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴿٤﴾ بِنَصۡرِ ٱللَّهِۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الروم:١-٥].

فخرج أبو بكر الصديق إلى الكفار فقال: أفرحتم بانتصار إخوانكم على الروم؟! فلا تفرحوا، ولا يقرّن الله أعينكم، فوالله ليظهرن الروم على فارس، فقد أخبرنا بذلك نبينا الصادق المصدوق محمد ﷺ، وهو إن أخبرنا بشيء يقع كما قال تمامًا.

فقام إليه أُبيّ بن خلف الجمحي، فقال: كذبت يا أبا بكر فلن ينتصر الروم، فقال له أبو بكر: أنت أكذب يا عدو الله! فقال: نجعل رهانًا بيني وبينك على عشر قلائص [1] مني، وعشر قلائص منك، فإن فازت الروم على فارس غرمت أنا، وإن انتصرت فارس غرمت أنت، ومدة الرهان ثلاث سنين.

---

(١) القلائص جمع قلوص وهي الإبل الفتية المجتمعة الخلق.

ثم جاء أبو بكر إلى النبي ﷺ، فأخبره بينه وبين أبيّ بن خلف، فقال النبي ﷺ: لماذا جعلت مدة الرهان ثلاث سنين؟ فما هكذا ذُكرت، إنما جاء في الآيات أن انتصار الروم سيقع في بضع سنين، والبضع ما بين الثلاث إلى العشر، فاذهب إلى أبيّ بن خلف فاطلب منه الزيادة في قيمة الرهان مع الزيادة في مدته.

فخرج أبو بكر فلقي أبيًّا بن خلف فقال له: لعلك ندمت على رهانك لي، قال: لا، فقال أبو بكر: تعال إذًا أزيدك في مقدار الرهان فنجعله مائة قلوص، على أن نزيد في مدة الرهان إلى تسع سنين، فوافق أبيّ على ذلك سعيدًا بزيادة قيمة الرهان.

وكان كفار قريش حينئذ قد استبعدوا تمامًا إمكانية تحويل الروم هزيمتهم من الفرس إلى انتصار في غضون تسع سنين فقط، فلم تكن هناك أي مؤشرات أو أمارات تقوّي هذا الاحتمال وتدعمه.

أما المسلمون فقد كانوا -رغم ذلك- واثقين من تحقق النبوءة وانتصار الروم على الفرس في بضع سنين كما أخبرهم الصادق المصدوق ﷺ، فقد اعتادوا أن تتحقق كل نبوءاته، وأن تصدق كل كلماته، مهما كان الواقع يستبعد إمكانية حدوثها.

وفعلاً تحققت النبوءة واستطاع الروم أن يحققوا انتصارًا كبيرًا على الفرس بعد أقل من تسع سنين، وأتى خبر انتصار الروم إلى رسول الله ﷺ والمسلمين يوم الحديبية ففرحوا بذلك، وكسب أبو بكر الرهان وخسر أبي بن خلف [١].

---

(١) انظر هذه القصة في: تاريخ الرسل والملوك للطبري (٣٤٢/١)، والكامل في التاريخ لابن الأثير



جدير بالذكر أن شريعة الإسلام لا تبيح الرهان بل تحرمه، لكن الرهان لم يكن في ذلك الوقت حرامًا، وإنما أنزل الله تحريمه بعد ذلك.

قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾. [المائدة: ٩٠-٩١].

٢- نار الحجاز التي أضاءت أعناق الإبل ببصرى:

فقد روى أبو هريرة عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض الحجاز تضيء أعناق الإبل ببُصرى**»[١].

فقد أخبر النبي ﷺ عن حادثة عجيبة من النادر جدًا وقوعها، ولا يمكن لشخص عادي أن يتوقع حدوثها، فقد أخبرنا النبي ﷺ أنه سيقع في يوم من الأيام أن تخرج نار عظيمة من أرض الحجاز، تصل من شدتها وقوتها أنها تضيء أعناق الإبل في منطقة بُصرى في أرض الشام.

وقد وقع ما أخبر به النبي ﷺ كما أخبر تمامًا في سنة ٦٥٤هـ، أي بعد وفاة النبي ﷺ بما يقرب من ٦٤٤ سنة.

قال الإمام المؤرّخ ابن كثير: «ثم دخلت سنة **أربع وخمسين وستمائة** فيها كان ظهور النار من أرض الحجاز التي أضاءت لها أعناق الابل ببصرى، كما

=

(١٦٥/١)، وتاريخ ابن خلدون (١٨٠/٢)، تاريخ الإسلام للذهبي (٦٠/١)، والبداية والنهاية لابن كثير (١٣٥/٣).

(١) البخاري (٦٥٨٥)، ومسلم (٥١٦٤).

نطق بذلك الحديث المتفق عليه، وقد بسط القول في ذلك الشيخ الإمام العلامة الحافظ شهاب الدين أبو شامة المقدسي في كتابه الذيل وشرحه[١]، واستحضره من كتب كثيرة وردت متواترة إلى دمشق من الحجاز بصفة أمر هذه النار التي شوهدت معاينة، وكيفية خروجها وأمرها..

وملخص ما أورده أبو شامة أنه قال: وجاء إلى دمشق كتب من المدينة النبوية على ساكنها أفضل الصلاة والسلام، بخروج نار عندهم في خامس جمادى الآخرة من هذه السنة، وكتبت الكتب في خامس رجب، والنار بحالها، ووصلت الكتب إلينا في عاشر شعبان ثم قال: بسم الله الرحمن الرحيم، ورد إلى مدينة دمشق في أوائل شعبان من سنة أربع وخمسين وستمائة كتب من مدينة رسول الله ﷺ، فيها شرح أمر عظيم حدث بها فيه تصديق لما في الصحيحين من حديث أبي هريرة.

قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض الحجاز تضيء لها أعناق الإبل ببصرى**» فأخبرني من أثق به ممن شاهدها أنه بلغه أنه كتب بتيماء على ضوئها الكتب.

قال وكنا في بيوتنا تلك الليالي، وكان في دار كل واحد منا سراج، ولم يكن لها حر ولفح على عظمها، إنما كانت آية من آيات الله عزوجل»[٢].

وقال الإمام المؤرخ شمس الدين الذهبي: «أمر هذه النار متواتر، وهي مما

---

(١) أي كتاب ذيل الروضتين، لأبي شامة، وهو من العلماء الذين عاصروا هذه الواقعة التاريخية.
(٢) البداية والنهاية (١٣/٢١٩).



أخبر به المصطفى صلوات الله عليه وسلم حيث يقول: «**لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض الحجاز تضيء لها أعناق الإبل ببصرى**»، وقد حكى غير واحد ممن كان ببصرى في الليل، ورأى أعناق الإبل في ضوئها»[١].

٣- فتح القسطنطينية:

فعن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: بينما نحن حول رسول الله ﷺ نكتب إذ سئل رسول الله ﷺ: أي المدينتين تفتح أولاً قسطنطينية أو رومية؟ فقال رسول الله ﷺ: «**مدينة هرقل تفتح أولاً**» يعني قسطنطينية[٢].

وقد انتظر المسلمون أكثر من ثمانية قرون حتى تحققت تلك النبوءة النبوية بفتح القسطنطينية، ففي يوم الثلاثاء الموافق للعشرين من شوال ٨٠٥ هـ استطاع المسلمون الانتصار على البيزنطيين بقيادة إمبراطورهم قسطنطين ليسقطوا إمبراطوريتهم التي عاشت أكثر من ألف عام ليحققوا بذلك نبوءة النبي الكريم ﷺ.

٤- قتال الترك:

فقد أخبر النبي الكريم محمد ﷺ أن من أشراط الساعة الصغرى وقوع القتال بين المسلمين والترك، ثم حدّد النبي الكريم ﷺ بدقة صفاتهم كأنك تراهم رأي العين.

---

(١) تاريخ الإسلام (١٠/٤١٨).

(٢) أخرجه أحمد (٦٣٥٨)، والدارمي (٤٨٦)، وقال الهيثمي في المجمع (٦/٢٢٢): رجاله رجال الصحيح غير أبي قبيل وهو ثقة، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي كما صححه أحمد شاكر والألباني، انظر السلسلة الصحيحة (٤).

فعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**تقاتلون بين يدي الساعة قومًا نعالهم الشعر، كأن وجوههم المجان المطرقة، حمر الوجوه صغار الأعين**»[١].

وفي لفظ: «**إن من أشراط الساعة أن تقاتلوا قومًا ينتعلون نعال الشعر، وإن من أشراط الساعة أن تقاتلوا قومًا عراض الوجوه كأن وجوههم المجان المطرقة**»[٢].

وفي لفظ آخر «**لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا الترك صغار الأعين حمر الوجوه ذلف الأنوف كأن وجوههم المجان المطرقة**»[٣].

فقد حدد رسول الله ﷺ صفات هؤلاء الترك فقال إنهم ينتعلون نعال الشعر، وأنهم صغار الأعين، وحمر الوجوه، وذلف الأنوف، وعراض الوجوه، كأن وجوههم المجان المطرقة، والمقصود بالمجان أي التُّروس أو الدروع، قال البيضاوي: «شبه وجوههم بالترسة لبسطها وتدويرها، وبالمطرقة لغلظها وكثرة لحمها»[٤].

وفي القرن السابع الهجري عاصر الإمام النووي المتوفى سنة ٦٧٦هـقتال المسلمين للترك، وكان شاهد عيان على تحقق نبوءة الرسول الكريم ﷺ بعد موت رسول الله ﷺ بأكثر من ستة قرون، وقد سطّر شهادته في ذلك قائلاً: «وهذه كلها معجزات لرسول الله ﷺ، فقد وجد قتال هؤلاء الترك بجميع صفاتهم التي ذكرها ﷺ صغار الأعين، حمر الوجوه، ذلف الآنف، عراض الوجوه، كأن وجوههم المجان

(١) البخاري (٢٧١١)، ومسلم (٥١٨١) وهذا لفظه.
(٢) البخاري (٢٧١٠).
(٣) البخاري (٢٧١١).
(٤) فتح الباري (١٠/٣٩٣).



المطرقة، ينتعلون الشعر، **فوجدوا بهذه الصفات كلها في زماننا، وقاتلهم المسلمون مرّات، وقتالهم الآن**، ونسأل الله الكريم إحسان العاقبة للمسلمين في أمرهم وأمر غيرهم، وسائر أحوالهم، وإدامة اللطف بهم، والحماية، وصلى الله على رسوله الذي لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى»[١].

٥- خروج أدعياء النبوة الدجالين :

تنبأ رسول الله ﷺ بخروج مجموعة من الدجالين أدعياء النبوة ووضح أن عددهم سيكون قريبًا من الثلاثين.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: «**لا تقوم الساعة حتى يبعث دجالون كذابون قريبًا من ثلاثين كلهم يزعم أنه رسول الله**»[٢].

وعن ثوبان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنه سيكون في أمتي كذابون ثلاثون كلهم يزعم أنه نبي وأنا خاتم النبيين لا نبي بعدي**»[٣].

وقد تحققت هذه النبوة بخروج مجموعة كبيرة من الدجالين أدعياء النبوة مثل: مسيلمة الكذاب، والأسود العنسي، وسجاح الكاهنة، والمختار الثقفي، وحسين بن علي بن الميرزا عباس الملقب بالبهاء، وميرزا غلام أحمد القادياني، ومحمود محمد طه السوداني، وغيرهم.

---

(١) شرح النووي على صحيح مسلم (٩/٢٩٥).

(٢) البخاري (٦٥٨٨)، ومسلم (٥٢٠٥).

(٣) أبو داود (٣٧١٠)، وأصله في صحيح مسلم بغير هذا اللفظ، وصححه الألباني في صحيح أبي داود (٤٢٥٢).

٦- الخلافة والملك :

تنبّأ رسول الله ﷺ أن تستمر الخلافة من بعده لمدة ثلاثين عامًا، ثم تتحول الأمر بعد ذلك إلى ملك.

فعن سفينة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**الخلافة ثلاثون عامًا ثم يكون بعد ذلك الملك**»(١).

قال سفينة أبو عبدالرحمن مولى رسول الله وراوي هذا الحديث: «أمسك خلافة أبي بكر رضي الله عنه سنتين، وخلافة عمر رضي الله عنه عشر سنين، وخلافة عثمان رضي الله عنه اثنتي عشرة سنة، وخلافة علي رضي الله عنه ست سنين»(٢).

فقد تحققت هذه النبوءة ووقعت كما أخبر الصادق المصدوق ونبي الرحمة الكريم محمد ﷺ، فالخلفاء الراشدون بعد النبي ﷺ هم أربعة: أبو بكر الصديق، والفاروق عمر بن الخطاب، وذو النورين عثمان بن عفان، وعلي بن أبي طالب رضوان الله عليهم جميعًا.

خلافة أبي بكر الصديق: سنتان.

خلافة عمر بن الخطاب: عشر سنين

خلافة عثمان بن عفان: اثنتي عشرة سنة.

خلافة علي بن أبي طالب: ست سنين.

---

(١) أحمد (٢٠٩١٠)، والترمذي (٢١٥٢)، وصححه الألباني في صحيح الترمذي(٢٢٢٦).
(٢) أحمد (٢٠٩١٠).

مجموع سنوات الخلافة: ثلاثون سنة، كما أنبأنا نبي الرحمة الكريم محمد، وصدق رسول الله ﷺ.

٧- اقتتال فئتين عظيمتين من المسلمين:

أخبرنا رسول الله ﷺ أن قتالاً عظيمًا سيقع بين فئتين كبيرتين من المسلمين، كل منهما يظن أنه على حق.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تقوم الساعة حتى يقتتل فئتان دعواهما واحدة**»(١).

وقد حدث ما تنبأ به نبي الرحمة محمد ﷺ كما أخبر تمامًا، حيث وقع قتالاً عظيمًا بين فئتين من المسلمين بعد مقتل الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه.

قال ابن حجر: «وقوله (**دعواهما واحدة**) أي دينهما واحد؛ لأن كلا منهما كان يتسمى بالإسلام، أو المراد أن كلا منهما كان يدعي أنه المحق، وذلك أن عليًا كان إذ ذاك إمام المسلمين وأفضلهم يومئذ باتفاق أهل السنة؛ ولأن أهل الحل والعقد بايعوه بعد قتل عثمان، وتخلف عن بيعته معاوية في أهل الشام، ثم خرج طلحة والزبير ومعهما عائشة إلى العراق فدعوا الناس إلى طلب قتلة عثمان لأن الكثير منهم انضموا إلى عسكر علي، فخرج عليّ إليهم فراسلوه في ذلك فأبى أن يدفعهم إليهم إلا بعد قيام دعوى من ولي الدم وثبوت ذلك على من باشره بنفسه.. ورحل علي بالعسكر طالبًا الشام، داعيًا لهم إلى الدخول في طاعته، مجيبًا لهم عن شبههم في قتلة عثمان بما تقدم، فرحل معاوية بأهل الشام فالتقوا بصفّين بين الشام

---

(١) البخاري (٣٣٤٠)، ومسلم (٥١٤٢).

والعراق، فكانت بينهم مقتلة عظيمة كما أخبر به ﷺ»[١].

٨- كثرة المال واستفاضته :

تنبّأ رسول الله ﷺ بأنه سيأتي زمان يكثر فيه المال ويفيض حتى لا يكون هناك فقراء، ولا يجد الأغنياء من يقبل صدقاتهم.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «**لا تقوم الساعة حتى يكثر فيكم المال فيفيض حتى يهم رب المال من يقبل صدقته، وحتى يعرضه فيقول الذي يعرضه عليه لا أرب لي**»[٢].

وقد تحققت هذه النبوءة عدة مرات، ومن ذلك ما ذكره المؤرخون مما وقع في زمان الخليفة عمر بن العزيز من كثرة المال واستفاضته حتى اغتنى الناس جميعًا.

فعن عمر بن أسيل بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب قال: «لا والله ما مات عمر بن عبد العزيز حتى جعل الرجل يأتينا بالمال العظيم فيقول: اجعلوا هذا حيث ترون من الفقراء، فما يبرح حتى يرجع بماله، يتذكر من يضعه فيهم فلا يجده، فيرجع بماله»[٣].

٩- تطاول العرب في البنيان :

تنبّأ النبي الكريم محمد ﷺ أن العرب البدو الذين كانوا يعيشون في زمانه حياة بدائية سيأتي عليهم زمان يتطاولون فيه في البنيان.

---

(١) فتح الباري (١٠/٤١٠).
(٢) البخاري (٣٣٤٠)، ومسلم (٥١٤٢).
(٣) تاريخ الإسلام للذهبي (٢/٣٣٠)، والتاريخ والمعرفة للفسوي (١/١٤١)، وتاريخ الخلفاء للسيوطي (١/٢٠١)، ومختصر تاريخ دمشق (٦/٨٠).

فقد ذكر رسول الله ﷺ أن من علامات الساعة «**أن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء، يتطاولون في البنيان**»[١].

وقال ﷺ: «**إذا رأيت الأمة ولدت ربتها أو ربها، ورأيت أصحاب الشاء تطاولوا بالبنيان، ورأيت الحفاة الجياع العالة كانوا رءوس الناس فذلك من معالم الساعة وأشراطها.**

قيل: يا رسول الله ومن أصحاب الشاء والحفاة الجياع العالة؟ قال: **العرب**»[٢].

وقد رأينا هذه النبوءة متحققة في زماننا هذا حيث امتلأت بلاد العرب بالبنايات العالية المرتفعة، حتى إن أعلى بناية في العالم الآن -وهو برج خليفة- يقع في إحدى الدول العربية.

فبرج خليفة هو ناطحة سحاب تقع في إمارة دبي بالإمارات العربية المتحدة ويعدّ هذا البرج أعلى بناء شيّده الإنسان، وأطول برج في العالم حيث يبلغ ارتفاعه ٨٢٨ متراً، وقد تم افتتاحه رسمياً في ٤ يناير ٢٠١٠م؛ ليصبح البناء الأعلى في العالم حاليًا.

١٠- زوال ملك كسرى وقيصر:

فعن أبي هريرة أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا هلك كسرى فلا كسرى بعده، وإذا هلك قيصر فلا قيصر بعده، والذي نفس محمد بيده لتنفقن**

---

(١) البخاري (٤٨)، ومسلم (٩).

(٢) أحمد (٢٧٧٥) وصحح أحمد شاكر إسناده، وقال الألباني في الصحيحة (٣/٣٣٢): "وهذا إسناد لا بأس به في الشواهد".

كنوزهما في سبيل الله»[١].

قال النووي في شرحه لهذا الحديث: «قال الشافعي وسائر العلماء: معناه لا يكون كسرى بالعراق، ولا قيصر بالشام كما كان في زمنه ﷺ، فعلمنا ﷺ بانقطاع ملكهما في هذين الإقليمين، فكان كما قال ﷺ.

فأما كسرى فانقطع ملكه وزال بالكلية من جميع الأرض، وتمزق ملكه كل ممزق، واضمحلّ بدعوة رسول الله ﷺ.

وأما قيصر فانهزم من الشام، ودخل أقاصي بلاده، فافتتح المسلمون بلادهما، واستقرت للمسلمين، ولله الحمد، وأنفق المسلمون كنوزهما في سبيل الله كما أخبر ﷺ، وهذه معجزات ظاهرة»[٢].

وقال ابن حجر: «المراد لا يبقى كسرى بالعراق ولا قيصر بالشام، وهذا منقول عن الشافعي، قال: وسبب الحديث أن قريشًا كانوا يأتون الشام والعراق تجارًا، فلما أسلموا خافوا انقطاع سفرهم إليهما لدخولهم في الإسلام، فقال النبي ﷺ ذلك لهم تطييبًا لقلوبهم وتبشيرًا لهم بأن ملكهما سيزول عن الإقليمين المذكورين.

وقيل: الحكمة في أن قيصر بقي ملكه وإنما ارتفع من الشام وما والاها، وكسرى ذهب ملكه أصلاً ورأسًا أن قيصر لما جاءه كتاب النبي ﷺ قبله وكاد أن يسلم، وكسرى لما أتاه كتاب النبي ﷺ مزّقه، فدعا النبي ﷺ أن يمزق ملكه

---

(١) البخاري (٢٨٨٨)، ومسلم (٥١٩٧).
(٢) شرح صحيح مسلم للنووي (٩/٣٠٤).



كل ممزق فكان كذلك.

قال الخطابي: معناه فلا قيصر بعده يملك مثل ما يملك، وذلك أنه كان بالشام وبها بيت المقدس الذي لا يتمّ للنصارى نُسك إلا به، ولا يملك على الروم أحد إلا كان قد دخله إما سرًا وإما جهرًا، فانجلى عنها قيصر واستفتحت خزائنه ولم يخلفه أحد من القياصرة في تلك البلاد بعد..

ثم قال ابن حجر: وعلى كل تقدير فالمراد من الحديث وقع لا محالة؛ لأنهما لم تبق مملكتهما على الوجه الذي كان في زمن النبي ﷺ كما قررته»[1].

١١- ظهور الشرطة والكاسيات العاريات:

تنبّأ نبي الرحمة محمد ﷺ بظهور صنفين من العصاة لم يرهما في عصره، وهما رجال الشرطة الظلمة الذين معهم سياط يضربون بها الناس، والنساء الكاسيات العاريات.

فقد قال رسول الله ﷺ: «**صنفان من أهل النار لم أرهما: قوم معهم سياط كأذناب البقر، يضربون بها الناس، ونساء كاسيات عاريات مائلات مميلات رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة، لا يدخلن الجنة، ولا يجدن ريحها، وإن ريحها لتوجد من مسيرة كذا وكذا**»[2].

قال النووي: «هذا الحديث من معجزات النبوة، فقد وقع ما أخبر به ﷺ،

---

(١) فتح الباري (١٠/٤١٩).
(٢) مسلم (٣٩٧١).

فأما أصحاب السياط فهم غلمان والي الشرطة.

أما (الكاسيات) ففيه أوجه:

أحدها: معناه كاسيات من نعمة الله، عاريات من شكرها.

والثاني: كاسيات من الثياب، عاريات من فعل الخير والاهتمام لآخرتهن، والاعتناء بالطاعات.

والثالث: تكشف شيئًا من بدنها إظهارًا لجمالها، فهن كاسيات عاريات.

والرابع: يلبسن ثيابًا رقاقًا تصف ما تحتها، كاسيات عاريات في المعنى»[(١)].

ولا شك أن كل ذلك واقع نراه في حياتنا سواء ما يقع من ظلم من رجال السلطان وتعذيبهم للناس بالسياط، أو النساء المتبرجات اللائي يكشفن أبدانهن كلها أو بعضها، أو يلبسن ثيابًا رقاقًا أو ضيّقة تصف ما تحتها.

١٢- غزو الهند:

تنبّأ نبي الرحمة محمد ﷺ بأن جماعة من أمته سوف تغزو بلاد الهند، فعن ثوبان مولى رسول الله ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**عصابتان من أمتي أحرزهما الله من النار، عصابة تغزو الهند، وعصابة تكون مع عيسى ابن مريم عليهما السلام**»[(٢)].

وقد تحقّقت هذه النبوءة حيث اهتم الخلفاء الراشدون بفتح بلاد الهند منذ عهد الخليفة عمر بن الخطاب حيث أُرسلت عدة حملات على أطراف هذه

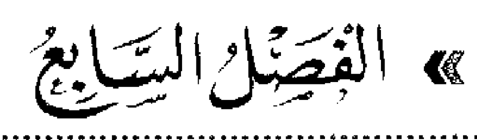
(١) شرح صحيح مسلم للنووي (٩/٢٤٠).
(٢) أحمد (٢١٣٦٢)، والنسائي (٣١٢٤) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٤٠١٢).

البلاد، لكن الفتح المنظم لم يبدأ إلا في عهد الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك، حيث قام عامله على العراق الحجاج بن يوسف الثقفي سنة ٩١هـ بإعداد حملة عسكرية وجهزها بالعدة والعتاد، وأسند قيادتها إلى القائد العظيم البارع محمد بن القاسم، وكان دون العشرين من عمره، فقام بهذه المهمة على خير وجه، وتمكّن من التوغّل في بلاد الهند، وفتح مدينة «ديبل» وأقام بها مسجدًا، وترك بها حامية من أربعة آلاف جندي، وأصبحت ديبل أول مدينة عربية في الهند، واستمرت الفتوحات من بعده في بلاد الهند والسند[1].



---

(١) انظر: الكامل في التاريخ لابن الأثير (٣٨٦/٢)، فتوح البلدان للبلاذري (٥٣١/٣).





البشارات

إثبات نبوة الرسول محمد ﷺ لا يتوقّف على تلك البشارات الواردة في تلك الكتب المحرفة، فنبوة محمد ﷺ قد قامت على ثبوتها وصحتها الأدلة اليقينية العقلية والنقلية والحسية، وما عرضنا لتلك البشارات إلا لمزيد من التأكيد على اتحاد كل الأدلة على إثبات نبوته ﷺ


هذا محمد
صلى الله عليه وسلم
رحمة للعالمين وخاتم النبيين

البشارات

في هذا الفصل نعرض بعض البشارات بالنبي محمد ﷺ والتي جاءت في كتب اليهود والنصارى -التوراة والإنجيل- تنبئ بقدومه وتبشّر برسالته وتعطي بعض أوصافه، وقبل الشروع في عرض تلك البشارات أحب التنبيه على ما يلي:

أولاً: أن معتقدنا نحن المسلمين أن كتب اليهود والنصارى قد طالتها يد التحريف حذفًا وزيادة واستبدالاً، ومن ثم فهي ليست حجة لدينا الآن، لكننا نقوم بعرض تلك البشارات احتجاجًا على من يؤمنون بهذه الكتب من جهة، ولإدراكنا أن هذه الكتب ما زالت تشتمل على أجزاء لم تحرّف من جهة أخرى.

ثانيًا: إثبات نبوة الرسول محمد ﷺ لا يتوقّف على تلك البشارات الواردة في تلك الكتب المحرفة، فنبوة محمد ﷺ قد قامت على ثبوتها وصحتها الأدلة اليقينية العقلية والنقلية والحسية، وما عرضنا لتلك البشارات إلا لمزيد من التأكيد على اتحاد كل الأدلة على إثبات نبوته ﷺ، ولإقامة الحجة على المخالفين من أهل الكتاب بما يعتقدون صحته.

ثالثًا: أخبرنا القرآن الكريم بوجود بشارات واضحة بالنبي محمد ﷺ في التوراة والإنجيل، منها ما يصرّح باسمه، ومنها ما يذكره بوصفه.

فقد قال الله تعالى: ﴿ **ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ** ﴾[الأعراف:١٥٧].

وقال سبحانه: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ﴾[الصف:٦].

وقال سبحانه: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا﴾[الفتح:٢٩].

لكننا لا نجد الآن هذه البشارات المصرّحة باسم النبي محمد ﷺ في التوراة والإنجيل؛ بسبب عمليات التغيير والتحريف المستمرة لهذه الكتب، والمحاولات المتواصلة لطمس هذه البشارات والتي سنلقي الضوء على بعض منها في هذا الفصل بإذن الله تعالى.

ومما يدلّ على ذلك ما ذكره ابن تيمية رحمه الله عقب سرده لبشارة طويلة بالنبي محمد ﷺ منقولة عن النبي دانيال حيث قال: «ثم سرد دانيال قصة رسول الله حرفًا حرفًا مما أملاه عليه الملك حتى وصل آخر أيام أمته بالنفخة وانقضاء الدنيا، ونبوته كثيرة[1]، **وهي الآن في أيدي النصارى واليهود يقرأونها**، ومهما وصفنا مما ذكره الله من وصف هذه الأمة ونبيها واتصال مملكتهم بالقيامة -قلت: فهذه نبوة دانيال فيها البشارة بالمسيح، والبشارة بمحمد وفيها

---

(١) نبوته طويلة: أي النبوءة والسفر المنسوب لدانيال والذي فيه البشارة بالنبي ﷺ سفر طويل من العهد القديم وإن كنا لا نجد هذه البشارة الآن لأنها مما تم حذفه.

من وصف محمد وأمته بالتفصيل- ما يطول وصفه وقد قرأها المسلمون لما فتحوا العراق كما ذكر ذلك العلماء..»[1].

فابن تيمية يذكر لنا أن نبوءة دانيال الطويلة التي تبشّر بالنبي ﷺ كانت في عصره موجودة في العهد القديم يقرؤها اليهود والنصارى، وقرأها المسلمون أيضًا، ولكننا بعد البحث لا نجد هذه النبوءة الآن في العهد القديم ولا غيره؛ لأن يد التحريف قد حذفتها.

وعلى الرغم من كل محاولات الطمس والتحريف للبشارات بالنبي محمد ﷺ، إلا أن الكثير منها لا زالت موجودة في كتب أهل الكتاب أو ما يسمى مجازًا الآن بـ«الكتاب المقدس» عند اليهود والنصارى سواء في العهد القديم الذي يؤمن به اليهود والنصارى أو في العهد الجديد الذي يؤمن به النصارى فقط.

وسنعرض في هذا الفصل نماذج من هذه البشارت مع عزوها وتوثيقها، مع تناولها بالشرح والتوجيه باختصار.

وأحب التنبيه هنا على أنني لم أقصد أن أستقصي في هذا الفصل كل البشارات بالنبي محمد ﷺ حيث لا يتسع المقام في هذا المصنَّف -الذي يغلب عليه الاختصار- إلى استقصائها وذكرها جميعًا، لكنني أؤكد أن العشرات بل المئات من البشارات لا تزال موجودة في كتب أهل الكتاب إلى وقتنا هذا، وقد تناولها العلماء والباحثون بالعرض والنقد والشرح والتوثيق في كتب ومصنفات مستقلة[2].

---

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (٥/٢٨٠).

(٢) انظر على سبيل المثال: كتاب إظهار الحق لرحمة الله الهندي، وكتاب نبوة محمد من الشك إلى اليقين لفاضل السمرائي، وكتاب محمد نبي الإسلام في التوراة والإنجيل والقرآن لمحمد عزت إسماعيل الطهطاوي، وكتاب الإنجيل والصليب لعبد الأحد داود، وكتاب هل بشر الكتاب المقدس بمحمد؟ للدكتور منقذ السقار.

البشارة الأولى

جاء في سفر التثنية الإصحاح (٣٣) العدد (٢):

«**جاء الرب من سيناء وأشرق لهم من سعير، وتلألأ من جبال فاران، وأتى من ربوات القدس، وعن يمينه نار شريعة لهم**»

في هذا النص جاءت الإشارة إلى الأماكن الأساسية للرسالات الثلاث: اليهودية والنصرانية والإسلام.

فقد ذكر النص «سيناء» في إشارة إلى رسالة سيدنا موسى عليه السلام.

أما «سعير» فهو جبل فى فلسطين، ويقع هذا الجبل ضمن مجموعة جبال الخليل، ومن المعلوم أن فلسطين هي مهد رسالة المسيح، وبالتالي فهذه إشارة إلى رسالة المسيح عيسى بن مريم عليه السلام.

وأما «**جبال فاران**» فهي فى مكة، وعلى ذلك تكون هذه إشارة إلى رسالة نبى الرحمة محمد ﷺ.

جاء في معجم البلدان: «فاران: بعد الألف راء وآخره نون كلمة عبرانية معربة، **وهي من أسماء مكة** ذكرها في التوراة، قيل: هو اسم لجبال مكة.

قال ابن ماكولا: أبو بكر نصر بن القاسم بن قضاعة القضاعي الفاراني الإسكندراني سمعت أن **ذلك نسبته إلى جبال فاران وهي جبال الحجاز**.

وفي التوراة: جاء الله من سيناء وأشرق من ساعير واستعلن من فاران.

مجيئه من سيناء تكليمه لموسى عليه السلام، وإشراقه من ساعير وهي جبال

فلسطين هو إنزاله الإنجيل على عيسى عليه السلام.

واستعلانه من جبال فاران: إنزاله القرآن على محمد ﷺ، قالوا: وفاران جبال مكة»[1].

وجاء في كتاب النسبة إلى المواضع والبلدان للحميري: «الفاراني: بعد الفاء ألف ثم راء مهملة ثم ألف ثم نون، نسبة إلى **فاران جبل أو جبال بطريق الحجاز الشريف**»[2].

وقد جاء في كتاب اليهود والنصارى أن سيدنا إسماعيل عليه السلام جدّ النبي ﷺ قد سكن في برية فاران، ونجد ذلك صريحًا في سفر التكوين، الإصحاح (٢١)، الأعداد (١٧-٢٢).

«ونادى ملاك الله هاجر من السماء وقال لها: ما لك يا هاجر، لا تخافي؛ لأن الله قد سمع لصوت الغلام حيث هو، قومي احملي الغلام وشدّي يدك به؛ لأني سأجعله أمة عظيمة، وفتح الله عينيها فأبصرت بئر ماء، فذهبت وملأت القربة ماء، وسقت الغلام، وكان الله مع الغلام، فكبر وسكن في البرية، وكان ينمو رامي قوس، وسكن في برية فاران، وأخذت له أمه زوجة من أرض مصر».

ومن المعلوم تاريخيًا أن هاجر وإسماعيل عليه السلام قد سكنا في مكة وقد جاءت قصتهما في صحيح البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما حيث قال:

---

(١) معجم البلدان لياقوت الحموي (٣٠١/٣).

(٢) النسبة إلى المواضع والبلدان للمؤرخ جمال الدين عبدالله الحميري ص٤٩٤.

«أول ما اتخذ النساء المنطق من قبل أم إسماعيل اتخذت منطقًا لتعفي أثرها على سارة، ثم جاء بها إبراهيم وبابنها إسماعيل وهي ترضعه حتى وضعهما عند البيت عند دوحة فوق زمزم في أعلى المسجد، وليس بمكة يومئذ أحد وليس بها ماء، فوضعهما هنالك ووضع عندهما جرابًا فيه تمر وسقاء فيه ماء.

ثم قفى إبراهيم منطلقًا فتبعته أم إسماعيل فقالت: يا إبراهيم، أين تذهب وتتركنا بهذا الوادي الذي ليس فيه إنس ولا شيء؟ فقالت له ذلك مرارًا وجعل لا يلتفت إليها، فقالت له: آلله الذي أمرك بهذا؟ قال: نعم، قالت: إذن لا يضيعنا.

ثم رجعت فانطلق إبراهيم حتى إذا كان عند الثنية حيث لا يرونه استقبل بوجهه البيت ثم دعا بهؤلاء الكلمات ورفع يديه فقال: ﴿رَبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ﴾ [إبراهيم: ٣٧].

وجعلت أم إسماعيل ترضع إسماعيل وتشرب من ذلك الماء حتى إذا نفد ما في السقاء عطشت وعطش ابنها، وجعلت تنظر إليه يتلوّى، فانطلقت كراهية أن تنظر إليه فوجدت الصفا أقرب جبل في الأرض يليها، فقامت عليه ثم استقبلت الوادي تنظر هل ترى أحدًا، فلم تر أحدًا، فهبطت من الصفا حتى إذا بلغت الوادي رفعت طرف درعها، ثم سعت سعي الإنسان المجهود حتى جاوزت الوادي، ثم أتت المروة فقامت عليها ونظرت: هل ترى أحدًا فلم تر أحدًا، ففعلت ذلك سبع مرات.

قال ابن عباس: قال النبي ﷺ: **«فذلك سعي الناس بينهما»**.

فلما أشرفت على المروة سمعت صوتًا فقالت: صه تريد نفسها[١]، ثم تسمّعت فسمعت أيضًا فقالت: قد أسمعت إن كان عندك غواث[٢]، فإذا هي بالملك عند موضع زمزم فبحث بجناحه حتى ظهر الماء فجعلت تحوضه وتقول بيدها هكذا، وجعلت تغرف من الماء في سقائها وهو يفور بعد ما تغرف.

قال ابن عباس: قال النبي ﷺ: «**يرحم الله أم إسماعيل لو تركت زمزم، لكانت زمزم عينًا معينًا**».

قال: فشربت وأرضعت ولدها فقال لها الملك: لا تخافوا الضيعة فإن ها هنا بيت الله (أي الكعبة) يبني هذا الغلام وأبوه وإن الله لا يضيع أهله...»[٣].

فهذه البشارة إذن قد حدّدت مهد الرسالة المنتظرة في منطقة جبال فاران التي ثبت أنها في مكة محل ولادة النبي ﷺ، ومهد رسالة الإسلام، فهي بحمد الله تعالى بشارة واضحة برسالة النبي محمد ﷺ.



(١) أي خاطبت نفسها فقالت اسكتني حتى تنتبه للصوت الذي سمعته.

(٢) أي إن كان لديك ما تنقذنا به.

(٣) البخاري(٣١١٣).

البشارة الثانية

جاء في سفر أشعياء الإصحاح (٢١) الأعداد (١٣-١٦):

«**وَحْيٌ مِنْ جِهَةِ بِلاَدِ الْعَرَبِ: فِي الْوَعْرِ فِي بِلاَدِ الْعَرَبِ تَبِيتِينَ، يَا قَوَافِلَ الدَّدَانِيِّينَ. هَاتُوا مَاءً لِمُلاَقَاةِ الْعَطْشَانِ، يَا سُكَّانَ أَرْضِ تَيْمَاءَ. وَافُوا الْهَارِبَ بِخُبْزِهِ. فَإِنَّهُمْ مِنْ أَمَامِ السُّيُوفِ قَدْ هَرَبُوا. مِنْ أَمَامِ السَّيْفِ الْمَسْلُولِ، وَمِنْ أَمَامِ الْقَوْسِ الْمَشْدُودَةِ،وَمِنْ أَمَامِ شِدَّةِ الْحَرْبِ. فَإِنَّهُ هكَذَا قَالَ لِيَ السَّيِّدُ: فِي مُدَّةِ سَنَةٍ كَسَنَةِ الأَجِيرِ يَفْنَى كُلُّ مَجْدِ قِيدَارَ**».

هذه البشارة واضحة برسالة النبي محمد ﷺ، حيث حدّد النص نزول الوحي بأنه «**وحي من جهة بلاد العرب**»، ومن المعلوم أن بلاد العرب وموطنهم الأصلي هو جزيرة العرب التي ولد وعاش وتُوفي فيها النبي محمد ﷺ، فإن لم يكن الوحي الذي جاء من بلاد العرب هو الرسالة التي أنزلت على النبي محمد ﷺ، فمن هو ذلك النبي العربي الذي أوحي إليه في بلاد العرب؟

أما قبائل الددانيين فهم قبائل من نسل ددان وهو أحد أبناء سيدنا الخليل إبراهيم عليه السلام.

والدليل على أن ددان هم أبناء إبراهيم ما جاء في سفر التكوين الإصحاح (٢٥). الأعداد (١-٣):

«**وَعَادَ إِبْرَاهِيمُ فَأَخَذَ زَوْجَةً اسْمُهَا قَطُورَةُ، فَوَلَدَتْ لَهُ: زِمْرَانَ وَيَقْشَانَ وَمَدَانَ وَمِدْيَانَ وَيِشْبَاقَ وَشُوحًا. وَوَلَدَ يَقْشَانُ: شَبَا وَدَدَانَ**».

ومن المعلوم أن كثيرًا من العرب من نسل إبراهيم ﵇ ومنهم النبي محمد ﷺ الذي جاء من نسل إسماعيل ولد إبراهيم ﵉.

وددان اسم لمدينة قديمة تقع الآن عند مدينة العُلا بأرض الحجاز على مقربة من المدينة المنورة، ولا تزال آثارها موجودة، ولا يزال اسم «دادان» أو «ديدان» متداولًا بين العرب سكان هذه المنطقة.

أما ما جاء في النص من قوله: «**هَاتُوا مَاءً لِمُلاَقَاةِ الْعَطْشَانِ، يَا سُكَّانَ أَرْضِ تَيْمَاءَ. وَافُوا الْهَارِبَ بِخُبْزِهِ. فَإِنَّهُمْ مِنْ أَمَامِ السُّيُوفِ قَدْ هَرَبُوا. مِنْ أَمَامِ السَّيْفِ الْمَسْلُولِ، وَمِنْ أَمَامِ الْقَوْسِ الْمَشْدُودَةِ، وَمِنْ أَمَامِ شِدَّةِ الْحَرْبِ**» فهذه إشارة إلى هجرة النبي ﷺ، من مكة إلى المدينة، فإن تيماء من أعمال المدينة المنورة [١].

أما قوله «**فَإِنَّهُ هكَذَا قَالَ لِيَ السَّيِّدُ: فِي مُدَّةِ سَنَةٍ كَسَنَةِ الأَجِيرِ يَفْنَى كُلُّ مَجْدِ قِيدَارَ**» فهو إشارة إلى غزوة بدر التي وقعت بعد سنة من الهجرة وكانت بين النبي محمد ﷺ وأصحابه في مقابل الكفار من أهل مكة، وانتهت بانتصار ساحق للمسلمين على كفار مكة، لتكون إرهاصة بزوال مجد العرب الوثنيين من أهل مكة وزوال ملكهم كما هو ثابت في السيرة والتاريخ.

فـ «قيدار» هو أحد أبناء سيدنا إسماعيل ﵇ الذي سكن مكة، والدليل على أنه من ولد إسماعيل ما جاء في سفر التكوين الإصحاح (٢٥) الأعداد (١٣-١٦):

---

(١) يذكر أن تيماء كان يسكن بها اليهود الذين رحلوا إلى يثرب واستوطنوا فيها، وعلى هذا فأهل يثرب من اليهود هم أهل تيماء المخاطبون في هذا النص.



«وَهذِهِ أَسْمَاءُ بَنِي إِسْمَاعِيلَ بِأَسْمَائِهِمْ حَسَبَ مَوَالِيدِهِمْ: نَبَايُوتُ بِكْرُ إِسْمَاعِيلَ، وَقِيدَارُ، وَأَدَبْئِيلُ وَمِبْسَامُ، وَمِشْمَاعُ وَدُومَةُ وَمَسَّا، وَحَدَارُ وَتَيْمَا وَيَطُورُ وَنَافِيشُ وَقِدْمَةُ. هؤُلاَءِ هُمْ بَنُو إِسْمَاعِيلَ، وَهذِهِ أَسْمَاؤُهُمْ بِدِيَارِهِمْ وَحُصُونِهِمْ. اثْنَا عَشَرَ رَئِيسًا حَسَبَ قَبَائِلِهِمْ».

فقوله: «**يفنى كل مجد قيدار**» يوضح أن مجد قيدار وهو المجد المتمثل فى القبائل العربية سوف يفنى بعد غزوة بدر، وقد حدث هذا بالفعل، حيث سقط مجد تلك القبائل العربية على يد الرسول ﷺ الذي حطّم أصناهم وقضى على شركهم، ولم يمت حتى سيطر المسلمون على الجزيرة العربية بأسرها.



البشارة الثالثة

جاء في سفر المزامير الإصحاح (٨٤) الأعداد (٤-٦):

«طُوبَى لِلسَّاكِنِينَ فِي بَيْتِكَ، أَبَدًا يُسَبِّحُونَكَ، سِلاَهْ. طُوبَى لأُنَاسٍ عِزُّهُمْ بِكَ. طُرُقُ بَيْتِكَ فِي قُلُوبِهِمْ. عَابِرِينَ فِي وَادِي الْبُكَاءِ، يُصَيِّرُونَهُ يَنْبُوعًا. أَيْضًا بِبَرَكَاتٍ يُغَطُّونَ مُورَةَ».

في هذا النصَ نجد وصفًا لما يحدث في بيت الله من عبادة وتسبيح دائم، ووصفًا لميل أفئدة الناس واشتياقهم لهذا البيت ورغبتهم الشديدة للعبور إليه وزيارته، وأن بيت الله هذا مليء بالبركات والخير.

وفي آخر هذا النص جاء ذكر مكان بيت الله هذا الذي يعبر الناس إليه وهو كما جاء في الترجمة العربية: «**وادي البكاء**»، فما هو وادي البكاء؟ وأين مكانه؟

يمكننا الإجابة عن ذلك بكل سهولة بنظرة سريعة في الترجمة الإنجليزية لهذا النص، التي جاءت هكذا بحسب ترجمة الملك جيمس (KJV):

(Who passing through the **valley of Baca** make it a well; the rain also filleth the pools)

إن النص الأصلي يقول إن هذا البيت في (Baca) أي «بَكَّة»، وليس وادي البكاء كما في الترجمة العربية، فقد قام المترجمون إلى العربية بتغيير كلمة «وادي بكة» إلى «وادي البكاء» لإخفاء ظهور هذه البشارة الواضحة بالنبي محمد ﷺ ولكن فاتهم أن الترجمات الأخرى سوف تفضح هذا الغش والتزوير الواضح.

إن بكة هو اسم للمكان الذي يوجد فيه بيت الله وتوجد فيه الكعبة، وقد



جاء ذلك صريحًا في القرآن الكريم في قول الله تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران:٩٦]

فبكة هي مكة، وبيت الله الذي يتحدث عنه هذا النص هو بيت الله الحرام والكعبة التي توجد في مكة إلى الآن.

وأما ما جاء ذكره في النص مما يقع عند هذا البيت من عبادة وتسبيح دائم، ووصفًا لميل أفئدة الناس واشتياقهم لهذا البيت ورغبتهم الشديدة للعبور إليه وزيارته، وأن بيت الله هذا مليء بالبركات والخير، فكل هذا متحقق وظاهر خلال شعائر الحج والعمرة التي لا تنقطع طوال العام.

فالزائر لبيت الله الحرام الآن يرى التعبد والذكر والتسبيح الدائم لله لا ينقطع بالليل أو النهار حول هذا البيت المكرّم، ويرى قدوم الناس له وعبورهم إليه من كل أنحاء العالم، ويرى اشتياقهم لزيارته، وكيف يتكلفون المال ويبذلون الجهد في السفر والترحال من أجل حجّ هذا البيت والتقرّب لله تعالى.

إنها بشارة واضحة بالنبي محمد ﷺ وأتباعه من المسلمين الذين يعبرون إلى هذا البيت ويؤدون مناسك العبادة والذكر والتسبيح في هذا البيت تقربًا لربهم سبحانه وتعالى، فطوبى لهم ولكل الموحدين.

ولعل شدة وضوح هذه البشارة بالنبي محمد ﷺ هو الذي دفع يد التحريف والغش أن تحرّف «بكة» إلى «وادي البكاء» في محاولة يائسة لإخفاء الحق الذي أراد الله إظهارة حجة على الناس عامة وعلى أهل الكتاب خاصة، والحمد لله على فضله ونعمته.

البشارة الرابعة

جاء إنجيل متى الإصحاح (٢١) الأعداد (٣٣-٤٤):

«اِسْمَعُوا مَثَلاً آخَرَ: كَانَ إِنْسَانٌ رَبُّ بَيْتٍ غَرَسَ كَرْمًا، وَأَحَاطَهُ بِسِيَاجٍ، وَحَفَرَ فِيهِ مَعْصَرَةً، وَبَنَى بُرْجًا، وَسَلَّمَهُ إِلَى كَرَّامِينَ وَسَافَرَ. وَلَمَّا قَرُبَ وَقْتُ الأَثْمَارِ أَرْسَلَ عَبِيدَهُ إِلَى الْكَرَّامِينَ لِيَأْخُذَ أَثْمَارَهُ. فَأَخَذَ الْكَرَّامُونَ عَبِيدَهُ وَجَلَدُوا بَعْضًا وَقَتَلُوا بَعْضًا وَرَجَمُوا بَعْضًا. ثُمَّ أَرْسَلَ أَيْضًا عَبِيدًا آخَرِينَ أَكْثَرَ مِنَ الأَوَّلِينَ، فَفَعَلُوا بِهِمْ كَذلِكَ. فَأَخِيرًا أَرْسَلَ إِلَيْهِمُ ابْنَهُ قَائِلاً: يَهَابُونَ ابْنِي! وَأَمَّا الْكَرَّامُونَ فَلَمَّا رَأَوْا الابْنَ قَالُوا فِيمَا بَيْنَهُمْ: هذَا هُوَ الْوَارِثُ! هَلُمُّوا نَقْتُلْهُ وَنَأْخُذْ مِيرَاثَهُ! فَأَخَذُوهُ وَأَخْرَجُوهُ خَارِجَ الْكَرْمِ وَقَتَلُوهُ. فَمَتَى جَاءَ صَاحِبُ الْكَرْمِ، مَاذَا يَفْعَلُ بِأُولَئِكَ الْكَرَّامِينَ؟ قَالُوا لَهُ: «أُولئِكَ الأَرْدِيَاءُ يُهْلِكُهُمْ هَلاَكًا رَدِيًّا، وَيُسَلِّمُ الْكَرْمَ إِلَى كَرَّامِينَ آخَرِينَ يُعْطُونَهُ الأَثْمَارَ فِي أَوْقَاتِهَا». قَالَ لَهُمْ يَسُوعُ: «أَمَا قَرَأْتُمْ قَطُّ فِي الْكُتُبِ: الْحَجَرُ الَّذِي رَفَضَهُ الْبَنَّاؤُونَ هُوَ قَدْ صَارَ رَأْسَ الزَّاوِيَةِ؟ مِنْ قِبَلِ الرَّبِّ كَانَ هذَا وَهُوَ عَجِيبٌ فِي أَعْيُنِنَا! لِذلِكَ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ مَلَكُوتَ اللهِ يُنْزَعُ مِنْكُمْ وَيُعْطَى لأُمَّةٍ تَعْمَلُ أَثْمَارَهُ. وَمَنْ سَقَطَ عَلَى هذَا الْحَجَرِ يَتَرَضَّضُ، وَمَنْ سَقَطَ هُوَ عَلَيْهِ يَسْحَقُهُ!»».

يضرب المسيح عليه السلام بحسب هذا النص مثلاً لأمة اليهود الذين استكبروا فعصوا أنبياء الله وحاربوهم وقتلوهم.

قال الله تعالى: ﴿أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ

وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴾ [البقرة:٨٧].

فالكرّامون في هذا المثل هم أمة اليهود، والعبيد الذين يرسلون لهم هم الأنبياء، والجزاء المستحق لهؤلاء اليهود هو الهلاك وانتزاع الملكوت منهم، والمقصود بهذا الملكوت هنا: النبوة التي تنزع من اليهود لتذهب إلى أمة أخرى «**لذلك أقول لكم: إن ملكوت الله ينزع منكم ويعطى لأمة تعمل أثماره**».

فما الأمة التي ستعطى هذا الملكوت وتنال تلك النبوة؟

إنها أمة الحجر الذي رفضه البناؤون، كما جاء في النص: «**أَمَا قَرَأْتُمْ قَطُّ فِي الْكُتُبِ: الْحَجَرُ الَّذِي رَفَضَهُ الْبَنَّاؤُونَ هُوَ قَدْ صَارَ رَأْسَ الزَّاوِيَةِ؟ مِنْ قِبَلِ الرَّبِّ كَانَ هذَا وَهُوَ عَجِيبٌ فِي أَعْيُنِنَا!**».

فما الحجر الذي رفضه البناؤون؟ إنه سيدنا إسماعيل عليه السلام ونسله حيث رفض اليهود سيدنا إسماعيل وبنيه؛ لأنه ابن جارية بزعمهم.

جاء في رسالة بولس إلى أهل غلاطية الإصحاح (٤) الأعداد (٢١-٣١):

«**قُولُوا لِي، أَنْتُمُ الَّذِينَ تُرِيدُونَ أَنْ تَكُونُوا تَحْتَ النَّامُوسِ: أَلَسْتُمْ تَسْمَعُونَ النَّامُوسَ؟ فَإِنَّهُ مَكْتُوبٌ أَنَّهُ كَانَ لإِبْرَاهِيمَ ابْنَانِ، وَاحِدٌ مِنَ الْجَارِيَةِ وَالآخَرُ مِنَ الْحُرَّةِ. لكِنَّ الَّذِي مِنَ الْجَارِيَةِ وُلِدَ حَسَبَ الْجَسَدِ، وَأَمَّا الَّذِي مِنَ الْحُرَّةِ فَبِالْمَوْعِدِ. وَكُلُّ ذلِكَ رَمْزٌ، لأَنَّ هَاتَيْنِ هُمَا الْعَهْدَانِ، أَحَدُهُمَا مِنْ جَبَلِ سِينَاءَ، الْوَالِدُ لِلْعُبُودِيَّةِ، الَّذِي هُوَ هَاجَرُ. لأَنَّ هَاجَرَ جَبَلُ سِينَاءَ فِي الْعَرَبِيَّةِ. وَلكِنَّهُ يُقَابِلُ أُورُشَلِيمَ الْحَاضِرَةَ، فَإِنَّهَا مُسْتَعْبَدَةٌ مَعَ بَنِيهَا. وَأَمَّا أُورُشَلِيمُ الْعُلْيَا، الَّتِي هِيَ أُمُّنَا جَمِيعًا، فَهِيَ حُرَّةٌ. لأَنَّهُ مَكْتُوبٌ: «افْرَحِي أَيَّتُهَا الْعَاقِرُ الَّتِي لَمْ تَلِدْ. اِهْتِفِي**

وَاصْرُخِي أَيَّتُهَا الَّتِي لَمْ تَتَمَخَّضْ، فَإِنَّ أَوْلاَدَ الْمُوحِشَةِ أَكْثَرُ مِنَ الَّتِي لَهَا زَوْجٌ». وَأَمَّا نَحْنُ أَيُّهَا الإِخْوَةُ فَنَظِيرُ إِسْحَاقَ، أَوْلاَدُ الْمَوْعِدِ. وَلكِنْ كَمَا كَانَ حِينَئِذٍ الَّذِي وُلِدَ حَسَبَ الْجَسَدِ يَضْطَهِدُ الَّذِي حَسَبَ الرُّوحِ، هكَذَا الآنَ أَيْضًا. لكِنْ مَاذَا يَقُولُ الْكِتَابُ؟ «اطْرُدِ الْجَارِيَةَ وَابْنَهَا، لأَنَّهُ لاَ يَرِثُ ابْنُ الْجَارِيَةِ مَعَ ابْنِ الْحُرَّةِ». إِذًا أَيُّهَا الإِخْوَةُ لَسْنَا أَوْلاَدَ جَارِيَةٍ بَلْ أَوْلاَدُ الْحُرَّةِ».

فسيدنا إسماعيل عليه السلام تم رفضه هو ونسله بحجة أن أمه هاجر عليها السلام جارية، وابن الجارية لا يرث كما جاء في النص.

فالحجر المرفوض الذي ستنزع النبوة من بني إسرائيل وتعطى لأمته هو سيدنا إسماعيل ونسله، وبالتالي فإن هذه البشارة توضح أن النبوة من بعد المسيح ستكون لواحد من نسل إسماعيل عليه السلام، ولم يأت نبي قط من وقتها من نسل إسماعيل إلا النبي محمد ﷺ الذي ينتسب لنسل إسماعيل كما هو ثابت في تاريخيًا.

فنسب النبي ﷺ إلى إسماعيل كالتالي: محمد بن عبد الله بن عبد المطلب (شيبة) بن هاشم (عمرو) بن عبد مناف (المغيرة) بن قصي (زيد) بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر (قيس) بن كنانة بن خزيمة بن مدركة واسم مُدركة (عامر) بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان بن أُدَد بن مقوم بن ناحور بن تيرح بن يعرب بن يشجب بن نابت بن إسماعيل بن إبراهيم عليهم السلام[1].

فحجر الزاوية هو النبي محمد ﷺ كما شبّه هو نفسَه في قوله: «**إن مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بيتًا، فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة**

---

(١) سيرة ابن هشام (١/١)، تاريخ الطبري (٢/٢٣٩).



من زاوية، فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له ويقولون: هلاّ وضعت هذه اللبنة، فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين»[١].

من ناحية أخرى فقد جاء في النص من صفات الأمة التي ستكون فيها النبوة ما يلي: «**ويسلم الكرم إلى كرامين آخرين يعطونه الأثمار في أوقاتها**».

فهم يؤدون العبادات في أوقاتها، وهذا من شعارات هذه الأمة التي ارتبطت لديها جُلّ العبادات بالأوقات:

فالصلاة لها مواقيت محددة كما قال الله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتۡ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوۡقُوتًا﴾ [النساء:١٠٣].

والصيام أيضًا له أيام معلومة فقد قال الله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ أَيَّامًا مَّعۡدُودَٰتٍۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٞ مِّنۡ أَيَّامٍ أُخَرَۚ﴾ [البقرة:١٨٣-١٨٤].

وكذلك الحج في وقت محدد، قال الله تعالى: ﴿ٱلۡحَجُّ أَشۡهُرٞ مَّعۡلُومَٰتٞۚ﴾ [البقرة:١٩٧].

والزكاة بكل أنواعها مرتبطة بالمواقيت، مثل زكاة المال والماشية وعروض التجارة التي تستحق بمرور حول بعد بلوغ النصاب، أو زكاة الزروع التي تستحق وقت الحصاد، قال الله تعالى: ﴿وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ يَوۡمَ حَصَادِهِۦۖ﴾ [الأنعام:١٤٢].

ومما سبق يتضح أن هذه البشارة منطبقة على النبي محمد ﷺ بشكل واضح لا ينكره إلا جاحد، والحمد لله رب العالمين.

---

(١) البخاري (٣٢٧١)، مسلم (٤٢٣٧).

البشارة الخامسة

جاء في سفر أشعياء، الإصحاح (٢٩) الأعداد (١٢):

«أَوْ يُدْفَعُ الْكِتَابُ لِمَنْ لاَ يَعْرِفُ الْكِتَابَةَ وَيُقَالُ لَهُ: اقْرَأْ هذَا، فَيَقُولُ: لاَ أَعْرِفُ الْكِتَابَةَ».

هذه بشارة واضحة بالنبي محمد ﷺ الذي كان أميًا لا يعرف الكتابة، ولا القراءة من كتاب.

قال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [الأعراف:١٥٧-١٥٨].

وقال النبي ﷺ: «**إنا أمة أمية لا نكتب ولا نحسب**»[1].

وقد جاءت هذه البشارة موافقة تمامًا لما جاء في الروايات المستفيضة في بدء الوحي، حين جاء الملَك جبريل عليه السلام إلى محمد ﷺ فقال له: اقرأ، فقال النبي ﷺ: ما أنا بقارئ.

فعن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أنها قالت: «أول ما بدئ به رسول الله ﷺ من الوحي

---

(١) البخاري (١٧٨٠)، مسلم (١٨٠٦).

الرؤيا الصالحة في النوم فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، ثم حُبّب إليه الخلاء وكان يخلو بغار حراء فيتحنث فيه -وهو التعبد- الليالي ذوات العدد قبل أن ينزع إلى أهله ويتزود لذلك ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها، حتى جاءه الحق وهو في غار حراء **فجاءه الملك فقال: اقرأ، قال: ما أنا بقارئ**، قال: فأخذني فغطّني حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني، فقال: اقرأ، قلت: ما أنا بقارئ، فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني، فقال: اقرأ، فقلت: ما أنا بقارئ، فأخذني فغطني الثالثة ثم أرسلني، فقال: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ۝٢ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ۝٣ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ﴾ [العلق:١-٥]»[(١)] وكان هذا هو أول ما نزل من القرآن الكريم.

وعند التأمّل في نص أشعياء نلحظ شيئًا من الاضطراب ربما جاء بسبب محاولة أهل الكتاب إخفاء هذه البشارة بتحريف النص من: «لا أعرف القراءة» -وهو الموافق للسياق- إلى «لا أعرف الكتابة»، التي لا تتفق مع السياق.

فمن الطبيعي إن قلت لشخص أمي: اقرأ فسيقول لك: لا أعرف القراءة.

أما إن قلت له: اكتب، فستكون الإجابة المنطقية: لا أعرف الكتابة.

وقد جاء في نص أشعياء: «أَوْ يُدْفَعُ الْكِتَابُ لِمَنْ لاَ يَعْرِفُ الْكِتَابَةَ وَيُقَالُ لَهُ: «**اقْرَأْ هذَا**». فَيَقُولُ: «**لاَ أَعْرِفُ الْكِتَابَةَ**».

فالكتاب يدفع لشخص أميّ ويقال له: اقرأ، أي يطلب منه القراءة، وكان المنطقي أن تكون الإجابة: لا أعرف القراءة، ولكنه قال: لا أعرف الكتابة؛

(١) البخاري (٣)، مسلم (٢٣١).

رغم أن المطلوب منه هو القراءة لا الكتابة.

وهذا التغيير الذي حدث في النص لا يؤثر على انطباق تلك البشارة على النبي محمد ﷺ من الناحية المعنوية، وإنما تُحدث شيئًا من الاختلاف اللفظي فقط وهذا يمكن تجاوزه.

و يمكن تأويل هذا النص بأن يكون المقصود من قوله: «لا أعرف الكتابة» هو: «لا أعرف القراءة من المكتوب»، حيث إن القراءة قد تكون من شيء مكتوب أمامك، وقد تكون من حفظ الذهن ونحوه.

فجاء النص «لا أعرف الكتابة» ليدل على عدم معرفته القراءة من المكتوب لكون المخاطَب أمّيًا، وبهذا يستقيم المعنى ويتفق السّياق والحمد لله رب العالمين.





البشارة السادسة

جاء في سفر حبقوق، الإصحاح (٣) الأعداد (٣-٥):

«اَللهُ جَاءَ مِنْ تِيمَانَ، وَالْقُدُّوسُ مِنْ جَبَلِ فَارَانَ، سِلاَهْ، جَلاَلُهُ غَطَّى السَّمَاوَاتِ، وَالأَرْضُ امْتَلأَتْ مِنْ تَسْبِيحِهِ، وَكَانَ لَمَعَانٌ كَالنُّورِ، لَهُ مِنْ يَدِهِ شُعَاعٌ، وَهُنَاكَ اسْتِتَارُ قُدْرَتِهِ، قُدَّامَهُ ذَهَبَ الْوَبَأُ، وَعِنْدَ رِجْلَيْهِ خَرَجَتِ الْحُمَّى».

هذه بشارة واضحة بالنبي محمد ﷺ تنطبق عليه من أكثر من وجه منها:

«وَالْقُدُّوسُ مِنْ جَبَلِ فَارَانَ» وفاران يقصد بها مكة.

جاء في معجم البلدان: «فاران: بعد الألف راء وآخره نون كلمة عبرانية معربة، وهي من أسماء مكة ذكرها في التوراة، قيل: هو اسم لجبال مكة»[1].

«وَالأَرْضُ امْتَلأَتْ مِنْ تَسْبِيحِهِ» وأمة محمد ﷺ هي أكثر الأمم تسبيحًا في الصلاة والذكر، فعلى سبيل المثال كل مسلم يردّد في صلاته مرات في كل ركوع: سبحان ربي العظيم، وفي كل سجود: سبحان ربي الأعلى، في خمس صلوات مفروضة على مدار اليوم، بخلاف السنن الراتبة والمستحبة والنوافل المطلقة، وبذلك نعلم كيف أن المسلمين يملؤون الأرض تسبيحًا.

«وَكَانَ لَمَعَانٌ كَالنُّورِ، لَهُ مِنْ يَدِهِ شُعَاعٌ» وقد حدث ذلك مع النبي محمد ﷺ في غزوة الأحزاب.

فعندما أمر رسول الله ﷺ المسلمين أن يحفروا الخندق عرض لهم حجر لا

---

(١) معجم البلدان لياقوت الحموي (٣٠١/٣).

تؤثر فيه المعاول، فاشتكوا ذلك إلى رسول الله ﷺ، وقالوا: يا رسول الله، خرجت صخرة بيضاء من الخندق مدورة فكسرت حديدنا، وشقّت علينا حتى ما يحيك فيها قليل ولا كثير، فمرنا فيها بأمرك.

فجاء رسول الله ﷺ، فألقى ثوبه وأخذ المعول، وضرب الصخرة ضربة صدعها، **وبرقت منها برقة أضاءت المدينة، حتى لكأنها مصباحًا في جوف ليل مظلم**، فكبر رسول الله ﷺ تكبيرة فتح، فكبّر المسلمون، ثم ضربها رسول الله ﷺ الثانية ثم الثالثة وفي كل مرة تتصدّع، ويبرق منها برقة تضيء لها المدينة كلها، «**حتى لكأن مصباحًا في جوف ليل مظلم**»[1] وقد حدث ذلك على مرأى ومسمع جموع كبيرة من الناس.

«**قُدَّامَهُ ذَهَبَ الْوَبَأُ، وَعِنْدَ رِجْلَيْهِ خَرَجَتِ الْحُمَّى**»: وقد حدث ذلك مع النبي محمد ﷺ عند قدومه المدينة وكانت مشهورة بانتشار الوباء والحمى فيها، فوعك بعض الصحابة واشتكوا من الحمى، فأُخبر النبي ﷺ بذلك فدعا قائلاً: «**اللّٰهُمَّ حبِّب إلينا المدينة كما حببت إلينا مكة أو أشدّ، وانقل حماها إلى الجحفة اللّٰهُمَّ بارك لنا في مدنا وصاعنا**» فخرج الوباء والحمى من المدينة[2].

---

(١) دلائل النبوة (٣/٤٩٨)، وأحمد (١٧٩٤٦)، والنسائي (٣١٢٥)، البداية والنهاية (٤/١٠٢) وحَسَّن الحافظ ابن حجر إسناده في فتح الباري (٧/٤٥٨).

(٢) البخاري (٥٣٢٢) ومسلم (٢٤٤٤).



البشارة السابعة

جاء في إنجيل يوحنا، عدة بشارات بالنبي محمد ﷺ فيما سمي بالمعزي، فقد جاء في الإصحاح (١٤) الأعداد (١٥-١٨):

«إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَنِي فَاحْفَظُوا وَصَايَايَ، وَأَنَا أَطْلُبُ مِنَ الآبِ فَيُعْطِيكُمْ مُعَزِّيًا آخَرَ لِيَمْكُثَ مَعَكُمْ إِلَى الأَبَدِ، رُوحُ الْحَقِّ الَّذِي لاَ يَسْتَطِيعُ الْعَالَمُ أَنْ يَقْبَلَهُ، لأَنَّهُ لاَ يَرَاهُ وَلاَ يَعْرِفُهُ، وَأَمَّا أَنْتُمْ فَتَعْرِفُونَهُ لأَنَّهُ مَاكِثٌ مَعَكُمْ وَيَكُونُ فِيكُمْ، لاَ أَتْرُكُكُمْ يَتَامَى إِنِّي آتِي إِلَيْكُمْ».

وجاء في الإصحاح (١٥) الأعداد (٢٦-٢٧):

«وَمَتَى جَاءَ الْمُعَزِّي الَّذِي سَأُرْسِلُهُ أَنَا إِلَيْكُمْ مِنَ الآبِ، رُوحُ الْحَقِّ، الَّذِي مِنْ عِنْدِ الآبِ يَنْبَثِقُ، فَهُوَ يَشْهَدُ لِي، وَتَشْهَدُونَ أَنْتُمْ أَيْضًا».

وفي الإصحاح (١٦) العدد (٧):

«لكِنِّي أَقُولُ لَكُمُ الْحَقَّ: إِنَّهُ خَيْرٌ لَكُمْ أَنْ أَنْطَلِقَ، لأَنَّهُ إِنْ لَمْ أَنْطَلِقْ لاَ يَأْتِيكُمُ الْمُعَزِّي، وَلكِنْ إِنْ ذَهَبْتُ أُرْسِلُهُ إِلَيْكُمْ».

لا شك أن ما جاء في إنجيل يوحنا عن المعزي، ما هو إلا بشارة من المسيح عليه السلام بالنبي محمد ﷺ.

فإن لفظة «المعزي» التي جاءت في النصوص ما هي إلا لفظة محدثة استبدلتها التراجم الحديثة للعهد الجديد بالكلمة اليونانية (البارقليط) التي كانت التراجم العربية القديمة للإنجيل المطبوعة في لندن سنة (١٨٢٠م)، وسنة (١٨٣١م)، وسنة (١٨٤٤م) تضعها كما هي، أو تكتبها (فارقليط).

ومعنى كلمة «بارقليط» اليونانية يرجع إلى كلمة «بيركليتوس»، التي تعني: محمد أو أحمد، أو الذي له حمد كثير.

ومن الملاحظ أن كلمة «بارقليط» قريبة في اللفظ والنطق جدًا من الكلمة اليونانية «بيركليت» التي تعني: محمد أو أحمد.

أما حرف «السين» المضاف في آخر كلمة «بيركليت» لتكون «بيركليتوس» فهو يجعلها أقرب أن تكون لاسم علم لا صفة، لأنه كان من عادة اليونان زيادة السين في آخر الأسماء، وهو ما لا يصنعونه عادة في الصفات، وبالتالي يبعد جدًا أن تكون الترجمة الصحيحة لهذا اللفظ هو المعزي كما جاء في النسخ الحديثة، وقد اعترف بعض علماء اللاهوت النصارى بأن ترجمة البارقليط إلى المعزي غير دقيقة[1].

ومن هنا يظهر أن الكنيسة قد تركت عمدًا الترجمة الصحيحة لكلمة «بارقليط» وهي محمد أو أحمد، واستبدلت بالمعاني الدالة صراحة على النبي ﷺ كلمات أخرى لا تتوافق مع الترجمة الصحيحة كالمعزي والمعين والوكيل والمحامي، وما هذا إلا نوع من التحريف وإخفاء الحقيقة قد اعتدنا عليه من رجالات الكنيسة عبر عصور مختلفة، نسأل الله أن يهديهم للحق، وأن ينقذ رعاياهم من النصارى من انحرافاتهم.

---

(١) يقول الدكتور سميسون في كتابه "الروح القدس أو قوة في الأعالي": "الاسم المعزي ليس ترجمة دقيقة"، بل لقد اعترف أدوين جونز في كتابه "نشأة الديانة المسيحية" أن الترجمة الصحيحة للباراقليط هي محمد.


هذا محمد
صلى الله عليه وسلم
رحمة للعالمين وخاتم النبيين





شهادات معاصريه من أهل الكتاب بنبوّته

التقى نبي الرحمة محمد ﷺ بالكثير من أهل الكتاب سواء قبل بعثته أو بعدها، فأقرّوا بأنه النبي المنتظر، وجزموا بأن ما جاء به موافق لما جاء في كتبهم، وما أوحي به لموسى وعيسى عليهما السلام


هذا محمد
صلى الله عليه وسلم
رحمة للعالمين وخاتم النبيين

شهادات معاصريه

من أهل الكتاب بنبوّته

التقى نبي الرحمة محمد ﷺ بالكثير من أهل الكتاب سواء قبل بعثته أو بعدها، فأقرّوا بأنه النبي المنتظر، وجزموا بأن ما جاء به موافق لما جاء في كتبهم، وما أوحي به لموسى وعيسى عليهما السلام، ومن هؤلاء من آمن به واتبعه وحسن إسلامه، لكن منهم أيضًا مَن صدّه عن اتباع الحق العنادُ والكبر أو الحرص على متاع الدنيا، رغم إقرارهم بأن محمدًا ﷺ هو رسول الله.

ونعرض الآن لبعض تلك الشخصيات من اليهود والنصارى الذين عاصروا النبي ﷺ والتقوا به، وأقرّوا بأنه رسول الله حقًا.

بحيري الراهب:

خرج عم النبي ﷺ أبو طالب تاجرًا في ركب إلى الشام واصطحب معه الرسول ﷺ وهو وقتها ابن اثنتي عشرة سنة تقريبًا.

ونزل الركب بُصرى من أرض الشام، وكان بها راهب يقال له: «بَحِيرى» في صومعة له، ولم يزل في تلك الصومعة راهبًافيها، إليه يصير علم كتب النصارى وأحبارهم الذي يتوارثونه كابرًا عن كابر.

وكانوا كثيرًا ما يمرون ببحيرى فلا يكلمهم ولا يعرض لهم، ولكن في ذلك العام لما نزلوا قريبًا من صومعته صنع لهم طعامًا كثيرًا، وذلك لشيء رآه وهو في صومعته، حيث رأى رسول الله ﷺ في الركب حتى أقبل وغمامة تظلّله



من بين القوم، ثم أقبلوا فنزلوا في ظل شجرة قريبًا منه، فنظر إلى الغمامة حين أظلت الشجرة ومالت أغصان الشجرة على رسول الله ﷺ حتى استظل تحتها.

فلما رأى ذلك بحيرى نزل من صومعته وقد أمر بطعام فصنع، ثم أرسل إليهم فقال: إني صنعت لكم طعامًا يا معشر قريش، فأنا أحب أن تحضروا كلكم، كبيركم وصغيركم، عبدكم وحُرّكم.

فقال له رجل منهم: والله يا بحيرى إن لك لشأنًا اليوم ! ما كنت تصنع هذا بنا، وقد كنا نمر بك كثيرًا، فما شأنك اليوم؟

قال له بحيرى: صدقت، قد كان ما تقول، ولكنكم ضيوف، وقد أحببت أن أكرمكم وأصنع لكم طعامًا فتأكلون منه كلّكم.

فاجتمعوا إليه، وتخلّف رسول الله ﷺ من بين القوم لصغر سنّه، وجلس بجوار رحال القوم تحت الشجرة، فلما رآهم بحيرى لم ير الصفة التي يعرفها ويجدها عنده في كتبه، فقال: يا معشر قريش لا يتخلّفن أحد منكم عن طعامي.

قالوا: يا بحيرى ما تخلف أحد ينبغي له أن يأتيك إلا غلام، وهو أحدثنا سنًّا فتخلف في رحالنا.

قال بحيرى: لا تفعلوا، ادعوه فليحضر هذا الطعام معكم.

فقال رجل من قريش مع القوم: واللات والعزى لقد كان شيئًا قبيحًا منا أن نحضر نحن الطعام ويتخلف عنه محمد بن عبد الله بن عبد المطلب من بيننا، ثم قام إليه فاحتضنه وأجلسه مع القوم.

فلما رآه بحيرى جعل يلحظه لحظًا شديدًا وينظر إلى أشياء من جسده قد

كان يجدها عنده من صفته في كتب النصارى، حتى إذا فرغ القوم من طعامهم وتفرّقوا قام إليه بحيرى وقال له: يا غلام، أسألك بحق اللات والعزى[1] إلا أخبرتني عما أسألك عنه، وإنما قال له بحيرى: «بحق اللات والعزى»؛ لأنه سمع قومه يحلفون بهما.

فقال رسول الله ﷺ له: لا تسألني باللات والعزى شيئًا، فو الله ما أبغضت شيئًا قَطّ بغضهما (وكان النبي ﷺ يكره الأصنام حتى قبل بعثه).

فقال له بحيرى: فبالله إلا ما أخبرتني عما أسألك عنه؟

فقال له: سلني عما بدا لك.

فجعل يسأله عن أشياء من حاله من نومه وهيئته وأموره، فجعل رسول الله ﷺ يخبره، فوافق ذلك ما عند بحيرى من صفته.

ثم نظر إلى ظهره فرأى خاتم النبوة بين كتفيه موضعه من صفته التي عنده.

ثم قال بحيرى: هذا سيد العالمين، هذا رسول ربّ العالمين، يبعثه الله رحمة للعالمين.

قال له أشياخ من قريش: ما علمك؟

فقال بحيرى: إنكم حين أشرفتم من العقبة لم يبق حجر ولا شجر إلا خرّ ساجدًا، ولا يسجدان إلا لنبي، وإني أعرفه بخاتم النبوة أسفل من غضروف كتفه.

ثم أقبل على عمّه أبي طالب فقال: ما هذا الغلام منك؟ قال: ابني.

قال بحيرى: ما هو بابنك، وما ينبغي لهذا الغلام أن يكون أبوه حيًا.

قال أبو طالب: فإنه ابن أخي.

---

(١) اللات والعزى صنمان كانا يعبدان في مكة ويعظمان جدًا، حتى انتشر القسم بهما بين العرب.

قال بحيرى: فما فعل أبوه؟

قال: مات وأمه حُبلى به.

قال بحيرى: صدقت، ارجع بابن أخيك إلى بلده واحذر عليه اليهود، فوالله لئن رأوه وعرفوا منه ما عرفت ليقصدنّه بالشر، فإنه كائن لابن أخيك هذا شأن عظيم فأسرع به إلى بلاده.

فخرج به عمه أبو طالب سريعًا حتى أقدمه مكة حين فرغ من تجارته بالشام[1].

ورقة بن نوفل:

هو ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى، ابن عم أم المؤمنين خديجة بن خويلد رضي الله عنها زوجة النبي ﷺ، وكان امرءًا تنصّر في الجاهلية، وكان يكتب الكتاب العبراني، فيكتب من الإنجيل بالعبرانية ما شاء الله أن يكتب، وكان شيخًا كبيرًا مسنًّا قد عَمِيَ وفقد بصره.

ولما نزل الوحي على النبي ﷺ جاء إلى زوجته خديجة رضي الله عنها وحكى لها ما حدث وقد خشي على نفسه، فقالت خديجة: «كلا والله ما يخزيك الله أبدًا، إنك لتصل الرحم، وتحمل الكَلّ، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق»[2].

---

(١) السيرة النبوية لابن كثير (٢٤٥/١)، الروض الأنف (٣٢٥/١)، زاد المعاد (٧٠/١).

(٢) **تحمل الكَلّ**: أي تتحمل أثقال الفقراء والضعفاء والأيتام، **وتكسب المعدوم**: أي تتبرع بالمال لمن لا يجده، **وتقري الضيف**: أي تكرم الضيوف، **وتعين على نوائب الحق**: أي تعين الناس في مصائبهم وأفراحهم.

ثم انطلقت به خديجة رضي الله عنها حتى أتت به ورقة بن نوفل، فقالت له خديجة: يا بن عم، اسمع من ابن أخيك.

فقال له ورقة: يا بن أخي ماذا ترى؟

فأخبره رسول الله ﷺ خبر ما رأى من الوحي وظهور الملك جبريل له وما قاله له.

فقاله له ورقة: هذا الناموس الذي نزل الله به على موسى، يا ليتني فيها جذع (أي شاب قوي)، ليتني أكون حيًا إذ يخرجك قومك.

فقال رسول الله ﷺ: أومخرجيّ هم؟

قال ورقة: نعم، لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي، وإن يدركني يومك أنصرك نصرًا مؤزرًا.

ثم لم ينشب ورقة بن نوفل أن توفي بعد ذلك بقليل[1].

النجاشي:

النجاشي كان ملك الحبشة، وكان نصرانيًا مشهورًا بعدله ونصرته للمستضعفين، فلما اضطهد الكفار المسلمين أمر النبي ﷺ بعض أصحابه بالهجرة إلى الجبشة فرارًا من اضطهاد قريش لهم.

قالت أم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها: لما نزلنا أرض الحبشة، جاورنا بها خير جار النجاشي، أمِنّا على ديننا، وعبدنا الله تعالى لا نؤذى ولا نسمع شيئًا نكرهه.

فلما بلغ ذلك قريشًا، ائتمروا بينهم أن يبعثوا إلى النجاشي فينا رجلين

---

(١) البخاري (٣)، ومسلم (٢٣١).



منهم وأن يُهدوا للنجاشي هدايا مما يستطرف من متاع مكة، ولم يتركوا من بطارقته[١] بطريقًا إلا أهدوا له هدية ثم بعثوا بذلك عبد الله بن أبي ربيعة، وعمرو بن العاص، فخرجا حتى قدما على النجاشي، ونحن عنده بخير، فلم يبق من بطارقته بطريق إلا دفعا إليه هديته قبل أن يكلما النجاشي، وقالا لكل بطريق منهم: إنه قد لجأ إلى بلد الملك منا غلمان تركوا دين قومهم، ولم يدخلوا في دينكم وجاءوا بدين مبتدع لا نعرفه نحن ولا أنتم، وقد بعثنا إلى الملك فيهم أشراف قومهم ليردّهم إليهم فإذا كلمنا الملك فيهم فأشيروا عليه بأن يسلمهم إلينا ولا يكلمهم فإن قومهم أعلى بهم عينًا، وأعلم بما عابوا عليهم، فقالوا لهما: نعم.

ثم إنهما قدما هداياهما إلى النجاشي فقبلها منهما، ثم كلماه فقالا له: أيها الملك إنه قد لجأ إلى بلدك منا غلمان سفهاء فارقوا دين قومهم ولم يدخلوا في دينك، وجاءوا بدين ابتدعوه لا نعرفه نحن ولا أنت، وقد بعثنا إليك فيهم أشراف قومهم من آبائهم وأعمامهم وعشائرهم لتردّهم إليهم، فهم أعلم بهم وبما عابوا عليهم وعاتبوهم فيه.

قالت أم سلمة: ولم يكن شيء أبغض إلى عبد الله بن أبي ربيعة وعمرو بن العاص من أن يسمع النجاشي كلام المسلمين، لما يعلمانه من قوة ما معهم من الحق.

قالت بطارقة النجاشي: صدقًا أيها الملك قومهم وأعلم بهم وبما عابوا عليهم، فأسلمهم إليهما فليرداهم إلى بلادهم وقومهم.

---

(١) البطارقة: هم رجال الدين من النصارى.

فغضب النجاشي، ثم قال: لا والله لا أسلمهم إليهما، ولا يكاد قوم جاوروني، ونزلوا بلادي، واختاروني على من سواي حتى أدعوهم فأسألهم عما يقول هذان في أمرهم فإن كانوا كما يقولان أسلمتهم إليهما، ورددتهم إلى قومهم، وإن كانوا على غير ذلك منعتهم منهما، وأحسنت جوارهم ما جاوروني.

ثم أرسل إلى أصحاب رسول الله ﷺ فدعاهم فلما جاءهم رسوله اجتمعوا، ثم قال بعضهم لبعض: ما تقولون للرجل إذا جئتموه؟

قالوا: نقول والله ما علمنا، وما أمرنا به نبينا ﷺ كائنًا في ذلك ما هو كائن.

فلما جاءوا وقد دعا النجاشي أساقفته سألهم فقال لهم: ما هذا الدين الذي قد فارقتم فيه قومكم به، ولم تدخلوا ديني، ولا في دين أحد من هذه الملل؟

فكان الذي كلمه جعفر بن أبي طالب ﷺ، فقال له: أيها الملك، كنا قومًا أهل جاهلية نعبد الأصنام، ونأكل الميتة، ونأتي الفواحش، ونقطع الأرحام، ونسيء الجوار، ويأكل القوي منا الضعيف، فكنا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولاً منا، نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه، فدعانا إلى الله لنوحده ونعبده، ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان، وأمرنا بصدق الحديث وأداء الأمانة وصلة الرحم وحسن الجوار والكف عن المحارم والدماء، ونهانا عن الفواحش وقول الزور وأكل مال اليتيم وقذف المحصنات، وأمرنا أن نعبد الله وحده لا نشرك به شيئًا، وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام.. فصدقناه وآمنا به واتبعناه على ما جاء به من الله، فعبدنا الله وحده فلم نشرك به شيئًا، وحرمنا ما حرم علينا، وأحللنا ما أحل لنا، فعدا علينا قومنا، فعذبونا، وفتنونا عن ديننا، ليردونا إلى عبادة الأوثان من عبادة الله تعالى، وأن نستحل ما كنا

نستحل من الخبائث، فلما قهرونا وظلمونا وضيقوا علينا، وحالوا بيننا وبين ديننا، خرجنا إلى بلادك، واخترناك على من سواك؛ ورغبنا في جوارك، ورجونا أن لا نظلم عندك أيها الملك.

فقال له النجاشي: هل معك مما جاء به عن الله من شيء؟

فقال له جعفر: نعم.

فقال له النجاشي: فاقرأه عليّ.

فقرأ عليه صدرًا من سورة مريم: ﴿كٓهيعٓصٓ ۝١ ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآ ۝٢ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا ۝٣ قَالَ رَبِّ إِنِّى وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّى وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا ۝٤ وَإِنِّى خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِىَ مِن وَرَآءِى وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا فَهَبْ لِى مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ۝٥ يَرِثُنِى وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ ۖ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا﴾ [مريم: ١-٦] الآيات.

فبكى النجاشي حتى اخضلت لحيته، وبكت أساقفته حتى أخضلوا مصاحفهم حين سمعوا ما تلا عليهم.

ثم قال النجاشي: إن هذا والذي جاء به عيسى ليخرج من مشكاة واحدة انطلقا.

فلما خرجا من عنده قال عمرو بن العاص: والله لآتينه غدًا عنهم بما أستأصل به خضراءهم، فقال له عبد الله بن أبي ربيعة: لا نفعل فإن لهم أرحامًا، وإن كانوا قد خالفونا، قال: والله لأخبرنه أنهم يزعمون أن عيسى ابن مريم عبد.

ثم غدا عليه فقال: أيها الملك إنهم يقولون في عيسى ابن مريم قولاً عظيمًا، فأرسل إليهم فسلهم عما يقولون فيه، فأرسل إليهم ليسألهم عنه.

فلما دخلوا عليه قال لهم: ماذا تقولون في عيسى ابن مريم؟

فقال جعفر بن أبي طالب: نقول فيه الذي جاءنا به نبينا ﷺ: هو عبد الله ورسوله وروحه وكلمته[١] ألقاها إلى مريم العذراء البتول.

فضرب النجاشي بيده إلى الأرض فأخذ منها عودًا، ثم قال: والله ما عدا عيسى ابن مريم ما قلت هذا العود.

فتناخرت [٢] بطارقته حوله حين قال ما قال، فقال: وإن نخرتم والله اذهبوا فأنتم آمنون بأرضي من سبّكم غرم، وما أحب أن لي جبلاً من ذهب وأني آذيت رجلاً منكم.

ردّوا عليهما هداياهما، فلا حاجة لي بها، فخرجا من عنده مقبوحين مردودًا عليهما ما جاءا به وأقمنا عنده بخير دار مع خير جار.

ثم اجتمعت الحبشة فقالوا للنجاشي: إنك قد فارقت ديننا وخرجوا عليه، فأرسل إلى جعفر وأصحابه فهيّأ لهم سفنًا وقال: اركبوا فيها وكونوا كما أنتم فإن هُزمت فامضوا حتى تلحقوا بحيث شئتم، وإن ظفرت فاثبتوا.

ثم عمد إلى كتاب فكتب فيه: هو يشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا عبده ورسوله، ويشهد أن عيسى ابن مريم عبده ورسوله وروحه وكلمته ألقاها إلى مريم؛ ثم جعله في قبائه [٣] عند المنكب الأيمن، وخرج إلى الحبشة، وصفّوا له

---

(١) المقصود بأن عيسى هو روح من الله أي روح خلقها الله، أما المقصود بأنه كلمة الله أي خُلق بكلمة الله وهي كلمة "كن"، وإضافة الروح والكلمة لله إضافة تشريف مثل قولنا: بيت الله وناقة الله، وشهر الله المحرّم.

(٢) التناخر هو إخراج أصوات من الخيشوم.

(٣) القباء: ثوب يلبس فوق الثياب.

فقال: يا معشر الحبشة، ألست أحقّ الناس بكم؟ قالوا: بلى.

قال: فكيف رأيتم سيرتي فيكم؟ قالوا: خير سيرة.

قال: فما بالكم؟ قالوا: فارقت ديننا، وزعمت أن عيسى عبد.

قال: فما تقولون أنتم في عيسى؟ قالوا: نقول هو ابن الله.

فقال النجاشي ووضع يده على صدره على قبائه: هو يشهد أن عيسى بن مريم، لم يزد على هذا شيئًا، وإنما يعني ما كتب في الكتاب، فرضي الأحباش وانصرفوا.

فبلغ ذلك النبي ﷺ، فلما مات النجاشي صلى عليه واستغفر له[1].

قال جابر رضي الله عنه: قال النبي ﷺ حين مات النجاشي: «**مات اليوم رجل صالح فقوموا فصلوا على أخيكم أصحمة**»[2].

عداس:

عندما خرج النبي ﷺ إلى الطائف يدعو إلى التوحيد والإيمان لم يجبه أحد وتعرّض له بعض السفهاء بالإيذاء وقذفوه بالحجارة حتى أدموه.

وعندما رأى عتبة وشيبة ابنا ربيعة ما لقي النبي ﷺ من الأذى تحركت له رحمهما، فدعوا غلامًا لهما نصرانيًا، يقال له: عداس، فقالا له: خذ قطفًا من العنب فضعه في هذا الطبق، ثم اذهب به إلى ذلك الرجل -يقصدون رسول الله ﷺ- فقل له يأكل منه.

ففعل عداس، ثم أقبل به حتى وضعه بين يدي رسول الله ﷺ ثم قال له: كُلْ.

---

(١) سيرة ابن هشام (١/٣٣٧-٣٤٠)، والروض الأنف للسهيلي (٢/١١١).

(٢) البخاري (٣٥٨٨)، ومسلم (١٥٨٢).

فلما وضع رسول الله ﷺ فيه يده قال: باسم الله، ثم أكل.

فنظر عداس في وجهه ثم قال: والله إن هذا الكلام ما يقوله أهل هذه البلاد.

فقال له رسول الله ﷺ: ومن أهل أي البلاد أنت يا عداس؟ وما دينك؟

قال عداس: أنا نصراني، وأنا رجل من أهل نينوى.

فقال رسول الله ﷺ: من قرية الرجل الصالح يونس بن متى؟

فقال له عداس: وما يدريك ما يونس بن متى؟

فقال رسول الله ﷺ: ذاك أخي، كان نبيًا وأنا نبي.

فأكبّ عداس على رسول الله ﷺ يقبّل رأسه ويديه وقدميه.

فقال أحد ابني ربيعة لصاحبه: أما غلامك فقد أفسده عليك.

فلما جاءهما عداس، قالا له: ويلك يا عداس ما لك تقبّل رأس هذا الرجل ويديه وقدميه؟

قال عداس: يا سيدي، ما في الأرض شيء خير من هذا الرجل، لقد أخبرني بأمر ما يعلمه إلا نبي[١].

عبد الله بن سلام:

كان عبد الله بن سلام سيدًا من أسياد اليهود في المدينة وكبيرًا من كبرائهم، وعالمًا من علمائهم وحَبرًا من أحبارهم، مطّلع على كتب اليهود وعارفًا بما جاء فيها من البشارت وصفة النبي المنتظر، فلما بلغه مقدم النبي ﷺ

---

(١) سيرة ابن هشام (٤٢١/١) والروض الأنف للسهيلي (٢٣١/١)، عيون الأثر لابن سيد الناس(١٧٨/١).

المدينة، أتاه يسأله عن أشياء، فقال: إني سائلك عن ثلاث لا يعلمهن إلا نبي: ما أول أشراط الساعة؟ وما أول طعام يأكله أهل الجنة؟ وما بال الولد ينزع إلى أبيه أو إلى أمه؟

فقال النبي ﷺ: **أخبرني به جبريل آنفًا.**

قال ابن سلام: ذاك عدو اليهود من الملائكة.

قال النبي ﷺ: **أما أول أشراط الساعة: فنار تحشرهم من المشرق إلى المغرب.**

وأما أول طعام يأكله أهل الجنة: فزيادة كبد الحوت.

وأما الولد: فإذا سبق ماء الرجل ماء المرأة نزع الولد، وإذا سبق ماء المرأة ماء الرجل نزعت الولد.

قال ابن سلام: أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله.

ثم قال عبد الله بن سلام: يا رسول الله إن اليهود قوم بُهت، فاسألهم عني قبل أن يعلموا بإسلامي.

فجاءت اليهود، فقال النبي ﷺ: **أي رجل عبد الله بن سلام فيكم؟**

قالوا: خيرنا وابن خيرنا وأفضلنا وابن أفضلنا.

فقال النبي ﷺ: **أرأيتم إن أسلم عبد الله بن سلام؟**

قالوا: أعاذه الله من ذلك.

فأعاد عليهم، فقالوا مثل ذلك.

فخرج إليهم عبد الله فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله.

قالوا: شرّنا وابن شرنا وتنقّصوه.

قال عبد الله بن سلام: هذا كنت أخاف يا رسول الله[١].

حيي بن أخطب:

كان حيي بن أخطب سيد يهود بني النضير بالمدينة، وهو أبو أم المؤمنين صفيّة بنت حيي رضي الله عنها زوجة النبي ﷺ، وكان حيي بن أخطب وأخوه ممن علموا صدق النبي ﷺ، لكنهما لم يسلما عنادًا واستكبارًا.

وتحكي أم المؤمنين صفية بنت حيي بن أخطب رضي الله عنها عن ذلك فتقول:

«كنت أحبّ ولد أبي إليه وإلى عمي أبي ياسر، لم ألقهما قطّ مع ولد لهما إلا أخذاني دونه.

فلما قدم رسول الله ﷺ المدينة، ونزل قباء في بني عمرو بن عوف، غدا عليه أبي حيي بن أخطب وعمي أبو ياسر بن أخطب مغلسين (أي في ساروا بغلس وهو ظلمة آخر الليل).

قالت: فلم يرجعا حتى كانا مع غروب الشمس، فأتيا كالَّيْن[٢] كسلانين ساقطين يمشيان الهوينى، فهشَشْتُ إليهما[٣] كما كنت أصنع، فوالله ما التفت إليّ واحد منهما، مع ما بهما من الغمّ.

قالت صفية رضي الله عنها: وسمعت عمي أبا ياسر وهو يقول لأبي حيي بن أخطب: أهو هو؟ (أي هل محمد ﷺ هو النبي الذي ننتظره الموجود بشارته في كتبنا؟)

---

(١) البخاري (٣٦٤٥).

(٢) كالّين أي أصابهما الكلل وهو الإعياء والتعب.

(٣) هششت: أي نشطت وخففت.

قال حيي بن أخطب: نعم والله.

قال أبو ياسر: أتعرفه وتثبته؟

قال حيي بن أخطب: نعم.

قال أبو ياسر: فما في نفسك منه؟

قال حيي بن أخطب: عداوته والله ما بقيت»[1].

هرقل:

عن عبد الله بن عباس رضي الله عنه أن أبا سفيان بن حرب أخبره أن هرقل عظيم الروم أرسل إليه في ركب من قريش وكانوا تجارًا بالشام في المدة التي كان رسول الله ﷺ مادّ فيها أبا سفيان وكفار قريش (أي في مدة صلح الحديبية) فأتوه وهم بإيلياء فدعاهم في مجلسه وحوله عظماء الروم ثم دعاهم ودعا بترجمانه فقال: أيكم أقرب نسبًا بهذا الرجل الذي يزعم أنه نبي؟

فقال أبو سفيان: أنا أقربهم نسبًا.

فقال هرقل: أدنوه مني وقرّبوا أصحابه فاجعلوهم عند ظهره، ثم قال لترجمانه: قل لهم: إني سائل هذا (أي أبي سفيان) عن هذا الرجل (أي النبي ﷺ) فإن كذبني فكذِّبوه.

قال أبو سفيان رضي الله عنه: فوالله لولا الحياء من أن يأثروا عليّ كذبًا لكذبت عنه، ثم كان أول ما سألني عنه أن قال: كيف نسبه فيكم؟

قلت: هو فينا ذو نسب.

---

(١) سيرة ابن هشام (٥١٧/١)، وعيون الأثر لابن سيد الناس (٢٧٧/١)، والروض الأنف للسهيلي (٣٧٦/٢).

قال هرقل: فهل قال هذا القول منكم أحد قطّ قبله؟

قلت: لا.

قال: فهل كان من آبائه من ملك؟

قلت: لا.

قال: فأشراف الناس يتبعونه أم ضعفاؤهم؟

فقلت: بل ضعفاؤهم.

قال: أيزيدون أم ينقصون؟

قلت: بل يزيدون.

قال: فهل يرتدّ أحد منهم سخطة لدينه بعد أن يدخل فيه؟

قلت: لا.

قال: فهل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟

قلت: لا.

قال: فهل يغدر؟

قلت: لا، ونحن منه في مدة لا ندري ما هو فاعل فيها.

(قال أبو سفيان: ولم تمكني كلمة أدخل فيها شيئًا غير هذه الكلمة).

قال هرقل: فهل قاتلتموه؟

قلت: نعم.

قال: فكيف كان قتالكم إياه؟

قلت: الحرب بيننا وبينه سجال ينال منا وننال منه.

قال: ماذا يأمركم؟



قلت: يقول اعبدوا الله وحده ولا تشركوا به شيئًا، واتركوا ما يقول آباؤكم ويأمرنا بالصلاة والزكاة والصدق والعفاف والصلة.

فقال هرقل للترجمان: قل له سألتك عن نسبه فذكرت أنه فيكم ذو نسب فكذلك الرسل تبعث في نسب قومها.

وسألتك: هل قال أحد منكم هذا القول فذكرت أن لا، فقلت: لو كان أحد قال هذا القول قبله لقلت رجل يأتسي بقول قيل قبله.

وسألتك: هل كان من آبائه من ملك؟ فذكرت أن لا، قلت فلو كان من آبائه من ملك قلت رجل يطلب ملك أبيه.

وسألتك: هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال: فذكرت أن لا، فقد أعرف أنه لم يكن ليذر الكذب على الناس ويكذب على الله.

وسألتك: أشراف الناس اتبعوه أم ضعفاؤهم؟ فذكرت أن ضعفاءهم اتبعوه وهم أتباع الرسل.

وسألتك: أيزيدون أم ينقصون فذكرت أنهم يزيدون، وكذلك أمر الإيمان حتى يتم.

وسألتك: أيرتدّ أحد سخطة لدينه بعد أن يدخل فيه؟ فذكرت أن لا، وكذلك الإيمان حين تخالط بشاشته القلوب.

وسألتك: هل يغدر؟ فذكرت أن لا وكذلك الرسل لا تغدر.

وسألتك: بما يأمركم؟ فذكرت أنه يأمركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئًا وينهاكم عن عبادة الأوثان، ويأمركم بالصلاة والصدق والعفاف.

فإن كان ما تقول حقًّا فسيملك موضع قدميّ هاتين، وقد كنت أعلم أنه

خارج لم أكن أظن أنه منكم، فلو أني أعلم أني أخلص إليه لتجشّمت لقاءه، ولو كنت عنده لغسلت عن قدمه.

ثم دعا بكتاب رسول الله ﷺ الذي بعث به دحية إلى عظيم بُصرى فدفعه إلى هرقل فقرأه فإذا فيه:

«بسم الله الرحمن الرحيم من محمد عبد الله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم: سلام على من اتبع الهدى، أما بعد، فإني أدعوك بدعاية الإسلام، أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين، فإن توليت فإن عليك إثم الأريسيين.

﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٦٤].

قال أبو سفيان: فلما قال ما قال وفرغ من قراءة الكتاب كثر عنده الصخب وارتفعت الأصوات وأخرجنا فقلت لأصحابي حين أخرجنا لقد أَمِر أمر ابن أبي كبشة[1] إنه يخافه ملك بني الأصفر، فما زلت موقنًا أنه سيظهر حتى أدخل الله عليَّ الإسلام.

وكان ابن الناظور صاحب إيلياء وهرقل سقفًا على نصارى الشام يحدّث أن هرقل حين قدم إيلياء أصبح يومًا خبيث النفس فقال بعض بطارقته: قد استنكرنا هيئتك.

قال ابن الناظور -وكان هرقل حزاء ينظر في النجوم- فقال لهم حين

(١) يقصد بابن أبي كبشة النبي ﷺ، وأبو كبشة هو أحد أجداده، وأمِر أمره أي عظم شأنه.



سألوه: إني رأيت الليلة حين نظرت في النجوم ملك الختان قد ظهر، فمن يختتن من هذه الأمة؟ قالوا: ليس يختتن إلا اليهود فلا يهمنك شأنهم واكتب إلى مداين ملكك فيقتلوا من فيهم من اليهود.

فبينما هم على أمرهم أتي هرقل برجل أرسل به ملك غسان يخبر عن خبر رسول الله ﷺ فلما استخبره هرقل قال: اذهبوا فانظروا: أمختتن هو أم لا؟ فنظروا إليه فحدثوه أنه مختتن، وسأله عن العرب فقال: هم يختتنون.

فقال هرقل: هذا ملك هذه الأمة قد ظهر.

ثم كتب هرقل إلى صاحب له برومية وكان نظيره في العلم وسار هرقل إلى حمص فلم يرم حمص حتى أتاه كتاب من صاحبه يوافق رأي هرقل على خروج النبي ﷺ وأنه نبي، فأذن هرقل لعظماء الروم في دسكرة [١] له بحمص ثم أمر بأبوابها فغلقت ثم اطلع فقال: يا معشر الروم هل لكم في الفلاح والرشد وأن يثبت ملككم فتبايعوا هذا النبي؟

فحاصوا حيصة حمر الوحش[٢] إلى الأبواب فوجدوها قد غلقت فلما رأى هرقل نفرتهم وأيس[٣] من الإيمان قال: ردّوهم عليّ، وقال: إني قلت مقالتي آنفًا أختبر بها شدّتكم على دينكم، فقد رأيت؛ فسجدوا له ورضوا عنه فكان ذلك آخر شأن هرقل[٤].

---

(١) الدسكرة: قصر حوله بيوت.

(٢) أي نفروا مثل الحمير الوحشية.

(٣) أي يئس.

(٤) البخاري (٦)، مسلم (٣٣٢٢).





شهادات المنصفين من غير المسلمين

سيد الخلق محمد ﷺ لا يحتاج لأي شهادة من البشر بعد أن شهد له رب العالمين من فوق سبع سموات، وبعد أن قامت الأدلة اليقينية على صدق نبوته وصحة رسالته، ولكننا في المقابل نقول أن الحق ما شهدت به الأعداء


هذا محمد صلى الله عليه وسلم
رحمة للعالمين وخاتم النبيين

مُقَدِّمَة

في هذا الفصل نعرض نماذج مما قاله بعض المنصفين من غير المسلمين في خاتم النبيين ﷺ، وما شهدوا له به في سيرته ودعوته وشخصيته وتأثيره، بعد دراسة وبحث مجرد في المصادر والمراجع.

وقد يتساءل البعض: هل يحتاج الرسول ﷺ لشهادة الكفار له؟

ونجيب بأن سيد الخلق محمد ﷺ لا يحتاج لأي شهادة من البشر بعد أن شهد له رب العالمين من فوق سبع سموات، وبعد أن قامت الأدلة اليقينية على صدق نبوته وصحة رسالته، ولكننا في المقابل نقول أن الحق ما شهدت به الأعداء، وما جاء إيرادنا لأقوال هؤلاء إلا من باب الاستئناس بها، وإقامة الحجة على مخالفينا بما يقول شرفاؤهم وكبراؤهم، ليعلموا كذب ما يروّجه الحاقدون المغرضون من أهل ملتهم من افتراءات على شخص الحبيب محمد ﷺ، لعلّ الله يهدي بذلك من يطلب الهداية منهم، و من كان باحثًا عن الحق منصفًا لنفسه وللآخرين.

ويجب التنبّه إلى أننا ننقل هنا أقوال المنصفين من غير المسلمين بألفاظهم وعباراتهم التي خرجت بما يتناسب مع موروثهم الثقافي والديني والفكري، وإن كنّا نرفض بعض التعبيرات والألفاظ أو نتحفظ عليها، لكننا لما تمليه علينا قواعد الأمانة العلمية نقلناها كما هي، فلا ينبغي أن يفهم من ذلك موافقتنا على كل ما اشتملت عليه عبارات القوم واصطلاحاتهم.



على سبيل المثال: عندما يقول القس بوسورث سميث في كتابه «محمد والمحمدية»: «لقد كان محمد قيصراً وبابا في آن واحد»، فهذا كلام لا نوافق عليه بألفاظه، لأن النبي ﷺ لم يكن من القياصرة ولا من البابوات ورجال الكهنوت، ولكن الرجل أراد بعبارته أن يبين أن النبي الكريم محمدًا ﷺ لم يكن رجل دين لا علاقة له بالأمور الدنيوية، ولم يكن في المقابل قائدًا دنيويًا علمانيًا لا علاقة له بالدين، بل كان يسوس الدنيا بالدين، وكما كان يدعو للتوحيد وعبادة الله ومكارم الأخلاق ويربط الناس بالحياة الأخروية، فقد كان يدعو لإصلاح الأرض وتعميرها، والعمل على تحقيق السعادة للمجتمع بما لا يخالف القواعد الدينية والأخلاقية، بل ويعدّ ذلك جزءًا من عبادة الله تعالى.

كما أننا نتحفظ على تسمية الكاتب لدعوة النبي ﷺ بـ «المحمدية» كما جاء في عنوان كتابه؛ لأن الدين الذي دعا إليه النبي الكريم محمد ﷺ لا يسمى بالمحمدية؛ وإنما هو دين الإسلام كما قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ۗ وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴾ [آل عمران: ١٩].

وقال: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ [آل عمران: ٨٥].

ودين الإسلام وإن كان قد ارتبط بالنبي الكريم محمد ﷺ من حيث إنه الرسول المختار من قبل الله تعالى لإبلاغ شرعه، إلا إنه لم يرتبط بشخصه وذاته

حيث لم يدعُ النبي ﷺ إلى ذاته، بل دعا للإيمان به رسولاً ونبيًا يبلغ للناس ما أوحى الله له به، كما أن الدعوة لدين الإسلام لم ترتبط بوجود النبي الكريم محمد ﷺ ولم تُكتب نهايتها بموته، بل استمرت على نفس منهجه بعد موته ﷺ.

فمعتقد المسلمين في الرسول الكريم محمد ﷺ أنه بشر مثلنا تمامًا ولكنه يوحى إليه من الله، وقد جعل الله فيه من الصفات والخصال والأخلاق ما يؤهله لتحمّل أمانة الرسالة والتبليغ، ويجعله أهلاً لئن يقتنع الناس به ويصدقوه ويؤمنوا به.

قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَـٰهُكُمْ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَـٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف: ١١٠].

وقال سبحانه: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَـٰهُكُمْ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ فَٱسْتَقِيمُوٓا۟ إِلَيْهِ وَٱسْتَغْفِرُوهُ ۗ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ﴾ [فصلت:٦].

وهذا ليس معتقد المسلمين في الرسول الكريم محمد ﷺ فقط؛ بل في كل أنبياء الله ورسله، قال الله تعالى: ﴿قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَمَا كَانَ لَنَآ أَن نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَـٰنٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [إبراهيم:١١].

كما أن لفظ «المحمدية» قد يوقع غير المسلمين في سوء فهم حين يظنون أنه يعني أن المسلمين ينزلون الرسول الكريم محمد ﷺ منزلة الإلهية؛ ولذلك سموا بالمحمديين وسميت الدعوة بالمحمدية على غرار البوذية التي تنسب لبوذا



والمسيحية التي تنسب زورًا للمسيح لكون أتباعها يعتقدون أن المسيح إله.

والصحيح أن أتباع الرسول محمد ﷺ يسمون بالمسلمين والدين الذي دعا إليه هو دين الإسلام وقد نهى النبي ﷺ عن الغلو فيه وإنزاله منزلة فوق منزلة الرسالة والعبودية لله تعالى، فقال: «**لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم فإنما أنا عبده، فقولوا عبد الله ورسوله**»(١).

ومعنى قوله ﷺ «**لا تطروني**»: لا تمدحوني كمدح النصارى، حتى غلا بعضهم في عيسى فجعله إلهًا مع الله، وبعضهم ادّعى أنه هو الله، وبعضهم ابن الله(٢).

وخلاصة الأمر أننا ربما نرفض بعض ألفاظ هؤلاء الذين ننقل عنهم أو نتحفظ عليها لاعتبارات شرعية، ولكننا ننقلها بكل أمانة كما جاءت على ألسنتهم وفي كتبهم.

والآن ننتقل لسرد أقوال بعض المنصفين من غير المسلمين في الرسول الكريم محمد ﷺ، والتي جاءت شاهدة على فضله وشرفه العظيم، ومُقرّة بسموّه ورفعة مكانته وشموخ دعوته العظيمة.

---

(١) أخرجه البخاري (٣١٨٩)، ومسلم (٣٢٠١).

(٢) فتح الباري (١٩/٢٥٧).

أقوال المنصفين من غير المسلمين
في خاتم النبيين ﷺ[1]

قال ويليام إ. فيبس، WILLIAM E. PHIPPS أستاذ الفلسفة والأديان في كلية DAVIS & ELKINS COLLEGE في ولاية فيرجينيا الغربية في الولايات المتحدة الأمريكية[2]:

«إنه من الصعب أن تجد الاحترام الذي يستحقّه محمدٌ ﷺ[3] في الغرب».

ونقل فيبس عن المؤرِّخ الإسكتلندي مونتغمري وات (MONTGOMERY WATT) أستاذ التاريخ في جامعة إدنبورغ، والمتخصص بالدراسات العربية والإسلامية قوله:«ليس أحد من الشخصيات التاريخية، لم يتم تقديرها وتكريمها في الغرب كمحمد ﷺ.

إن كُتّاب الغرب مالوا إلى تصديق كل ما هو سيء عن محمد ﷺ، وأينما سنحت الفرصة لتشويه أو تحريف أي عمل قام به محمد ﷺ في عيون الغرب، عملوا على عرض ذلك كحقيقة».

---

(١) لا يفوتني هنا توجيه جزيل الشكر لأخينا الفاضل "نبيه بن رشيد الصباغ" على ما أعاننا به من جمع مادة هذا الفصل أسأل الله أن يعظم أجره ويجزيه خير الجزاء.

(٢) في كتابه محمد ويسوع، مقارنة بين الأنبياء وتعاليمهم ص؟.
MUHAMMAD & JESUS COMPARISON OF THE PROPHETS AND THIER TEACHINGS.

(٣) لا يذكر الكُتّاب من غير المسلمين عادة عبارة "صلى الله عليه وسلم" بعد اسم النبي، لكننا نضيفها هنا كراهة أن يذكر اسمه مجردًا بغير الصلاة عليه.



ويضيف ويليام فيبس:«وحتى لا يُعتقد أنّ أحدًا من النصارى لم يذكر محمداً ﷺ بأي خير، فإن تيموتاوس النسطوري المسيحي، أسقف الكنيسة الآشورية في القرن الثامن قال:«محمد حقٌّ لكل تقدير وتكريم، محمد سلك طريق الأنبياء لأنه علّم الناس الوحدانية ودلّهم على الأعمال الصالحة وحارب الشرك وعبادة الأوثان.

لقد دلّ محمد ﷺ أتباعه على الله، وقد أظهر محمد ﷺ حماسة في محاربة الشرك بسيفه. وهو كإبراهيم عليه السلام، فقد سمى بقومه ورفعهم عن عبادة الأصنام»[1].

وقالت الكاتبة البريطانية الدكتورة كارين آرمسترونغ KAREN ARMSTRONG [2] الراهبة السابقة وصاحبة الكتابات القوية في مجال مقارنة المعتقدات وتاريخها:«لقد قدّم محمدٌ ﷺ -كونه شخصية نموذجية- قدّم دروساً مهمة للبشرية، ليس للمسلمين فحسب، بل ولأهل الغرب أيضاً.

لقد كانت حياته جهاداً، وكلمة جهاد لا ينحصر معناها بالحروب الدينية، بل الجهاد من المجالدة (المجاهدة)، فقد بذل محمد ﷺ جهوداً كبيرة لإحلال السلام في جزيرة العرب التي مزّقتها الحروب وشتّتها الاقتتال فيما بينها، ونحن اليوم بحاجة ماسة لشخصيات تحذو حذو محمدٍ ﷺ.

---

(١) نقلا عن كتاب: SHAH AND CALIPH by W.YOUNG،PATRIARCH ص٢٠٣.

(٢) في مقدمة كتابها "محمد، نبيٌّ لهذا الزمان"، MOHAMMAD APROPHET FOR OUR TIME، طبعة دار HarperCollins Publishers لسنة ٢٠٠٦.

لقد كرّس محمدٌ ﷺ حياته لمحاربة الظلم والجشع والطغيان، لقد أدرك محمدٌ ﷺ أن الجزيرة العربية كانت على مفترق طرق، وقد علم أن العادات القبلية لم تعد نافعةً كمنهج حياة، لذلك قام محمد ﷺ ببذْل نفسه وجهده لتقديم حلول وترسيخ منهجية جديدة للحياة».

وقال القس الأنجليكاني كينيث كراغ KENNETH CRAGG:«لقد كان محمد ﷺ، هذا النبي، كان فريداً ومميزاً ولا يمكن تكراره». ويضيف قائلاً:«لقد شكّل القرآن الكريم إشارة مهمة ودليلاً واضحًا على كون رسالة النبي هي وحي من الله، وبلاغة القرآن الكريم العربية كانت خير دليل على أنه وحي من الله»[1].

و قال صاحب موسوعة الحضارة ويل ديورانت WILL DURANT:«إذا أردنا أن نحكم على العظمة بما كان للعظيم من تأثير في الناس، لقلنا أن محمداً كان من أعظم عظماء التاريخ. فلقد أخذ على نفسه أن يرفع المستوى الروحي والأخلاقي لشعب ألقت به حرارة الجوّ وجدب الصحراء في دياجير الهمجية.

لقد نجح محمد ﷺ في تحقيق هذا الغرض نجاحاً لم يقاربه فيه أي مصلح آخر في التاريخ كله، ومن النادر أن نجد إنساناً غيره حقق ما كان يحلم به.

---

(١) من كتاب "نداء المئذنة" (THE CALL OF THE MINARET) طبعة دار OXFORD UNIVERSITY PRESS لسنة ١٩٦٤، ص (٩٤- ٩٥) للقس الأنجليكاني KENNETH CRAGG، المولود سنة ١٩١٣، وصاحب الكتابات الشهيرة في مقارنة الأديان، والحاصل على منحة GRAFTONلسنة ١٩٣٤، وتمت رسامته قسيساً سنة ١٩٣٧.



فعندما بدأ محمد ﷺ دعوته كانت الجزيرة العربية عبارة عن قبائل متناحرة غارقة في الشرك والوثنية، ولكنه عندما مات وتركها ﷺ كانت أمة متماسكة»[١].

يقول المؤرخ الأمريكي واشنجتون إيرفينغ WASHINDTON IRVING: «بالرغم من انتصارات محمد ﷺ العسكرية، لم تثر هذه الانتصارات كبرياءه أو غروره، فقد كان يحارب من أجل الإسلام لا من أجل مصلحة شخصية، وحتى في أوج مجده حافظ الرسول ﷺ على تواضعه وبساطته، فكان يمنع أصحابه إذا دخل عليهم أن يقوموا له أو يبالغوا في الترحيب به، وإن كان قد هدف إلى تكوين دولة عظيمة، فإنها كانت دولة الإسلام، وقد حكم فيها بالعدل، ولم يفكر أن يجعل الحكم وراثياً لأسرته»[٢].

و قالت الناشطة البريطانية آني بيسانت ANNIE BESANT، في محاضرة لها ألقتها في الهند في عام ١٩٠٣م: «إنه من المستحيل على من يدرس سيرة وشخصية النبي العربي العظيم، ويدرس كيف كانت دعوته وكيف كانت حياته، لا يملك إلا أن يشعر بالتبجيل والاحترام لهذا النبي العظيم الذي كان واحداً من أعظم

---

(١) من كتاب "قصة الحضارة" للمؤرخ والفيلسوف الأمريكي WILL DURANT المتوفى سنة ١٩٨١، الجزء الرابع: "تاريخ الإيمان" ص١٧٤، طبعة دار Simon & Schuster في NEW YORK سنة ١٩٥٠.

(٢) من كتاب "حياة محمد" "THE LIFE OF MAHOMET"، صفحة ١٤٢ طبعة BAUDRY'S EUROPEAN LIBRARY لسنة ١٨٥٠. والمؤلف واشنجتون إيرفينغ WASHINGTON IRVING من أهم المؤرخين والروائيين الأمريكيين في القرن التاسع عشر، والمتوفى سنة ١٨٥٩.

وأسمى الأنبياء جميعًا.

وقد أذكر لكم في كلامي أشياء قد تبدو مألوفة ومعروفة عند كثيرين، ولكني شخصيًا، كلما أعدت القراءة في حياته وسيرته، تنتابني مشاعر جديدة من الاحترام والتبجيل لهذا المعلم العربي العظيم»[(١)].

و قال القس بوسورث سميث BOSWORTH SMITH في كتابه «محمد والمحمدية»: «لقد كان محمد قيصراً وبابا في آن واحد، ولكنه كان كالبابا من غير ذرائع البابا، وقيصرًا من غير فيالق القيصر.

لقد كان محمد من غير جيوش جرّارة، من غير حارس شخصي، من غير قصر أو قلعة، ومن غير إيرادات مادية ثابتة من أحد، فلو حُقّ لأي رجل أن يقول أنه يحكم بحق إلهي، فهو محمد. فقد امتلك محمد القوة والسلطة من غير أسلحة أو دعم من أحد»[(٢)].

---

(١) ANNIE BESANT الكاتبة والناشطة الحقوقية البريطانية، رئيسة البرلمان الوطني الهندي سنة ١٩١٧، المتوفاة سنة ١٩٣٣. هذا الكلام كان جزءاً من محاضرة ألقتها ANNIE BESANT في الهند سنة ١٩٠٣، وتم طبع ونشر هذه المحاضرة من قبل دار The Theosophical Publishing House في الهند، ضمن سلسلة كتيبات تحمل اسم كتيبات آديار"Adyar Pamphlets "، الكتيب رقم ١٦٢ لسنة ١٩٣٢.

(٢) من كتاب " محمد والمحمدية" للقس BOSWORTH SMITH زميل " كلية الثالوث" في جامعة أوكسفورد OXFORD، المتوفى سنة ١٨٨٤، طبعة دار HARPER& ROTHERS PUBLISHERS، NEW YORK لسنة ١٨٧٥ صفحة ٢٦٢ نسخة THE UNIVERSITY OF CALIFORNIA LIBRARY



أما مايكل هارت MICHAEL HART، أستاذ الفلك والفيزياء وتاريخ العلوم، فقد قال في كتابه «أكثر ١٠٠ شخصية مؤثرة في التاريخ»: «إن اختياري لمحمد ﷺ ليكون على رأس القائمة التي تضم الشخصيات التي كان لها أعظم تأثير عالمي في مختلف المجالات، ربما أدهش كثيرًا من القرّاء، وقد يكون محل سؤال لآخرين، ولكن محمدًا ﷺ كان الرجل الوحيد في التاريخ الذي استطاع أن يحقق نجاحًا عاليًا على المستويين الديني والدنيوي».

وفي حديثه عن التأثير الذي كان ولا زال يتمتع به محمد ﷺ، قال هارت: «لقد أسس محمد ﷺ ونشر أحد أعظم الأديان في العالم، وأصبح أحد الزعماء السياسيين العظام. ففي هذه الأيام، وبعد مرور ثلاثة عشر قرناً على وفاته، فإن تأثيره لا يزال قوياً وعارماً»[1].



---

(١) من كتاب العظماء مائة للكاتب والمؤرخ الأمريكي اليهودي MICHAEL H.HART، أستاذ علم الفلك والفيزياء وتاريخ العلوم، المولود سنة ١٩٣٢، والحاصل على شهادة الدكتوراة عام ١٩٧٢ من جامعة BRINSTON UNIVERSITY، الكتاب طبعة دار KENSINGTON PUBLISHING CORP. لسنة ١٩٧٨ و١٩٩٢ ص٣.





افتراءات حول نبي الرحمة ﷺ

وللردّ على هؤلاء لا بد من مناقشة هذا الأمر بموضوعية تلزمنا بالاقتصار على الحديث عن الحقائق التي تؤيدها أدلة الشرع والعقل والواقع، بعيدًا عن الاستنتاجات والتأويلات البعيدة عن الحقائق من جهة، والمدفوعة بالهوى والموسومة بعدم الإنصاف من جهة أخرى


هذا محمد
صلى الله عليه وسلم
رحمة للعالمين وخاتم النبيين

زواج النبي محمد ﷺ

يحاول كثير من أعداء الإسلام إثارة بعض الافتراءات حول تعدّد زوجات النبي ﷺ، ليتخذوا من ذلك وسيلة وسبيلاً للتشكيك في نبوته والطعن في شخصيته[1].

وللردّ على هؤلاء لا بد من مناقشة هذا الأمر بموضوعية تلزمنا بالاقتصار على الحديث عن الحقائق التي تؤيدها أدلة الشرع والعقل والواقع، بعيدًا عن الاستنتاجات والتأويلات البعيدة عن الحقائق من جهة، والمدفوعة بالهوى والموسومة بعدم الإنصاف من جهة أخرى.

ودعونا نتساءل أولاً: **هل هذا الزواج يعدّ عيبًا أو انحرافًا يجب أن نستنكره؟**

والإجابة بالطبع ستكون: لا؛ لأن الزواج عمومًا لا يمكن أن يكون عيبًا أو انحرافًا لأنه مما أباحه الله للإنسان في كل الشرائع، وأقرته جميع الشرائع والقوانين الأرضية، لأنه سنة في الخلق لا يمكن الاستغناء عنها.

وبحسب شريعة الإسلام فإن الله قد أباح للنبي ﷺ الزواج من كل النساء اللاتي تزوجهن، بدليل قوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَٰجَكَ ٱلَّـٰتِىٓ ءَاتَيْتَ أُجُورَهُنَّ ﴾ [الأحزاب: ٥٠].

وطالما ثبت أن هذا الزواج حلال لا ريب فيه قد أحله الله رب العالمين لرسوله الكريم ﷺ فلا يمكن الاعتراض عليه أو اعتباره نقيصة أو عيبًا.

---

(١) انظر كتاب " الردود المسكتة على الافتراءات المتهافتة" للمؤلف، ص٩٩-١٠٨.

من جهة أخرى فإن كل زيجات النبي ﷺ قد تمت بقبول ورضا تام من زوجاته رضوان الله عليهن جميعًا، ولم يعرف عن إحداهن أنها لم تكن راضية بهذا الزواج؛ بل كُنّ جميعًا في قمة السعادة والرضا بهذا الزواج، رغم ما عشن فيه من فقر وضيق في العيش وقلة في متاع الدنيا وملذاتها.

ولقد خيرهن الله تعالى بين البقاء مع النبي ﷺ وتحمّل المعيشة الخالية من المتع الدنيوية، وبين أن يطلقهن الرسول ﷺ فيتمتّعن بالدنيا وزينتها، فاخترن جميعًا برضا تام البقاءَ معه وعدم مفارقته.

فعن عائشة رضي الله عنها قالت: «لما أُمر رسول الله ﷺ بتخيير أزواجه بدأ بي فقال: **إني ذاكر لك أمرًا فلا عليك أن لا تعجلي حتى تستأمري أبويك**، قالت: قد علم أن أبويّ لم يكونا ليأمراني بفراقه.

قالت: ثم قال: إن الله ﷻ قال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٢٨﴾ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٢٨-٢٩].

قالت: فقلت: في أي هذا أستأمر أبويّ فإني أريد الله ورسوله والدار الآخرة، قالت: ثم فعل أزواج رسول الله ﷺ مثل ما فعلت»[1].

فإن كان هذا الزواج قد أباحه الله تعالى، وتمّ برضا الزوجات جميعًا، فمن ذا الذي له الحق أن يعترض؟ ومن أي جهة يعترض؟

---

(١) البخاري (٤٤١٢)، ومسلم (٢٦٩٦).

وقد يقول قائل: **إننا لا ننازع في مشروعية هذا الزواج، وإنما نسأل عن السبب وراء هذا العدد من الزوجات؟**

وللرد عليه نقول: إن الرسول ﷺ قد راعى مصالح مختلفة في كل زيجاته، منها مصالح عامة مشتركة بين كل الزيجات، ومنها مصالح عامة انفردت بها بعض الزيجات، ومنها مصالح خاصة متعلقة بزيجة بعينها.

فمن المصالح العامة المشتركة:

١- أن تتولى أمهات المؤمنين رضوان الله عليهن تعليم النساء لا سيما الأمور التي تخصّ المرأة وتستحي أن يطلع الرجال عليها.

٢- أن تنقل أمهات المؤمنين رضوان الله عليهن للناس ما يحدث داخل بيت النبي ﷺ من حكم وأحكام، كما أمرهن الله تعالى في قوله: ﴿ وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴾ [الأحزاب: ٣٤].

٣- إعلاء شأن المرأة في المجتمع الذي نشأ على جاهلية كانت تهين المرأة وتحقر من شأنها، وتعدها مجرد متاع يورث، أو وعاء لإشباع المتع الجنسية، أو سبب من أسباب الفقر والعار والشؤم.

أما زوجات النبي ﷺ فقد صرن أمهات لكل المؤمنين، ومعلمات لكل الأمة رجالها ونسائها، فحظين بشرف ومكانة تفخر بها كل امرأة مسلمة.

ومن المصالح العامة التي انفردت بها زيجات معينة:

١- جذب كبار القبائل العربية وزعمائها وتقريبهم للإسلام بمصاهرتهم، فإن الصهر والنسب من الأمور المؤثرة في نفس الإنسان العربي، وكثيرًا ما صدّت العصبية



القبلية الجاهلية بعض العرب عن الدخول في دين الله تعالى، وكان لا بد من معالجة هذه الأمراض الجاهلية بشيء من الحكمة والرحمة، فكانت هذه الزيجات مفتاحًا لقلوب أغلقتها حمية الجاهلية، وتقريبًا لنفوس أبعدتها عصبيات قبلية.

فقد تزوج النبي عليه الصلاة والسلام - مثلاً- بجويرية بنت الحارث رضي الله عنها وكانت سيدة قومها بني المصطلق، وكان لهذا الزواج غاية عظيمة، فقد أعتق المسلمون من كان بأيديهم من أسرى بني المصطلق وقالوا: أصهار رسول الله يسترقّون؟

حتى قالت عائشة رضي الله عنها: فلقد أعتق بتزويجه إياها مائة أهل بيت من بني المصطلق، فما أعلم امرأة كانت أعظم على قومها بركة منها.

وبفضل الله تعالى كان هذا الزواج المبارك من الأسباب التي دعت بني المصطلق جميعًا إلى الدخول طواعية في دين الله تعالى وترك الكفر والشرك[(١)].

٢- حكم تشريعية كتحريم التبني وإلغاء كل الآثار المنبنية عليه كما حدث في زواج النبي ﷺ من زينب بنت جحش رضي الله عنها.

قال الله تعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِىٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْا۟ مِنْهُنَّ وَطَرًا ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا﴾ [الأحزاب: ٣٧].

٣- إكرام النبي ﷺ وتشريفه لكبار أصحابه بتقريبهم منه بالمصاهرة، كما فعل مع أبي بكر الصديق بزواجه من ابنته عائشة، وعمر بن الخطاب بزواجه من ابنته حفصة، وكتزويجه عليه الصلاة والسلام ابنتيه رقية وأم كلثوم لعثمان بن عفان، وابنته فاطمة لعلي بن أبي طالب رضي الله عنهم جميعًا.

---

(١) زاد المعاد (٣/٢٥٨)، سيرة ابن هشام (٢/٢٩٥).

ومن المنافع الخاصة: مراعاة ظروف خاصة لبعض زوجاته، مثل:

١- زواج النبي ﷺ من سودة بنت زمعة التي كانت من المهاجرات إلى الحبشة، وكان زوجها السكران بن عمرو قد أسلم وهاجر معها وتوفي عنها هناك، وكان أهلها كفارًا، فلو رجعت إليهم فربما عذبوها وفتنوها عن دينها، فكان زواج النبي ﷺ منها شفقة بها، وإنقاذًا لها مما قد تعانيه من ظلم واضطهاد.

٢- زواج النبي ﷺ من أم سلمة هند بنت أبي أمية وكانت امرأة مسنة وذات عيال وتوفي عنها زوجها وكانت شديدة التعلق به، فتزوجها النبي ﷺ إشفاقًا عليها ورحمة بأيتامها رضي الله عنها.

والمطلع على سيرة الأنبياء والمرسلين يجد أن تعدّد الزوجات كان سُنة لهم؛ ولذلك فإن مما يثير العجب أن نجد بعضًا من اليهود والنصارى يثيرون الافتراءات حول تعدد زوجات الرسول ﷺ مدّعين أن ذلك يقدح في مقام النبوة على الرغم من أنهم يؤمنون بكتاب جاء فيه أن نبي الله سليمان عليه السلام -مثلاً- كان له ألف امرأة، كما جاء في سفر الملوك الأول، الإصحاح الحادي عشر، العدد الثالث: «**وكانت له سبع مئة من النساء السيدات، وثلاث مئة من السراري**».

وهنا قد يقول قائل: ألا تدل هذه الزيجات على شهوانية زائدة؟

وللرد على ذلك نقول: إن النبي الكريم ﷺ لم يكن في زيجاته خاضعًا لرغبة أو شهوة، فقد تبين عند النظر والتحقيق أن هذه الزيجات قد جاءت مراعاة للمصالح العامة للأمة، والخاصة لآحاد الرعية كما وضحنا ذلك بالتفصيل.

ومما يوضح على أن هذه الزيجات لم تكن لمحض الشهوة:



١- أن الرسول ﷺ بدأ زواجه في الخامسة والعشرين من السيدة خديجة التي كانت في الأربعين من عمرها وسبق لها الزواج مرتين من قبله، واستمر الزواج خمس وعشرين سنة لم يتزوج عليها حتى ماتت، وكان عمره ﷺ وقتها خمسون عامًا.

٢- لم يتزوج النبي ﷺ بكرًا قط إلا واحدة من إحدى عشرة امرأة، فكل أزواجه سبق لهن الزواج إلا عائشة رضي الله عنهن جميعًا.

٣- أكثر زوجاته تزوجهن بعد بلوغه أكثر من ٥٧ سنة كما يوضح الجدول التالي:

م	اسم أم المؤمنين	سنة الزواج بها	عمر النبي وقت الزواج منها
١	خديجة	١٥ قبل النبوة	٢٥ سنة
٢	سودة	١٠ للنبوة	٥٠ سنة
٣	عائشة	١١ للنبوة	٥١ سنة
٤	حفصة	٣ هـ	٥٦ سنة
٥	زينب بنت خزيمة	٤ هـ	٥٧ سنة
٦	أم سلمة	٤ هـ	٥٧ سنة
٧	زينب بنت جحش	٥ هـ	٥٨ سنة
٨	جويرية	٦ هـ	٥٩ سنة
٩	أم حبيبة	٧ هـ	٦٠ سنة
١٠	صفية بنت حيي	٧ هـ	٦٠ سنة
١١	ميمونة بنت الحارث	٧ هـ	٦٠ سنة

فلو كانت زيجات النبي ﷺ لمحض الشهوة لكان الأولى أن تكون في شبابه حيث قمة الشهوة وفورتها، لكنه كان في ريعان شبابه ليس له إلا زوجة واحدة، فهل تطرأ الشهوة على الإنسان بعد السابعة والخمسين؟

ثم دعوني أتساءل: لو أن إنسانًا خلقت فيه شهوة وفحولة فهل يُلام هذا الإنسان إن قضى شهوته بالحلال وتزوّج؟

فأي إنسان طبيعي خلقه الله تعالى بشهوات ورغبات، فإذا قضى هذه الشهوة في الحرام فإنه يذمّ ويلام، ولكن إن قضاها في الحلال الذي أحلّه الله تعالى من فوق سبع سموات فأي منقصة في ذلك وأي عيب؟!

والعجيب حقًّا أن بعض اليهود والنصارى يثيرون الافتراءات حول تعدد زوجات الرسول ﷺ للطعن في نبوته على الرغم من أنهم يؤمنون بكتاب يتهم الأنبياء زورًا وبهتانًا بوقوع الزنى منهم، ولا يجدون في ذلك قادحًا في مقام النبوة.

فعلى سبيل المثال نجد في سفر صموئيل الثاني، الإصحاح الحادي عشر، الأعداد من الثاني إلى الخامس:

«وَكَانَ فِي وَقْتِ الْمَسَاءِ أَنَّ دَاوُدَ قَامَ عَنْ سَرِيرِهِ وَتَمَشَّى عَلَى سَطْحِ بَيْتِ الْمَلِكِ، فَرَأَى مِنْ عَلَى السَّطْحِ امْرَأَةً تَسْتَحِمُّ. وَكَانَتِ الْمَرْأَةُ جَمِيلَةَ الْمَنْظَرِ جِدًّا. فَأَرْسَلَ دَاوُدُ وَسَأَلَ عَنِ الْمَرْأَةِ، فَقَالَ وَاحِدٌ: «أَلَيْسَتْ هذِهِ بَثْشَبَعَ بِنْتَ أَلِيعَامَ امْرَأَةَ أُورِيَّا الْحِثِّيِّ؟». فَأَرْسَلَ دَاوُدُ رُسُلاً وَأَخَذَهَا، فَدَخَلَتْ إِلَيْهِ، فَاضْطَجَعَ مَعَهَا وَهِيَ مُطَهَّرَةٌ مِنْ طَمْثِهَا. ثُمَّ رَجَعَتْ إِلَى بَيْتِهَا، وَحَبِلَتِ الْمَرْأَةُ، فَأَرْسَلَتْ وَأَخْبَرَتْ دَاوُدَ وَقَالَتْ: «إِنِّي حُبْلَى».



والأدهى من ذلك أنهم ينسبون للأنبياء أحطّ أنواع الزنى، وهو زنى المحارم، كما نجد في قصة سيدنا لوط عليه السلام في سفر التكوين، الإصحاح التاسع عشر، الأعداد من الثلاثين إلى السادس و الثلاثين:

«وَصَعِدَ لُوطٌ مِنْ صُوغَرَ وَسَكَنَ فِي الْجَبَلِ، وَابْنَتَاهُ مَعَهُ، لأَنَّهُ خَافَ أَنْ يَسْكُنَ فِي صُوغَرَ. فَسَكَنَ فِي الْمَغَارَةِ هُوَ وَابْنَتَاهُ. وَقَالَتِ الْبِكْرُ لِلصَّغِيرَةِ: «أَبُونَا قَدْ شَاخَ، وَلَيْسَ فِي الأَرْضِ رَجُلٌ لِيَدْخُلَ عَلَيْنَا كَعَادَةِ كُلِّ الأَرْضِ. هَلُمَّ نَسْقِي أَبَانَا خَمْرًا وَنَضْطَجعُ مَعَهُ، فَنُحْيِي مِنْ أَبِينَا نَسْلاً».فَسَقَتَا أَبَاهُمَا خَمْرًا فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ، وَدَخَلَتِ الْبِكْرُ وَاضْطَجَعَتْ مَعَ أَبِيهَا، وَلَمْ يَعْلَمْ بِاضْطِجَاعِهَا وَلاَ بِقِيَامِهَا.وَحَدَثَ فِي الْغَدِ أَنَّ الْبِكْرَ قَالَتْ لِلصَّغِيرَةِ: «إِنِّي قَدِ اضْطَجَعْتُ الْبَارِحَةَ مَعَ أَبِي. نَسْقِيهِ خَمْرًا اللَّيْلَةَ أَيْضًا فَادْخُلِي اضْطَجِعِي مَعَهُ، فَنُحْيِيَ مِنْ أَبِينَا نَسْلاً». فَسَقَتَا أَبَاهُمَا خَمْرًا فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ أَيْضًا، وَقَامَتِ الصَّغِيرَةُ وَاضْطَجَعَتْ مَعَهُ، وَلَمْ يَعْلَمْ بِاضْطِجَاعِهَا وَلاَ بِقِيَامِهَا، فَحَبِلَتِ ابْنَتَا لُوطٍ مِنْ أَبِيهِمَا».

فعجبًا كيف يجعلون الزواج الحلال الذي أباحه الله تعالى قادحًا في مقام النبوة، ولا يرون أن وقوع الزنى في أبشع صوره وأحطّ أشكاله قادحًا في نبوة أي نبي نسبوا له هذه الشناعات؟!

وقد يقول قائل: **ألم تكن هذه الزيجات عائقًا للنبي ﷺ من أداء وظيفته الدعوية والقيام بواجب تبليغ الرسالة؟**

ونقول في الردّ على ذلك:

إن تعدد زوجات النبي ﷺ لم يكن شاغلاً له عن أداء مهمته التي كلفه الله بها على خير وجه، فقد عاش حياته الكريمة داعيًا ومعلمًا وقائدًا ومجاهدًا في

سبيل الله، حتى صار الإسلام مسيطرًا على جزيرة العرب بأكملها، ومنطلقًا نحو ربوع الأرض كلها، فهدى اللهُ به من الضلال، وبصّر به من العمى، وفتح به آذانًا صمًا وقلوبًا غلفًا، ولم يمت إلا وقد كمل الدين، وتمت الشريعة بشهادة الله ﷻ القائل: ﴿ٱلْيَوْمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِ ۚ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ۚ﴾ [المائدة: ٣].

ثم بشهادة أصحابه رضوان الله عليهم حين سألهم رسول الله ﷺ في خطبة الوداع: «**وقد تركت فيكم ما لن تضلوا بعده إن اعتصمتم به، كتاب الله، وأنتم تسألون عني، فما أنتم قائلون؟**

فقالوا: **نشهد أنك قد بلغت وأديت ونصحت**»[١].

بل كان هذا الزواج المبارك من الأمور المساعدة على نشر هذا الدين، حيث ساهمت أمهات المؤمنين في نقل جزء غير ضئيل من سنة رسول الله ﷺ وأخباره وسيرته للأمة بأسرها، وساهمن في تعليم الرجال والنساء هدي النبي ﷺ، وكنّ أسوة تتبع، مثالًا يحتذى، فرضي الله عنهن وجزاهن خير الجزاء.

لم يبق بعد هذا العرض إلا أن نختص بعض الزيجات بالنقاش حيث يُثار حولها بعض الشبهات والافتراءات مثل زواج النبي ﷺ من أمهات المؤمنين خديجة وعائشة وزينب بنت جحش رضوان الله عليهن.

فلماذا تزوج النبي ﷺ من خديجة ﵂ رغم كبرها؟ وهل كان ذلك لمالها وثرائها؟

---

(١) مسلم (٢١٣٧).



ويتلخص الرد على ذلك فيما يلي:

أولاً: ما تذكره الروايات أن خديجة هي التي سعت إلى الزواج من النبي - رغم كثرة خطابها- ووسّطت في ذلك صديقتها نفيسة بنت منبه، وكان سبب رغبتها في الزواج منه حسن أخلاقه وأمانته والبركة العظيمة التي أحاطت به[1].

ثانيًا: أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها لم تكن مجرد امرأة ثرية فقط؛ بل إنها قد اشتهرت بحسن خلقها وذكائها ورجاحة عقلها ونسبها الشريف ومكانتها الرفيعة في قريش، ولذلك كان الكثير من رجال مكة يتمنون الزواج منها.

ثالثًا:لم يكن زواج النبي ﷺ من أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها رغبة في مالها كما يدّعي بعض المفترين، بدليل أن النبي عليه السلام أصدقها عشرين بكرة (وهي الناقة الفتية) وهذا من خير أموال العرب، وقد كان النبي ﷺ يعمل في مالها ويتاجر لها فيه فيحقق أرباحًا يأخذ منها نصيبًا يقابل ما بذله من العمل والجهد، وفي هذا مصلحة كبيرة لخديجة رضي الله عنها حيث كانت تحقق أرباحًا كبيرة وتجد في مالها بركة كبيرة خصوصًا مع الأمانة الشديدة والكفاءة العالية التي تميز بها النبي ﷺ وشهد له بها الكثيرون ومنهم ميسرة غلام خديجة رضي الله عنها[2].

ولماذا تزوج النبي ﷺ من أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وهي طفلة؟

ويتلخص الرد على ذلك فيما يلي:

أولاً: لم يتزوج النبي ﷺ عائشة رضي الله عنها وهي طفلة بل كانت امرأة بالغة،

---

(١) سيرة ابن هشام (١٨٨/١)، الرحيق المختوم (ص٧٨).

(٢) مختصر سيرة ابن هشام ص٤٣.

فالفتاة قد تبلغ في الثامنة وربما قبل ذلك، كما هو ثابت علميًا وطبيًا، والنبي ﷺ قد خطب عائشة رضي الله عنها وعقد عليها وهي في السادسة، ولم يدخل بها إلا عندما بلغت وصارت صالحة للزواج وهي في التاسعة من عمرها.

ثانيًا: إن كنا ننكر ذلك عرفًا الآن، فلم يكن ذلك مستنكرًا وقتها، فالأعراف تتغيّر وتتبدل في كل زمان ومكان، وليس من الإنصاف محاكمة أفعال حدثت منذ أكثر من ألف وأربعمائة سنة، لأعراف عصرنا الحالي.

ويكفي في الدلالة على أن هذا لم يكن مستنكرًا في أعراف القوم وقتها أن عائشة كانت مخطوبة قبل زواجها من النبي ﷺ لجبير بن مطعم.

وأن أحدًا لم يعترض على هذا الزواج سواء من المسلمين أو الكفار المتربصين بالرسول الكريم والمتشوقين لوقوع أي شيء يشنعون به عليه.

ثالثًا: لم يتم إثارة هذا الافتراء إلا في كتابات بعض المستشرقين وفي أزمان متأخرة، بعد أن أدّت بعض العوامل الاجتماعية والاقتصادية والسياسية إلى تأخر سن الزواج في الرجال والنساء عمومًا حيث الحياة المدنية والدراسة النظامية والأعباء المادية المتزايدة للزواج.

لكن عند الاطلاع على المصادر التاريخية نجد أن الزواج في سنّ مبكرة كان موجودًا في أوروبا نفسها ولا يوجد دليل على ذلك أفضل من مراجعة سن زواج الملوك والحكام في أوربا منذ قرون مضت، فعلى سبيل المثال نجد أن زوجة الإمبراطور «ألكسيوس كمننوس الأول» كانت ابنة اثنتي عشرة سنة عند زواجها وأصبحت إمبراطورة قبل أن تبلغ الخامسة عشرة، وكانت أميرة بيزنطة «ثيودورا» في الثالثة عشرة من عمرها عندما تزوجت بأمير القدس «بلدوين



الثالث»، أما «مارجريت ماريا هنجاريا» فقد تزوجت من «إيزاك أنجلوس الثاني» وهي في التاسعة من عمرها[١].

بل إن السن القانونية لممارسة الجنس كانت في حدود سن العاشرة في كلٍّ من بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية قبل سنة ١٨٨٥[٢].

رابعًا: إن فارق السن بين النبي ﷺ وعائشة رضي الله عنها لا يقدح في كفاءة الزواج؛ لأن الكفاءة في الزواج لها اعتبارات متعددة ولا تعتمد على السن فقط، والنبي ﷺ كانت له مميزات كثيرة من جمال خَلق وحسن خُلُق وكمال عقل وشرف نسب وعلو مكانة وكفى أنه عليه الصلاة والسلام نبي ورسول من عند الله.

خامسًا: صغر سنّ عائشة رضي الله عنها كان له فوائد كثيرة، فقد أهّلها لسرعة التعلم والحفظ، ثم عاشت بعد وفاته عليه الصلاة والسلام زمنًا طويلاً تعلم وتدرّس وتفتي، وكانت أكثر زوجاته رواية عنه، بل هي من المكثرات في الرواية عمومًا حيث روت ما يربو على ٢٢٠٠ حديث، وكانت ممن يرجع له في الفتوى والتعليم.

لماذا تزوج النبي عليه الصلاة والسلام من زوجة ابنه زيد السيدة زينب بنت جحش؟

أولاً: زيد ليس ابن النبي ﷺ، بل كان دعيّه، فزيد بن حارثة تبنّاه النبي ﷺ، ثم ألغى الله التبني وحرّمه، فلم يعد زيد ابنًا للنبي ﷺ لا حقيقة ولا ادعاء.

---

(١) انظر كتاب: وليام صور، تاريخ من أفعالنا ما وراء البحار، مطبعة جامعة كولومبيا، ١٩٤٣.
William of Tyre, History of the Deeds Done Beyond the Sea.

(٢) انظر ما كتبه الكاتب الإنجليزي ستيفن روبرتسون في مجلة التاريخ الاجتماعي، في صيف ٢٠٠٢.
Stephen Robertson, Journal of Social History.

قال الله تعالى: ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٤٠].

وقال: ﴿وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ أَبْنَآءَكُمْ ۚ﴾ [الأحزاب: ٤].

ثانيًا: السيدة زينب حين تزوجها الرسول ﷺ كانت مطلقة زيد دعيّه، ولم تكن زوجته، فهي مطلقة دعيه، وليست زوجة ابنه.

ثالثًا: الرسول ﷺ لم يتزوج السيدة زينب من عند نفسه ولكن الذي زوجها للنبي هو الله ﷻ بدليل قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا ﴾ [الأحزاب: ٣٧].

رابعًا: العلة في الزواج هي كما قال الله ﷻ: ﴿ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا لِكَىْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِىٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْا۟ مِنْهُنَّ وَطَرًا ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴾ [الأحزاب: ٣٧].

ففي الزواج علة تشريعية وهي إلغاء عادة التبني وكل ما يترتب عليها من آثار.

قال الله تعالى: ﴿ ٱدْعُوهُمْ لِءَابَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ ﴾ [الأحزاب: ٥].

خامسًا: زينب بنت جحش كانت ابنة عمة النبي ﷺ، وكان يعرفها من قبل أن يفرض الحجاب ولو أراد زواجها من قبل لفعل، وهو الذي زوجها لزيد [(١)].

وكان زيد يريد أن يطلقها فيقول له النبي ﷺ: أمسك عليك زوجك واتق الله.

---

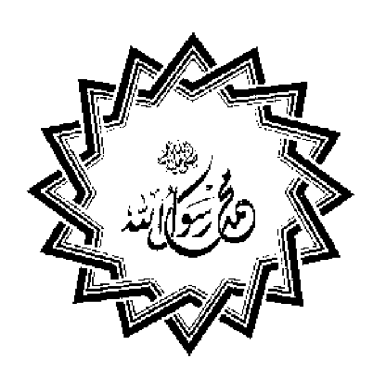
(١) التحرير والتنوير (٣٦/١١).

قال تعالى: ﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِيٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ ﴾ [الأحزاب: ٣٧].

وقد يقول قائل: ولماذا لم تنزل آية بتحريم التبني وينتهي الأمر عند ذلك؟

ونجيبه قائلين: كان التبني من تقاليد العرب المتأصّلة فيهم والتي يصعب هدمها، فاحتاجت مع القول إلى العمل حتى تزيل أي حرج في نفوس الناس بعد ذلك، ومن المعلوم أن العمل له تأثير كبير ربما يفوق القول، ومما يشهد لذلك أن النبي ﷺ لما أمر الصحابة في صلح الحديبية بنحر هديهم وحلاقة شعرهم والتحلّل من العمرة لم يقم أحد لامتثال أمره، فلما قام ونحر هديه ولم يكلم أحدًا، بادروا فنحروا وتحللوا[1]، وهذا يدل على تأثير الفعل والعمل في النفوس فلا يستحي مسلم أبدًا أن يفعل شيئًا فعله أكرم الخلق الرسول محمد أسوتنا وقدوتنا ومعلمنا عليه أفضل الصلاة والتسليم.

قال الله تعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِيٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْا۟ مِنْهُنَّ وَطَرًا ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا﴾ [الأحزاب: ٣٧].



(١) انظر القصة بكاملها في صحيح البخاري (٢٥٢٩).

الرسول ﷺ وافتراء انتشار الإسلام بحد السيف

يدعي بعض أعداء الإسلام أن الرسول ﷺ قام بشنّ العديد من الحروب لإجبار غير المسلمين على الدخول في الإسلام وأن الذين اعتنقوا الإسلام دخلوا فيه بالإكراه والقهر لا عن اقتناع وتسليم(1).

وزعموا أن السيرة النبوية شاهدة على انتشار الإسلام بحد السيف وأن الغزوات التي غزاها الرسول ﷺ لم يكن لها هدف إلا إجبار الناس على الدخول في الإسلام عنوة، محاولين تصوير النبي الكريم ﷺ زورًا وبهتانًا بأنه شخص دموي محب للقتل والاعتداء على الناس.

وهذا افتراء بعيد عن الحق والصواب، فالنبي الكريم هو نبي الرحمة والرأفة كما قال الله ﷻ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [التوبة: ١٠٧].

وقال: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨].

والرسول الكريم ﷺ قد جاء بشريعة تحرّم القتل وتعتبره ذنبًا من أكبر الذنوب، قال الله تعالى: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٩٣].

وقال: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا

---

(١) انظر في الرد على الافتراءات المتعلقة بالجهاد في الإسلام كتاب " الردود المسكتة على الافتراءات المتهافتة" للمؤلف، ص١٧١-٢١٠.

بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [الفرقان: ٦٨-٧٠].

وقال سبحانه: ﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ۚ﴾ [المائدة: ٣٢].

وعن النبي ﷺ أنه قال: «**اجتنبوا السبع الموبقات، قالوا: يا رسول الله، وما هن؟ قال: الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات**»(١).

أما عن انتشار الإسلام بالقوة وحد السيف فهذا افتراء مردود عليه من وجوه تتلخّص فيما يلي:

أولاً: لقد مكث رسول الله ﷺ في مكة ثلاثة عشر عامًا يدعو بالحجة والموعظة الحسنة بلا قتال أو إراقة نقطة دم، وكان ﷺ وأصحابه مستضعفين يتعرضون للتعذيب والتنكيل ليرجعوا عن دينهم فما صرفهم هذا عن الإسلام وما زادهم إلا إصرارًا على اتباع الحق، فإن كان هناك إكراه ففي الصدّ عن الإسلام لا في اتباعه.

ثانيًا: دخل الإسلام إلى أهل يثرب -المدينة النبوية- بلا أي قتال فقد اقتنع سادتهم بالإسلام حين عرضه عليهم الرسول ﷺ فبايعوه ببيعتي العقبة الأولى

---

(١) البخاري (٢٥٦٠)، ومسلم (١٢٩).

والثانية، ثم أرسل إليهم مصعب بن عمير فاجتهد في دعوة أهل المدينة حتى دخل معظمهم في دين الإسلام، فأين شبهة الإجبار في إسلام أهل المدينة؟

إذًا صار من المسلّمات التي لا يداخلها شك أن المهاجرين والأنصار - الذين هم ركيزة الدولة الإسلامية الأولى- قد دخلوا في دين الله عن اقتناع وتسليم وتحملوا في سبيله الابتلاءات والاضطهادات مما ينفي أي شبهة إكراه وإجبار في حقهم.

ثالثًا: إن الحروب والغزوات الإسلامية في العصر النبوي غالبها لم يكن بمبادرة من المسلمين، فقد غُزي المسلمون مثلاً في بدر وأحد والأحزاب، وأما غزوات اليهود وفتح مكة ومؤتة وتبوك وغيرها فكانت تأديبًا لمن خانوا العقود وخالفوا العهود والمواثيق وبدأوا بالاعتداء أو قتلوا رسل رسول الله ﷺ.

رابعًا: كان المسلمون يدخلون في الغالب في معارك غير متكافئة من حيث العدد والعدة، حيث كان خصمهم يتفوق عليهم تفوقًا ساحقًا.

ففي غزوة مؤتة على سبيل المثال نجد أن عدد جنود المسلمين حوالي ثلاثة آلاف رجل، في حين كان عدد جيش الكفار مائتي ألف مقاتل، ناهيك عن التفوق في العدة والآلة الحربية، فهل يظن بهذه القلة المستضعفة أن تغرّها قوتها وتشرع في فرض ما معها من الحق على هذه الجموع الغفيرة؟ وهل سعى ثلاثة آلاف مسلم في فرض الإسلام على مائتي ألف شخص؟!

خامسًا: إن العقائد لا تستقر في النفوس تحت وطأة السيف والقهر على الإطلاق

وإنما تستقر بالإقناع وبالحجة الواضحة، ولو كانت الشعوب قد دخلت في الإسلام مجبرة فسرعان ما كانت تمردت عليه ولفظته، ولكن الحقيقة التي يشهد لها التاريخ والواقع أن الشعوب الإسلامية هي أكثر الشعوب تمسكًا بدينها رغم ما تعانيه من اضطهادات وحروب في كثير من أنحاء العالم حتى في عصرنا هذا.

سادسًا: من المعلوم أن هناك كثافة إسلامية في جنوب شرق آسيا، في بلاد لم تطأها قدم مجاهد مسلم فاتح كالفلبين وإندونسيا فهناك عشرات بل مئات الملايين أسلموا، فمن الذي أجبر هؤلاء على اعتناق الإسلام؟ وجدير بالذكر أن هؤلاء يشكلون غالبية المسلمين في عصرنا.

كما أن هناك كثيرًا من المسلمين في دول أوربا والأمريكتين وهي بلاد لم يدخلها الفاتحين المسلمين، وهناك أقليات مسلمة في كل الدول غير الإسلامية وهم متمسكون بالإسلام والحمد لله.

وفي كل يوم تدخل جموع غفيرة إلى الإسلام في بلاد غير إسلامية، حتى ثبت بالإحصاءات الرسمية غير الإسلامية أن الإسلام الآن هو أسرع الأديان انتشارًا في العالم كله، بلا حروب أو أي شبهة في استخدام القوة.

سابعًا: مما يؤكد بطلان هذه الفرية أن التاريخ يثبت أن بعض القوات والجيوش التي حاربت المسلمين وانتصرت عليهم كالتتار مثلاً، قد أسلموا ودخلوا في دين الله أفواجًا، في سابقة لعلها لم يعرف لها التاريخ مثيلاً، فأنى للمنتصر أن يدخل في دين المهزوم، وأي شبهة إكراه ها هنا؟

ثامنًا: من نصوص الشرع ما يشهد على عدم الإكراه والإجبار في الدين

كقوله تعالى: ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ ﴾[البقرة:٢٥٦].

وقوله تعالى﴿ أَفَأَنتَ تُكۡرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ ﴾ [يونس: ٩٩].

قال السعدي في تفسيره لآية البقرة: «هذا بيان لكمال هذا الدين الإسلامي وأنه لكمال براهينه واتضاح آياته وكونه هو دين العقل والعلم ودين الفطرة والحكمة ودين الصلاح والإصلاح، ودين الحق والرشد، فلكماله وقبول الفطر له - لا يحتاج إلى الإكراه عليه، لأن الإكراه إنما يقع على ما تنفر عنه القلوب ويتنافى مع الحقيقة والحق أو لما تخفى براهينه وآياته، وإلا فمن جاءه هذا الدين وردّه ولم يقبله فإنه لعناده؛ فإنه قد تبين الرشد من الغي فلم يبق لأحد عذر ولا حجة إذا رده ولم يقبله»[١].

وقد يقول قائل: ولماذا شرع الجهاد في الإسلام؟ أليس لإجبار الناس على اعتناق الإسلام؟

والجواب على ذلك: أن الجهاد لم يشرع في الأساس لإجبار الناس على دخول الإسلام قهرًا، وإنما الغاية العظمى من الجهاد هي تطهير الأرض من أجواء الفتن حتى يتم تعبيد الناس لله رب العالمين وحده، وإخراج العباد من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، وإقامة توحيد الله في أرض الله، بين عباد الله، وإرجاع البشر إلى أصل فطرتهم وهي الإسلام لله تعالى الذي يخلّص البشرَ من كل عبودية مذلة لغيره.

---

(١) تفسير السعدي ص٩٢.

لذلك قال الصحابي الجليل ربعي بن عامر لرستم ملك الفرس يوضح سبب جهاد المسلمين: «إن الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام، فأرسلنا بدينه إلى خلقه لندعوهم إليه، فمن قَبل ذلك قبلنا منه ورجعنا عنه، ومن أَبَى قاتلناه أبدًا حتى نقضي إلى موعود الله»(١).

وهذا ما جاء به الحق في القرآن حيث قال: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَلَا عُدْوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البقرة: ١٩٣].

قال ابن كثير: «أمر الله تعالى بقتال الكفار حتى لا تكون فتنة: أي شرك، قال ابن عباس وأبو العالية ومجاهد والحسن وقتادة والربيع ومقاتل بن حيان والسدي وزيد بن اسلم، ويكون الدين لله: أي يكون دين الله هو الظاهر على سائر الأديان»(٢).

وقال الطبرى: «فقاتلوهم حتى لا يكون شرك ولا يعبد إلا الله وحده لا شريك له، فيرتفع البلاء عن عباد الله من الأرض وهو الفتنة «ويكون الدين كله لله»، يقول: وحتى تكون الطاعة والعبادة كلها لله خالصة دون غيره»(٣).

ولتوضيح ذلك نقول:

إنك إذا أردت أن تعالج شعبًا من إدمان الخمر فلا بد أن تغلق الخمارات،

---

(١) البداية والنهاية (٥ / ١٠٧، ١٠٨).

(٢) تفسير ابن كثير (١ / ٣٤١).

(٣) جامع البيان، للطبرى (٦ / ٣٢٧).

وإذا أردت لإنسان أن يتوب من الزنى فلا تجعله يعيش بين بيوت الدعارة، وعندما تريد أن تجعل الناس أصحّاء فيجب أن توفر لهم أجواء صحية نظيفة، والجهاد هو وسيلة تطهير الأرض من أدواء الشرك وتخليصها من أمراض الكفر وهذا معنى: (**حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ**).

فالجهاد في الإسلام ليس لإكراه الناس على الإسلام وإنما لإفساح الطريق لهم لأن يعبدوا الله ويتركوا الشرك من خلال توفير أجواء إيمانية لهم تساعدهم على التفريق بين الحق والباطل، وتوضح لهم الرشد من الغيّ؛ ولذلك قال الله تعالى: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ﴾ [البقرة:٢٥٦].

وينبغي التنبه إلى أن الجهاد في الإسلام مرتبط بجملة من القواعد الأخلاقية والمبادئ الأدبية لا يملك أي منصف إلا أن يعبّر عن شدة احترامه وإجلاله لهذه الشعيرة والجزم بأنه لا يمكن لكل ذاك المكنون الأخلاقي إلا أن ينبثق من نور الوحي الإلهي[١].

ومن هذه القواعد الأخلاقية العظيمة قاعدة «عدم قتال من لم يقاتل»، وهي تابعة في الأساس لقاعدة عظمى وهي قاعدة تحريم الاعتداء على الآخرين بغير حق، أو التعدي على الأبرياء بغير ذنب اقترفوه.

من أجل ذلك قررت الشريعة الإسلامية أن قتال الذين لا يشتركون في القتال ولا يقدرون عليه هو نوع من الاعتداء الذي نهى الإسلام عنه وذمه وحرّمه وعدّه من الجرائم الحربية.

---

(١) انظر: كتاب أخلاق الحروب الإسلامية في سيرة خير البرية، للمؤلف.

ومن الأدلة على ذلك:

- قوله الله تعالى: ﴿ وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ﴾ [البقرة: ١٩٠].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وإذا كان أصل القتال المشروع هو الجهاد ومقصوده هو أن يكون الدين كله لله وأن تكون كلمة الله هي العليا فمن منع هذا قوتل باتفاق المسلمين.

وأما من لم يكن من أهل الممانعة والمقاتلة كالنساء والصبيان والراهب والشيخ الكبير والأعمى والزمن ونحوهم فلا يقتل عند جمهور العلماء إلا أن يقاتل بقوله أو فعله..» [البقرة: ١٩٠] (١).

ومن الأدلة أيضًا ما جاء في الصحيحين عن نافع أن عبد الله رضي الله عنه أخبره أن امرأة وجدت في بعض مغازي النبي ﷺ مقتولة **فأنكر رسول الله ﷺ قتل النساء والصبيان**(٢).

وفي لفظ: «**فنهى رسول الله ﷺ عن قتل النساء والصبيان**»(٣).

وكذلك ما روي أن رسول الله ﷺ خرج في غزوة غزاها وعلى مقدمة الجيش خالد بن الوليد، فمرّ أصحاب رسول الله ﷺ على امرأة مقتولة مما أصابت المقدمة، فوقفوا ينظرون إليها متعجبين، حتى لحقهم رسول الله ﷺ على

---

(١) السياسة الشرعية، لابن تيمية، ص١٠٥، مكتبة المعارف.

(٢) البخاري (٣٠١٤) ومسلم (١٧٤٤).

(٣) البخاري (٢٧٩٢) ومسلم (٣٢٨٠).

راحلته، فانفرجوا عنها فوقف عليها رسول الله ﷺ فقال: «**ما كانت هذه لتقاتل**» فقال لأحدهم: «**الحق خالدًا فقل له لا تقتلوا ذرية ولا عسيفًا**»[١].

ومن ذلك أن النبي ﷺ قال: «**اغزوا باسم الله وفي سبيل الله وقاتلوا من كفر بالله اغزوا ولا تغدروا ولا تغلوا ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليدًا**»[٢].

وفي رواية أخرى:«**ولا تقتلوا وليداً طفلاً، ولا امرأة، ولا شيخاً كبيراً...**»[٣].

وكان رسول الله ﷺ إذا بعث جيوشه قال:«**لا تقتلوا الولدان**» وفي رواية:«**لا تقتلوا شيخاً كبيراً**» وفي رواية «**لا تقتلوا وليداً ولا امرأة**»[٤].

وعن يزيد بن هُرْمُز، أن نجدَةَ كتب إلى ابن عباس يسأله عن قتل أطفال المشركين.. فكتب إليه ابن عباس: إنك كتبتَ إليَّ تسأل عن قتل أطفال المشركين، فإن رسول الله ﷺ لم يقتلهم، وأنت فلا تقتلهم...«[٥].

وعلى نفس هذا النسق الأخلاقي الراقي، واصل خلفاء رسول الله ﷺ تلك المسيرة السامية.

فهذا أبو بكر الصديق يوصي أمراء الجند قائلاً:«**لا تقتلوا امرأة، ولا صبيًا، ولا كبيرًا هَرِمًا، ولا تقطعوا شجَرًا مُثمرًا، ولا تُخَرِّبُنَّ عامرًا، ولا تعقرنَّ**

---

(١) أحمد (١٧١٥٨)، وأبو داود (٢٦٦٩) وصححه الألباني السلسلة الصحيحة (٣١٤/٢).

(٢) أخرجه مسلم (١٧٣١)، وأبو داود (٢٦١٣).

(٣) أخرجه البيهقي في الكبرى (١٧٩٣٤).

(٤) شرح معاني الآثار للطحاوي (٢٢١/٣).

(٥) أخرجه مسلم (١٨١٢).



شاة ولا بعيرًا إلا لمأكله، ولا تغرقَنَّ نخلاً ولا تحرقنه، ولا تغلل، ولا تجبن»(١).

وهذا عمر بن الخطاب يكتب إلى الأجناد: «**لا تقتلوا امرأة ولا صبيًا**».

ففي الإسلام لا يقتل أحد بذنب غيره، ولا يؤخذ ابن بجريرة أبيه، أو امرأة بجريرة زوجها، ولا تزر وازرة وزر أخرى، وهذه أسمى معاني العدالة والرحمة.

قال قال رسول الله ﷺ: «**لا ترجعوا بعدي كفارًا يضرب بعضكم رقاب بعض، ولا يؤخذ الرجل بجريرة أبيه ولا بجريرة أخيه**»(٢)، والأحاديث والآثار في هذا الباب كثيرة.

أما من الناحية العملية التطبيقية فإننا نجد بتصفح السيرة النبوية ودراستها أنه على الرغم من كثرة عدد الحروب والغزوات التي خاضها النبي ﷺ ثم التي خاضها أصحابه رضوان الله تعالى عنهم، فإنه لم يُعرف عنهم أنهم قصدوا قتل ذراري وأطفال المشركين أو قتل نسائهم أو شيوخهم أو تعمّدوا الإفساد والتخريب بغير مصلحة، رغم ما تعرّض له المسلمون من اعتداءات سافرة.

وهذا ينسجم تمامًا مع الهدف السامي للحرب في الإسلام؛ فإنها وسيلة لإصلاح الناس وإرشادهم وإزالة العوائق التي تحول دون اطلاعهم على الدين الصحيح؛ ولذلك فلا يجوز في دين الإسلام أن يقاتل المسلمون رغبة في التدمير، أو إذلالاً للناس، أو تعذيبًا لهم كما كانت تفعل جيوش الأمم الأخرى كاليهود والنصارى الذين كانوا يذلّون الشعوب ويدمّرون كل شيء لأعدائهم:

---

(١) قال ابن كثير في كتابه إرشاد الفقيه (٢/٣٢٠): روي هذا عن أبي بكرٍ من وجوه كثيرة.

(٢) أخرجه النسائي (٤١٢٧).

مدنهم ومزارعهم وحيواناتهم، منفذين في ذلك تعاليم كتابهم الذي جاء يأمرهم بالقتل والدمار.

فقد جاء في كتاب اليهود والنصارى المقدّس عندهم جملة من النصوص التي تحثّ على قتل الضعفاء من الأطفال والشيوخ والنساء، ومن ذلك:

«يَا بِنْتَ بَابِلَ الْمُخْرَبَةَ، طُوبَى لِمَنْ يُجَازِيكِ جَزَاءَكِ الَّذِي جَازَيْتِنَا، طُوبَى لِمَنْ يُمْسِكُ أَطْفَالَكِ وَيَضْرِبُ بِهِمُ الصَّخْرَةَ»(١).

ولا يتوقف الأمر على مجرد قتل الأطفال فقط، بل قد تعدى ذلك لما هو أبشع بكثير، مما قد لا تتحمل الطاقة الإنسانية مجرد تصوره، إنه الأمر بقتل الأجنة داخل بطون أمهاتهم بشق تلك البطون، كما يوضح النص التالي:

«تجازى السامرة لأنها قد تمردت على إلهها.بالسيف يسقطون.تحطم أطفالهم والحوامل تشقّ»(٢).

ثم إن الأمر غير متوقف عند قتل الأطفال فقط بل هو شامل لجميع الأبرياء من نساء وشيوخ كما جاء في سفر حزقيال:

«لا تشفق أعينكم ولا تعفوا، الشيخ والشاب والعذراء والطفل والنساء اقتلوا للهلاك»(٣).

ثم يتعدّى الأمر بالقتل والإهلاك البشر ليطول هذا الإجرام حتى

---

(١) سفر المزامير (١٣٧: ٨-٩).

(٢) سفر هوشع (١٣: ١٦).

(٣) سفر حزقيال (٩: ٦).

العجماوات التي لا تعرف بأي ذنب قتلت، كما في النص التالي:

«**فالآن اذهب واضرب عماليق وحرّموا كل ما له ولا تعف عنهم؛ بل اقتل رجلاً وامرأة، طفلاً ورضيعًا، بقرًا وغنمًا، جملاً وحمارًا**»[(١)].

فأين دعاة التحضّر والمتشدقون بالمبادئ والقيم الإنسانية من هذه النصوص الدموية وهم يلمزون شريعة الإسلام ونبي الرحمة ﷺ؟

إن الذين اخترعوا أسلحة الدمار الشامل، وقذفوا الشعوب بالقنابل الذرية التي أتت على الأخضر واليابس وسببت من الدمار والإفساد ما امتد أثره لعشرات السنين، وهؤلاء الذين قتلوا أطفال البوسنة وكوسوفا وبقروا بطون أمهاتهم وارتكبوا جرائم بشعة تقشعر الأبدان من تصورها ويبقى عارها على جبين تلك الحضارة المزعومة، وأولئك الذين ألقوا أطنان المتفجرات والمواد الفتاكة على أطفال فلسطين الأبرياء فحرقت أجسادهم وقطعت أوصالهم، وبترت أطرافهم فتركتهم بين الموت والعجز، أقول: إن أولئك القتلة جميعًا هم إفراز طبيعي لتلك التعاليم الإرهابية.

ومن العجب أن تراهم في تبجح يقذفون المسلمين بتهم الإرهاب وسفك الدماء، ويتطاول بعضهم في جهل وغفلة أو صلف وحقد -لا ينزه عن الأغراض الوضيعة- لينسب ذلك إلى الدين الإسلامي نفسه أو نبي الرحمة ﷺ!!

ومما لا ريب فيه أن نصوص هذا الدين العظيم ومقرراته وتاريخه وسيرته شاهدة على سموه الأخلاقي سلمًا وحربًا، سموًا لا يكون إلا ربانيًا في مورده ومصدره.

---

(١) سفر صموئيل الأول (١٥:٣).





مختارات من أقوال نبي الرحمة ﷺ

حباه الله الحكمة والهداية، وآتاه جوامع الكلم وفصل الخطاب، فكانت أقواله نصوصًا فائقة البلاغة عظيمة البيان، وكان يؤسِّس العقائد ويشرح الشرائع، ويجمع المواعظ والعبر والنصائح في كلمات عذبة سهلة تفتح مغاليق القلوب، وتهدي العقول والألباب، وتحيي النفوس والضمائر، وتصلح الأقوام والمجتمعات.


هذا محمد
صلى الله عليه وسلم
رحمة للعالمين وخاتم النبيين

مختارات من أقوال نبي الرحمة ﷺ

كان نبي الرحمة محمد ﷺ بليغ الكلام فصيح اللسان، يعبّر عن المعاني العظيمة الجليلة بالألفاظ القصيرة القليلة، فقد قال ﷺ: «**بُعِثْتُ بِجَوَامِعِ الْكَلِمِ**»[1].

فقد حباه الله الحكمة والهداية، وآتاه جوامع الكلم وفصل الخطاب، فكانت أقواله نصوصًا فائقة البلاغة عظيمة البيان، وكان يؤسس العقائد ويشرح الشرائع، ويجمع المواعظ والعبر والنصائح في كلمات عذبة سهلة تفتح مغاليق القلوب، وتهدي العقول والألباب، وتحيي النفوس والضمائر، وتصلح الأقوام والمجتمعات، وتقدّم لهم خيري الدنيا والآخرة.

وفي هذا الفصل أعرض طائفة مختارة من أقوال نبي الرحمة محمد ﷺ، ليتدبرها العقلاء والألبّاء، ويتأمل فيها أولي البصائر والأبصار، فيكتشفون جانبًا من عظمة نبي الرحمة ﷺ، ويتعرّفون على ما حمله من أصول وقواعد، وقيم ومبادئ، وأخلاق ومُثُل تحتاجها البشرية في كل حين.

فتعالوا لنجتني ثمرات حلوة من بستان أقوال الحبيب محمد ﷺ، وهلموا نقتبس من ضياء هداه، ونهل من معين نوره، لنسمو محلقين في سماء كلماته الربانية العظيمة:

١- قال رسول الله ﷺ: «**أَفْضَلُ مَا قُلْتُ أَنَا وَالنَّبِيُّونَ مِنْ قَبْلِي: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**»[2].

---

(١) البخاري (٦٤٩٦)، مسلم (٨١٢).

(٢) مالك في الموطأ (٤٤٩)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (١٥٠٣).

٢- وقال ﷺ: «حَقّ الله عَلَى الْعِبَادِ أَنْ يَعْبُدُوهُ وَلَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَحَقّ الْعِبَادِ عَلَى الله أَنْ لَا يُعَذِّبَ مَنْ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا»[(١)].

٣- وقال ﷺ: «احْفَظْ الله يَحْفَظْكَ، احْفَظْ الله تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلْ الله، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِالله، وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوْ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ الله لَكَ، وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ الله عَلَيْكَ، رُفِعَتْ الْأَقْلَامُ وَجَفَّتْ الصُّحُفُ»[(٢)].

٤- وقال ﷺ: «إِنَّ الْحَلَالَ بَيِّنٌ وَإِنَّ الْحَرَامَ بَيِّنٌ، وَبَيْنَهُمَا مُشْتَبِهَاتٌ لَا يَعْلَمُهُنَّ كَثِيرٌ مِنْ النَّاسِ، فَمَنْ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ، وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ وَقَعَ فِي الْحَرَامِ، كَالرَّاعِي يَرْعَى حَوْلَ الْحِمَى يُوشِكُ أَنْ يَرْتَعَ فِيهِ، أَلَا وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًى أَلَا وَإِنَّ حِمَى الله مَحَارِمُهُ، أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ»[(٣)].

٥- وقال ﷺ: «مَثَلُ مَا بَعَثَنِي الله بِهِ مِنْ الْهُدَى وَالْعِلْمِ كَمَثَلِ الْغَيْثِ الْكَثِيرِ أَصَابَ أَرْضًا، فَكَانَ مِنْهَا نَقِيَّةٌ قَبِلَتْ الْمَاءَ فَأَنْبَتَتْ الْكَلَأَ وَالْعُشْبَ الْكَثِيرَ، وَكَانَتْ مِنْهَا

---

(١) البخاري (٥٥١٠)، مسلم (٤٣).

(٢) أخرجه أحمد (٢٥٣٧) وصححه أحمد شاكر، والترمذي (٢٤٤٠) وقال: حسن صحيح، وصححه الألباني في صحيح الترمذي (٢٥١٦).

(٣) أخرجه البخاري (٥٠)، ومسلم (٢٩٩٦).

أَجَادِبُ[١] أَمْسَكَتْ الْمَاءَ فَنَفَعَ اللهُ بِهَا النَّاسَ فَشَرِبُوا وَسَقَوْا وَزَرَعُوا، وَأَصَابَتْ مِنْهَا طَائِفَةً أُخْرَى إِنَّمَا هِيَ قِيعَانٌ[٢] لَا تُمْسِكُ مَاءً وَلَا تُنْبِتُ كَلأً.

فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ فَقُهَ فِي دِينِ اللهِ وَنَفَعَهُ مَا بَعَثَنِي اللهُ بِهِ فَعَلِمَ وَعَلَّمَ، وَمَثَلُ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأْسًا وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَى اللهِ الَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ»[٣].

٦- وقال ﷺ: «كُلُّ النَّاسِ يَغْدُو فَبَائِعٌ نَفْسَهُ فَمُعْتِقُهَا أَوْ مُوبِقُهَا»[٤].

٧- وقال ﷺ: «اللَّهُمَّ لَا عَيْشَ إِلَّا عَيْشُ الْآخِرَةِ»[٥].

٨- وقال ﷺ: «كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ»[٦].

٩- وقال ﷺ: «يَتْبَعُ الْمَيِّتَ ثَلَاثَةٌ، فَيَرْجِعُ اثْنَانِ وَيَبْقَى مَعَهُ وَاحِدٌ: يَتْبَعُهُ أَهْلُهُ وَمَالُهُ وَعَمَلُهُ، فَيَرْجِعُ أَهْلُهُ وَمَالُهُ، وَيَبْقَى عَمَلُهُ»[٧].

١٠- وقال ﷺ: «يُؤْتَى بِأَنْعَمِ أَهْلِ الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيُصْبَغُ[٨] فِي

---

(١) الأجادب: هي الأرض اليابسة الصلبة.

(٢) القيعان: الأرض المستوية الملساء التي لا تنبت.

(٣) أخرجه البخاري (٧٧)، مسلم (٤٢٣٢).

(٤) أخرجه مسلم (٣٢٨)، وأصل الحديث: «الطُّهُورُ شَطْرُ الْإِيمَانِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَأُ الْمِيزَانَ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَآنِ مَا بَيْنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَالصَّلَاةُ نُورٌ، وَالصَّدَقَةُ بُرْهَانٌ، وَالصَّبْرُ ضِيَاءٌ، وَالْقُرْآنُ حُجَّةٌ لَكَ أَوْ عَلَيْكَ، كُلُّ النَّاسِ يَغْدُو فَبَايِعٌ نَفْسَهُ فَمُعْتِقُهَا أَوْ مُوبِقُهَا» وموبقها: أي مهلكها.

(٥) أخرجه البخاري (٣٥١٣)، ومسلم (٣٣٦٦).

(٦) البخاري (٥٩٣٧).

(٧) أخرجه البخاري (٣٥١٣)، ومسلم (٣٣٦٦).

(٨) يصبغ: أي يغمس.

النَّارِ صَبْغَةً ثُمَّ يُقَالُ: يَا ابْنَ آدَمَ هَلْ رَأَيْتَ خَيْرًا قَطُّ؟ هَلْ مَرَّ بِكَ نَعِيمٌ قَطُّ؟ فَيَقُولُ: لَا واللهِ يَا رَبِّ.

وَيُؤْتَى بِأَشَدِّ النَّاسِ بُؤْسًا[١] فِي الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَيُصْبَغُ صَبْغَةً فِي الْجَنَّةِ فَيُقَالُ لَهُ: يَا ابْنَ آدَمَ هَلْ رَأَيْتَ بُؤْسًا قَطُّ؟ هَلْ مَرَّ بِكَ شِدَّةٌ قَطُّ؟ فَيَقُولُ: لَا واللهِ يَا رَبِّ مَا مَرَّ بِي بُؤْسٌ قَطُّ، وَلَا رَأَيْتُ شِدَّةً قَطُّ»[٢].

١١- وقال ﷺ: «مَا مَثَلُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَثَلُ مَا يَجْعَلُ أَحَدُكُمْ إِصْبَعَهُ فِي الْيَمِّ[٣] فَلْيَنْظُرْ بِمَ يَرْجِعُ»[٤].

١٢- وقال ﷺ: «مَا يَسُرُّنِي أَنَّ لِي أُحُدًا ذَهَبًا تَأْتِي عَلَيَّ ثَالِثَةٌ وَعِنْدِي مِنْهُ دِينَارٌ، إِلَّا دِينَارٌ أَرْصُدُهُ لِدَيْنٍ عَلَيَّ»[٥].

١٣- وقال ﷺ: «لَوْ كَانَ لِابْنِ آدَمَ وَادِيَانِ مِنْ مَالٍ لَابْتَغَى ثَالِثًا، وَلَا يَمْلَأُ جَوْفَ ابْنِ آدَمَ إِلَّا التُّرَابُ، وَيَتُوبُ اللهُ عَلَى مَنْ تَابَ»[٦].

١٤- وقال ﷺ: «لَوْ كَانَتْ الدُّنْيَا تَعْدِلُ عِنْدَ اللهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ مَا سَقَى كَافِرًا مِنْهَا شَرْبَةَ مَاءٍ»[٧].

---

(١) البؤس: الشدة.

(٢) أخرجه مسلم (٥٠٢١).

(٣) اليم: البحر.

(٤) أخرجه مسلم (٥١٠١)، وابن ماجه (٤٠٩٨) وهذا لفظه.

(٥) أخرجه مسلم (١٦٥٣).

(٦) أخرجه البخاري (٥٦٥٩)، مسلم (١٧٣٩).

(٧) أخرجه الترمذي (٢٢٤٢) وقال: حديث صحيح، وصححه الألباني في صحيح الترمذي (٢٣٢٠).

١٥- وقال ﷺ: «مَا لِي وَمَا لِلدُّنْيَا، مَا أَنَا فِي الدُّنْيَا إِلَّا كَرَاكِبٍ اسْتَظَلَّ تَحْتَ شَجَرَةٍ، ثُمَّ رَاحَ وَتَرَكَهَا»(١).

١٦- وقال ﷺ: «أَمْسِكْ عَلَيْكَ لِسَانَكَ، وَلْيَسَعْكَ بَيْتُكَ، وَابْكِ عَلَى خَطِيئَتِكَ»(٢).

١٧- وقال ﷺ: «لَيْسَ الْغِنَى عَنْ كَثْرَةِ الْعَرَضِ(٣)، وَلَكِنَّ الْغِنَى غِنَى النَّفْسِ»(٤).

١٨- وقال ﷺ: «يَا أيُّها النَّاسُ، إنَّ رَبَّكُم وَاحِدٌ، وإنَّ أَبَاكُم وَاحِدٌ، ألا لا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى عَجَمِيٍّ، ولا عَجَمِيٍّ عَلَى عَرَبِيٍّ، ولا لأَحْمَرَ عَلَى أَسْوَدَ، ولا أَسْوَدَ على أَحْمَرَ إلاَّ بِالتَّقْوَى، إنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ»(٥).

١٩- وقال ﷺ: «إِنَّ اللهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُوَرِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ»(٦).

٢٠- وقال ﷺ: «إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى»(٧).

٢١- وقال ﷺ: «الْبِرُّ حُسْنُ الْخُلُقِ وَالْإِثْمُ مَا حَاكَ فِي صَدْرِكَ(٨) وَكَرِهْتَ أَنْ

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٢٩٩) وقال: حديث حسن صحيح، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٨٠٧٦).

(٢) الترمذي (٢٣٣٠) وقال: حديث حسن، وصححه الألباني في صحيح الترهيب والترغيب (٣٣٣١).

(٣) العرض: هو كل ما ينتفع به من متاع الدنيا.

(٤) أخرجه البخاري (٥٩٦٥)، مسلم (١٧٤١).

(٥) حلية الأولياء (١٠٠/٣) وقال ابن تيمية في اقتضاء الصراط المستقيم (٤١٢/١): إسناده صحيح، وقال الهيثمي في المجمع(٢٦٩/٣): إسناده صحيح، وقال الألباني في الصحيحة (٢٧٠٠): وهذا إسناد صحيح رجاله كلهم ثقات رجال مسلم.

(٦) أخرجه مسلم (٤٦٥١).

(٧) أخرجه البخاري (١)، مسلم (٣٥٣٠).

(٨) حاك في صدرك: أي تحرك فيه وتردد، وحصل في القلب شك منه أن يكون ذنبًا.

يَطَّلِعَ عَلَيْهِ النَّاسُ»[١].

٢٢- وقال ﷺ: «أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا، وَخِيَارُكُمْ خِيَارُكُمْ لِنِسَائِهِمْ خُلُقًا»[٢].

٢٣- وقال ﷺ: «الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ، ارْحَمُوا مَنْ فِي الْأَرْضِ يَرْحَمْكُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ»[٣].

٢٤- وقال ﷺ: «مَنْ حُرِمَ الرِّفْقَ حُرِمَ الْخَيْرَ»[٤].

٢٥- وقال ﷺ: «إِنَّ الرِّفْقَ لَا يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ وَلَا يُنْزَعُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا شَانَهُ»[٥].

٢٦- وقال ﷺ: «إِنَّ اللهَ كَتَبَ الْإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، فَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا الْقِتْلَةَ، وَإِذَا ذَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الذَّبْحَ، وَلْيُحِدَّ أَحَدُكُمْ شَفْرَتَهُ[٦] فَلْيُرِحْ ذَبِيحَتَهُ»[٧].

٢٧- وقال ﷺ: «دَخَلَتْ امْرَأَةٌ النَّارَ فِي هِرَّةٍ رَبَطَتْهَا فَلَمْ تُطْعِمْهَا وَلَمْ تَدَعْهَا

---

(١) مسلم (٤٦٣٢).

(٢) أحمد (٧٠٩٥)، والترمذي (١٠٨٢) وقال الترمذي حسن صحيح، وقال الهيثمي في المجمع: فيه محمد بن عمرو وحديثه حسن وبقية رجاله رجال الصحيح، وصححه الألباني في صحيح الجامع(١٢٣٢).

(٣) أخرجه أبو داود(٤٢٩٠)، والترمذي (١٨٤٧) وقال حسن صحيح، وصححه الحاكم، والألباني في السلسلة الصحيحة (٩٢٥).

(٤) مسلم (٤٦٩٦).

(٥) مسلم (٤٦٩٨).

(٦) الشفرة: السكّين.

(٧) أخرجه مسلم (٣٦١٥).

تَأْكُلُ مِنْ خَشَاشِ[١] الْأَرْضِ»[٢].

٢٨- وقال ﷺ: «فِي كُلِّ ذَاتِ كَبِدٍ رَطْبَةٍ أَجْرٌ»[٣].

٢٩- وقال ﷺ: «مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَغْرِسُ غَرْسًا أَوْ يَزْرَعُ زَرْعًا فَيَأْكُلُ مِنْهُ طَيْرٌ أَوْ إِنْسَانٌ أَوْ بَهِيمَةٌ إِلَّا كَانَ لَهُ بِهِ صَدَقَةٌ»[٤].

٣٠- وقال ﷺ: «عَلَيْكُمْ بِالصِّدْقِ فَإِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَصْدُقُ وَيَتَحَرَّى الصِّدْقَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ صِدِّيقًا. وَإِيَّاكُمْ وَالْكَذِبَ؛ فَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَكْذِبُ وَيَتَحَرَّى الْكَذِبَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ كَذَّابًا»[٥].

٣١- وقال ﷺ: «أَدِّ الْأَمَانَةَ إِلَى مَنْ ائْتَمَنَكَ وَلَا تَخُنْ مَنْ خَانَكَ»[٦].

٣٢- وقال ﷺ: «لَا تَحْقِرَنَّ مِنْ الْمَعْرُوفِ شَيْئًا وَلَوْ أَنْ تَلْقَى أَخَاكَ بِوَجْهٍ طَلْقٍ[٧]»[٨].

---

(١) خشاش الأرض أي: حشراتها.

(٢) أخرجه البخاري (٣٠٧١)، مسلم (٤١٦٠)

(٣) أخرجه البخاري (٢١٩٠)، مسلم (٤١٦٢)، وأصل الحديث: «بَيْنَا رَجُلٌ بِطَرِيقٍ اشْتَدَّ عَلَيْهِ الْعَطَشُ فَوَجَدَ بِئْرًا فَنَزَلَ فِيهَا فَشَرِبَ، ثُمَّ خَرَجَ فَإِذَا كَلْبٌ يَلْهَثُ يَأْكُلُ الثَّرَى (وهو التراب الندي الرطب) مِنْ الْعَطَشِ، فَقَالَ الرَّجُلُ: لَقَدْ بَلَغَ هَذَا الْكَلْبَ مِنْ الْعَطَشِ مِثْلُ الَّذِي كَانَ بَلَغَ مِنِّي، فَنَزَلَ الْبِئْرَ فَمَلَأَ خُفَّهُ مَاءً فَسَقَى الْكَلْبَ، فَشَكَرَ اللَّهُ لَهُ فَغَفَرَ لَهُ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَإِنَّ لَنَا فِي الْبَهَائِمِ لَأَجْرًا؟ فَقَالَ: فِي كُلِّ ذَاتِ كَبِدٍ رَطْبَةٍ أَجْرٌ».

(٤) أخرجه البخاري (٢١٥٢)، ومسلم (٢٩٠٤).

(٥) البخاري (٥٦٢٩)، مسلم (٤٧١٨).

(٦) أخرجه أبو داود (٣٥٣٥)، والترمذي (١٢٦٤) وصححه الألباني في صحيح أبي داود (٣٥٣٥) وقال في تخريج مشكاة المصابيح (٢٨٦٤): إسناده صحيح على شرط مسلم.

(٧) وجه طلق أي: مبتسم منبسط.

(٨) مسلم (٤٧٦٠).

٣٣- وقال ﷺ: «الْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ»[(١)].

٣٤- وقال ﷺ: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بالله وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بالله وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بالله وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ»[(٢)].

٣٥- وقال ﷺ: «إِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ قَبْلَكُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ فِيهِمْ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ، وَإِذَا سَرَقَ فِيهِمْ الضَّعِيفُ أَقَامُوا عَلَيْهِ الْحَدَّ، وَايْمُ اللهِ[(٣)] لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا»[(٤)].

٣٦- وقال ﷺ: «إِنَّ الْمُقْسِطِينَ عِنْدَ اللهِ عَلَى مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ عَنْ يَمِينِ الرَّحْمَنِ ﷻ»[(٥)].

٣٧- وقال ﷺ: «لَأَنْ يُهْدَى بِكَ رَجُلٌ وَاحِدٌ خَيْرٌ لَكَ مِنْ حُمْرِ النَّعَمِ»[(٦)].

٣٨- وقال ﷺ: «مَا أَكَلَ أَحَدٌ طَعَامًا قَطُّ خَيْرًا مِنْ أَنْ يَأْكُلَ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ»[(٧)].

٣٩- وقال ﷺ: «الْيَدُ الْعُلْيَا خَيْرٌ مِنْ الْيَدِ السُّفْلَى»[(٨)].

---

(١) البخاري (٢٧٦٧)، مسلم (١٦٧٧).

(٢) البخاري (٥٦٧٣)، مسلم (٦٧).

(٣) وايم الله: أقسم بالله.

(٤) البخاري (٢٥٤٨)، مسلم (٣٠٣).

(٥) أخرجه مسلم (٣٤٠٦).

(٦) أخرجه البخاري (٢٧٢٤)، ومسلم (٤٤٢٣). قال النووي: «حُمْرُ النَّعَم: هِيَ الْإِبِلُ الْحُمْر، وَهِيَ أَنْفَسُ أَمْوَالِ الْعَرَب، يَضْرِبُونَ بِهَا الْمَثَل فِي نَفَاسَةِ الشَّيْء، وَأَنَّهُ لَيْسَ هُنَاكَ أَعْظَم مِنْهُ».

(٧) البخاري (١٩٣٠).

(٨) البخاري (١٣٣٨)، مسلم (١٧١٦)، واليد العليا هي المنفقة المعطية، واليد السفلى هي السائلة الآخذة.

٤٠- وقال ﷺ: «مَا مَلَأَ آدَمِيٌّ وِعَاءً شَرًّا مِنْ بَطْنٍ، حَسْبُ الْآدَمِيِّ لُقَيْمَاتٌ يُقِمْنَ صُلْبَهُ، فَإِنْ غَلَبَتْ الْآدَمِيَّ نَفْسُهُ فَثُلُثٌ لِلطَّعَامِ، وَثُلُثٌ لِلشَّرَابِ، وَثُلُثٌ لِلنَّفَسِ»(١).

٤١- وقال ﷺ: «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ لَا يَأْمَنُ جَارُهُ بَوَائِقَهُ»(٢).

٤٢- وقال ﷺ: «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ»(٣).

٤٣- وقال ﷺ: «مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ، وَمَا زَادَ اللهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ إِلَّا عِزًّا، وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لله إِلَّا رَفَعَهُ اللهُ»(٤).

٤٤- وقال ﷺ: «اتَّقُوا الظُّلْمَ فَإِنَّ الظُّلْمَ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»(٥).

٤٥- وقال ﷺ: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ»(٦).

٤٦- وقال ﷺ: «مَنْ لَا يَشْكُرُ النَّاسَ لَا يَشْكُرُ اللهَ»(٧).

٤٧- وقال ﷺ: «لَيْسَ الشَّدِيدُ بِالصُّرَعَةِ(٨)، إِنَّمَا الشَّدِيدُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٣٠٢) وقال: هذا حديث حسن صحيح، وابن ماجه (٣٣٤٠)، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه (٢٧٢٠)، قال القرطبي تعليقًا على هذا الحديث: «لو سمع بقراط بهذه القسمة، لعجب من هذه الحكمة»، وقال الغزالي: «ذُكِر هذا الحديث لبعض الفلاسفة فقال: ما سمعت كلامًا في قلة الأكل أحكم من هذا» انظر: فتح الباري في شرح صحيح البخاري (١٥/٢٥٨).

(٢) مسلم (٦٦) والمقصود ببوائقه أي: أذاه وضرره.

(٣) مسلم (١٣١).

(٤) أخرجه مسلم (٤٦٨٩).

(٥) أخرجه مسلم (٤٦٧٥).

(٦) أخرجه البخاري (١٢)، ومسلم (٦٤).

(٧) أخرجه أبو داود (٤١٧٧)، والترمذي (١٨٧٧) وقال: حديث حسن صحيح، وصححه الألباني في صحيح الترمذي (١٩٥٤).

(٨) الصُرَعة: الذي يصرع الناس كثيرًا، أي يغلبهم في المصارعة.

عِنْدَ الْغَضَبِ»[١].

٤٨- وقال ﷺ: «كُلُّكُمْ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ»[٢].

٤٩- وقال ﷺ: «إِنَّ شَرَّ الرِّعَاءِ الْحُطَمَةُ»[٣].

٥٠- وقال ﷺ: «مَثَلُ الْقَائِمِ عَلَى حُدُودِ اللهِ وَالْوَاقِعِ فِيهَا كَمَثَلِ قَوْمٍ اسْتَهَمُوا[٤] عَلَى سَفِينَةٍ، فَأَصَابَ بَعْضُهُمْ أَعْلَاهَا، وَبَعْضُهُمْ أَسْفَلَهَا، فَكَانَ الَّذِينَ فِي أَسْفَلِهَا إِذَا اسْتَقَوْا[٥] مِنْ الْمَاءِ مَرُّوا عَلَى مَنْ فَوْقَهُمْ، فَقَالُوا: لَوْ أَنَّا خَرَقْنَا فِي نَصِيبِنَا خَرْقًا وَلَمْ نُؤْذِ مَنْ فَوْقَنَا، فَإِنْ يَتْرُكُوهُمْ وَمَا أَرَادُوا هَلَكُوا جَمِيعًا، وَإِنْ أَخَذُوا عَلَى أَيْدِيهِمْ نَجَوْا وَنَجَوْا جَمِيعًا»[٦].

٥١- وقال ﷺ: «مَثَلُ الْمُؤْمِنِ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَمَثَلِ الْأُتْرُجَّةِ[٧] رِيحُهَا طَيِّبٌ وَطَعْمُهَا طَيِّبٌ.

وَمَثَلُ الْمُؤْمِنِ الَّذِي لَا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَمَثَلِ التَّمْرَةِ لَا رِيحَ لَهَا وَطَعْمُهَا حُلْوٌ.

---

(١) أخرجه البخاري (٥٦٤٩)، مسلم (٤٧٢٣).

(٢) أخرجه البخاري (٨٤٤)، مسلم (٣٤٠٨).

(٣) أخرجه مسلم (٣٤١١) ومعنى الحديث أن أسوأ الرعاة هم الذين يستخدمون العنف والقهر مع رعيتهم، ولا يرفقون بهم بل يؤذونهم ويحطمونهم.

(٤) استهموا: قاموا بعمل قرعة.

(٥) استقوا: أرادوا إحضار ماء للشرب.

(٦) أخرجه البخاري (٢٣١٣).

(٧) الأترجة: ثمرة جميلة الشكل والطعم والرائحة.

وَمَثَلُ الْمُنَافِقِ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ مَثَلُ الرَّيْحَانَةِ رِيحُهَا طَيِّبٌ وَطَعْمُهَا مُرٌّ.

وَمَثَلُ الْمُنَافِقِ الَّذِي لَا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَمَثَلِ الْحَنْظَلَةِ(١) لَيْسَ لَهَا رِيحٌ وَطَعْمُهَا مُرٌّ»(٢).

٥٢- وقال ﷺ: «مَنْ نَفَّسَ(٣) عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا نَفَّسَ الله عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ.

وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ يَسَّرَ الله عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ الله فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

وَالله فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ.

وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ الله لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ...

وَمَنْ بَطَّأَ بِهِ عَمَلُهُ لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ»(٤).

٥٣- وقال ﷺ: «كُلُّ بَنِي آدَمَ خَطَّاءٌ وَخَيْرُ الْخَطَّائِينَ التَّوَّابُونَ»(٥).

٥٤- وقال ﷺ: «دَعْ مَا يَرِيبُكَ إِلَى مَا لَا يَرِيبُكَ؛ فَإِنَّ الصِّدْقَ طُمَأْنِينَةٌ وَإِنَّ

---

(١) الحنظلة: ثمرة في حجم البرتقالة لكنها شديدة المرارة.

(٢) أخرجه البخاري (٥٠٠٧)، مسلم (١٣٢٨).

(٣) نفّس الكربة: أزال المصيبة وفرّجها.

(٤) أخرجه مسلم (٤٨٦٧) ومعنى «مَنْ بَطَّأَ بِهِ عَمَلُهُ لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ» أي: من لم يصل به عمله إلى مراتب السعادة والعلو، فلن ينفعه نسبه الرفيع، لأن الحساب سيكون على الأعمال لا الأنساب ونحوها.

(٥) أخرجه أحمد (١٢٥٧٦)، والترمذي (٢٤٢٣) وحسنه، وحسّنه الألباني في صحيح الجامع (٤٥١٥).

الْكَذِبَ رِيبَةٌ»[١].

٥٥- وقال ﷺ: «اتَّقِ اللهِ حَيْثُمَا كُنْتَ وَأَتْبِعْ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمْحُهَا وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ»[٢].

إنها كلمات حقيق أن تكتب بماء الذهب في أزكى السطور، وجدير أن تسطّر في صحائف منشورة بحروف من نور، وأن تشرق لها العقول وتنشرح لها الصدور، فسبحان الذي وهب محمدًا ﷺ الحكمة، وزكّاه في لسانه، وعصمه في أقواله، وآتاه جوامع الكلم، وحباه البلاغة والفصاحة.



(١) أخرجه أحمد (١٦٣٠) وصححه أحمد شاكر، والترمذي (٢٤٤٢) وقال: هذا حديث حسن صحيح، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣٣٧٨).

(٢) أخرجه أحمد (٢٠٣٩٢) وصححه أحمد شاكر، والترمذي (١٩١٠) وقال: هذا حديث حسن صحيح، وحسّنه الألباني في صحيح الترمذي (١٩٨٧).

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف خلق الله أجمعين، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد:

فهذا محمد نبي الرحمة ﷺ الذي بذل عمره في الدعوة إلى التوحيد، ومحاربة الشرك والكفر، وإعلاء كلمة الله، وإنقاذ البشرية من عبودية الأهواء والشهوات، والطواغيت والسلاطين، والأحبار والرهبان.

وهذا محمد خاتم النبيين ﷺ الذي بلغ العلا في كمال خصاله وجمال خلاله، وارتقى أعلى الدرجات الخلقية علمًا وعملاً ودعوة ومنهاجًا.

وهذا محمد ﷺ أعظم شخصية عرفها التاريخ، الذي أقام أعظم حضارة إنسانية، والذي حوّل أهل الجاهلية عباد الأوثان الضعفاء المشرذمين إلى خير أمة أخرجت للناس، وأعظم دولة عرفها العالم الإنساني عبر العصور.

هذا محمد ﷺ الذي قامت على صدق نبوته الأدلة اليقينية، وأُثبِتت صحةُ رسالته بالبراهين القطعية، وصار واضحًا لكل ذي عقل أنه رسول الله حقًا، وأصبح ظاهرًا لكل ذي لب أنه خاتم الأنبياء وسيد المرسلين.

وهذا محمد ﷺ عبد الله ورسوله الذي إن مات فأثره سيظلّ حيًا لا يموت، وإن تُوفي فستبقى رسالته خالدة لا تفنى، وسيظل معين نوره متدفقًا لا ينضب،

ليقتبس منه كل من أنصف نفسه وبحث عن الحق طالبًا الهداية من ربه.

هذا محمد ﷺ نبي المحبة والرحمة والتوبة والشفقة والرأفة، مخلّص البشرية من ذلّ الشرك وطغيان الكفر، وهادي الناس إلى نور الهداية وعز الإسلام، له في أعناقنا جميل لن نستطيع أن نوفيه، وله علينا معروف لا نملك أن نردّه، ففداه أرواحنا ونفوسنا ودماؤنا، وفداه أموالنا وآباؤنا وأمهاتنا وأبناؤنا، وعليه أفضل الصلوات والبركات وأجلّ التسليمات والرحمات، ولله الحمد والشكر والمنة من قبل ومن بعد.

أبي عبد الله الصارم
إيهاب بن كمال بن أحمد

قائمة المراجع

القرآن الكريم وتفاسيره

١- **التحرير والتنوير**، الطاهر بن عاشور، دار سحنون للنشر والتوزيع - تونس.

٢- **تفسير القرآن العظيم**، لابن كثير، دار إحياء الكتب العربية - مصر.

٣- **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**،تفسير السعدى، مؤسسة الرسالة - بيروت.

٤- **الجامع لأحكام القرآن**، تفسير القرطبي، دار إحياء التراث العربي - بيروت.

٥- **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، تفسير الطبرى، دار الفكر - بيروت .

٦- **فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير**،محمد الشوكاني، دار ابن حزم-بيروت.

٧- **مفردات ألفاظ القرآن**، الراغب الأصفهاني، دار القلم - سوريا.

السنة النبوية وشروحها وعلومها

١- **الأحاديث المختارة** ، الضياء المقدسي، دار الفكر - بيروت.

٢- **إرشاد الفقيه إلى معرفة أدلة التنبيه** ، لابن كثير، مؤسسة الرسالة، بيروت.

٣- **تحفة الأحوذي شرح سنن الترمذي** للمباركفوري- دار الكتب العلمية.

٤- **التمهيد لما في الموطأ من المعانى والأسانيد** لابن عبد البر- الفاروق الحديثة.

٥- **تهذيب الكمال** ، أبو الحجاج يوسف بن عبدالرحمن المزي، مؤسسة الرسالة - بيروت.

٦- **الجرح والتعديل** ، لابن أبي حاتم، دار الفكر- بيروت.

٧- **الجهاد**، لعبد الله بن المبارك، التونسية للنشر- تونس.

٨- **حلية الأولياء وطبقات الأصفياء**، أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني- دار الكتاب العربي - بيروت.

٩- **جامع العلوم والحكم**، ابن رجب الحنبلي، ، مؤسسة الرسالة - بيروت.

١٠- **السلسلة الصحيحة** للألباني - مكتبة المعارف.

١١- **السلسلة الضعيفة** للألباني- مكتبة المعارف.

١٢- **سنن ابن ماجه**- الأفكار الدولية. [مع الصحيح والضعيف للألباني- مكتبة المعارف]

١٣- **سنن أبي داود**-بيت الأفكار الدولية. [مع الصحيح والضعيف للألباني- مكتبة المعارف]

١٤- **سنن البيهقى الكبرى**، أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي، مكتبة دار الباز- مكة المكرمة.

١٥- **سنن الترمذي**- الأفكار الدولية. [مع الصحيح والضعيف للألباني- مكتبة المعارف]

١٦- **سنن الدارقطني** - علي بن عمر أبو الحسن الدارقطني البغدادي - دار المعرفة -بيروت.

١٧- **سنن الدارمي**- دار الحديث.

١٨- **سنن النسائي**- الأفكار الدولية. [مع الصحيح والضعيف للألباني- مكتبة المعارف]

١٩- **شرح صحيح مسلم**، النووى، ، دار قرطبة - القاهرة.

٢٠- **شرح معانى الآثار**، أبو جعفر الطحاوي، دار الكتب العلمية - بيروت.

٢١- **صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان**، محمد بن حبان البستي، مؤسسة الرسالة - بيروت.

٢٢- **صحيح الأدب المفرد** ناصر الدين الألباني ، مكتبة المعارف.

٢٣- **صحيح البخاري**- بيت الأفكار الدولية [ومعه مختصر صحيح البخاري للزبيدي، دار ابن القيم - الدمام].

٢٤- **صحيح الجامع وضعيفه**- ناصر الدين الألباني - المكتب الإسلامي-بيروت.

٢٥- **صحيح مسلم** - بيت الأفكار الدولية. [ومعه مختصر صحيح مسلم للمنذري- بتحقيق ناصر الدين الألباني - المكتب الإسلامي-بيروت].

٢٦- **عون المعبود** للآبادي [مع تهذيب السنن لابن القيم]- دار الفكر بيروت.

٢٧- **فتح الباري في شرح صحيح البخاري** لابن حجر- دار الفكر بيروت.

٢٨- **فيض القدير شرح الجامع الصغير في أحاديث البشير النذير**، لعبد الرؤوف المناوي، المكتبة التجارية الكبرى، مصر.

٢٩- **الكامل في ضعفاء الرجال**، عبدالله بن عدي الجرجاني، دار الفكر - بيروت.

٣٠- **كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال**، لعلي بن حسام الدين المتقي الهندي، مؤسسة الرسالة – بيروت.

٣١- **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد**، نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي دار الفكر- بيروت.
المستدرك، الحاكم النيسابوري، دار الكتاب العربي – بيروت.

٣٢- **المسند**، للإمام أحمد- مؤسسة الرسالة -بيروت.

٣٣- **مشكاة المصابيح** للخطيب التبريزي بتحقيق الألباني- المكتب الإسلامي.

٣٤- **الضعفاء الكبير**، أبو جعفر محمد بن موسى العقيلي، دار المكتبة العلمية – بيروت.

٣٥- **المعجم الكبير** - أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني - مكتبة العلوم والحكم، تحقيق: حمدي بن عبدالمجيد السلفي.

٣٦- **المغني في الضعفاء**، شمس الدين الذهبي، دار المعارف – حلب.

٣٧- **الموطأ**، للإمام مالك- دار التقوى-مصر.

٣٨- **ميزان الاعتدال** ، شمس الدين الذهبي، دار إحياء الكتب العربية.

٣٩- **نصب الراية لأحاديث الهداية**، جمال الدين أبو محمد الزيلعي الحنفي، مؤسسة الريان للطباعة والنشر والتوزيع –بيروت.

السيرة النبوية والتاريخ والتراجم

١- **أخبار المدينة**، ابن شبه أبو زيد بن عمر النميري، دار الفكر– بيروت.

٢- **أخلاق الحروب الإسلامية في سيرة خير البرية**،لأبي عبد الله الصارم إيهاب بن كمال ، دار اليسر– القاهرة

٣- **الاستيعاب في تمييز الأصحاب**، لابن عبد البر، نهضة مصر–القاهرة.

٤- **أسد الغابة**، لابن الأثير، دار الفكر – بيروت.

٥- **الإصابة في تمييز الصحابة**، لابن حجر العسقلاني، ، دار الكتب العلمية – بيروت.

٦- **البداية والنهاية**، لابن كثير، دار الفكر – بيروت.

٧- **تاريخ الأمم والملوك**، تاريخ الطبري، دار الكتب العلمية- بيروت.



٨- **تاريخ بغداد**، الخطيب البغدادي ، دار الكتاب العربي، بيروت.

٩- **تاريخ الخلفاء**، لجلال الدين السيوطي مطبعة السعادة - مصر.

١٠- **تاريخ دمشق**، لابن عساكر، دار الفكر.

١١- **دلائل النبوة** ، أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني- دار الوعي- حلب.

١٢- **دلائل النبوة** ، البيهقي- دار الفكر-بيروت.

١٣- **رحمة للعالمين**، المنصور فوري ، الدار السلفية – بومباى.

١٤- **الرحيق المختوم**، المباركفوري، دار السلام – القاهرة.

١٥- **الرسول القائد**، لمحمود شيت خطاب - دار الفكر.

١٦- **الروض الأنف**، لعبد الرحمن السهيلي، تحقيق عبد الرحمن الوكيل، دار الكتب الحديثة – القاهرة .

١٧- **زاد المعاد في هدى خير العباد**، ابن قيم الجوزية ، مؤسسة الرسالة – بيروت.

١٨- **سير أعلام النبلاء**، شمس الدين الذهبي مؤسسة الرسالة – بيروت .

١٩- **السيرة النبوية** ، لابن هشام – دار المغني، الرياض.

٢٠- **السيرة النبوية الصحيحة**، أكرم ضياء العمري – ، العبيكان – الرياض.

٢١- **السيرة النبوية في ضوء الكتاب والسنة** ، لمحمد أبو شهبة – دار القلم سوريا.

٢٢- **السيرة النبوية منهجية دراستها واستعراض أحداثها**، عبد الرحمن الحجي ، دار ابن كثير، بيروت.

٢٣- **شمائل الرسول**، لابن كثير، مكتبة الإسكندرية.

٢٤- **الشمائل المحمدية**، للترمذي، دار الصديق، (مع **مختصر الشمائل** للألباني- مكتبة المعارف).

٢٥- **الطبقات الكبرى** ، للواقدي، دار صادر- بيروت.

٢٦- **عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير** ، لابن سيد الناس، المكتبة السلفية، مصر.

٢٧- **فتوح البلدان** ، لأبي العباس البلاذري، مؤسسة المعارف ، بيروت.

٢٨- **فقه السيرة**، محمد سعيد رمضان البوطي ، دار الفكر – بيروت .

٢٩- **فقه السيرة**،للغزالي بتحقيق ناصر الدين الألباني - المكتب الإسلامي.

٣٠- **الكامل في التاريخ**، لابن الأثير، دار الكتاب العربي، بيروت.

٣١- **محمد رسول الله منهج ورسالة**، محمد الصادق إبراهيم عرجون، دار القلم – دمشق.

٣٢- **مختصر تاريخ دمشق** لابن منظور، دار الفكر دمشق.

٣٣- **المعرفة والتاريخ**، لأبي يوسف يعقوب بن سفيان الفسوي، مؤسسة الرسالة-بيروت.

٣٤- **المنهج الحركي للسيرة النبوية**، منير الغضبان، ، دار المنار – الأردن.

٣٥- **هذا الحبيب يامحب**، أبو بكر الجزائرى، دار السلام – القاهرة .

٣٦- **وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى**، على بن عبد الله السمهودى، دار الآداب والمؤيد –مصر.

معاجم اللغة العربية

١- **القاموس المحيط**، الفيروز آبادى، دار الفكر - بيروت .

٢- **لسان العرب**، ابن منظور ، دار صادر – بيروت.

٣- **معجم البلدان** لياقوت الحموي، دار إحياء التراث العربي.

٤- **معجم المقاييس في اللغة**، لابن فارس، طبعة دار الفكر – بيروت.

٥- **المعجم الوسيط**، مجمع اللغة العربية، دار الفكر- بيروت.

٦- **مفردات ألفاظ القرآن**، الراغب الأصفهاني، دار القلم – سوريا.

٧- **النسبة إلى المواضع والبلدان**، لجمال الدين عبدالله الحميري، مركز الوثائق والبحوث –أبوظبي.

الفقه والدعوة والعقيدة ومقارنة الأديان

١- **الأخلاق الإسلامية وأسسها**، عبد الرحمن حبنكة الميداني، دار القلم – سوريا.

٢- **أصول الدعوة**، عبد الكريم زيدان، مؤسسة الرسالة -بيروت.

٣- **اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم**، لابن تيمية، دار الرشد، الرياض.

٤- **الإنجيل والصليب** لعبد الأحد داود، دار الضياء، قطر.

٥- **أهمية الجهاد**، علي العلياني، دار طيبة – الرياض.

٦- **نبوة محمد من الشك إلى اليقين** لفاضل السمرائي، مكتبة القدس، بغداد.

٧- **جلاء الأفهام في فضل الصلاة على محمد خير الأنام** لابن القيم، دار ابن الجوزي.

٨- **الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح** ، لابن تيمية، دار العاصمة، الرياض.

٩- **الردود المسكتة على الافتراءات المتهافتة**، لأبي عبد الله الصارم إيهاب بن كمال، دار اليسر، القاهرة.

١٠- **الرسل والرسالات**، لعمر سليمان الأشقر، مكتبة الفلاح، الكويت.

١١- **السياسة الشرعية**، لابن تيمية، مكتبة المعارف - الرياض.

١٢- **المجموع شرح المهذب**، للنووي، مكتبة الإرشاد – جدة.

١٣- **محمد نبي الإسلام في التوراة والإنجيل والقرآن** لمحمد عزت إسماعيل الطهطاوي، مطبعة التقدم، القاهرة.

١٤- **المغني**، لابن قدامة المقدسي، - دار الفكر- بيروت.

١٥- **هل بشر الكتاب المقدس بمحمد؟** لمنقذ السقار، سلسلة الهدى والنور (٥).

كتب بغير العربية

١- سلسلة كتيبات آديار"Adyar Pamphlets "، الكتيب رقم ١٦٢ لسنة ١٩٣٢. طبعة دار: The Theosophical Publishing House

٢- **حياة محمد**، واشنجتون إيرفينغ.

THE LIFE OF MAHOMED/WASHINGTON IRVING طبعة دار BAUDRY'S EUROPEAN LIBRARY

٣- **قصة الحضارة**، لويل ديورانت

WILL DURANT /The Story of Civilization طبعة دار Simon & Schuster في NEW YORK.

٤- **محمد، نبيٌ لهذا الزمان**، لكارين آرمسترونغ.

KAREN ARMSTRONG MOHAMMAD، APROPHET FOR OUR TIME طبعة دار HarperCollins Publishers

٥- **محمد والمحمدية**، للقس بوسورث سميث.

BOSWORTH SMITH MUHAMMAD AND MUHAMMADANISM / طبعة دار

HARPER& ROTHERS PUBLISHERS

٦- **محمد ويسوع، مقارنة بين الأنبياء وتعاليمهم**، لويليام إ. فيبس

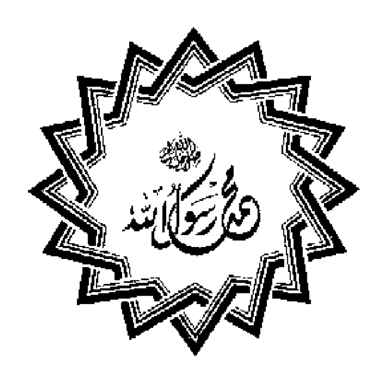
MUHAMMAD & JESUS COMPARISON OF THE PROPHETS AND THIER TEACHINGS/ WILLIAM E. PHIPPS

٧- نداء المئذنة، لكينيث كراج

(The Call Of The Minaret) Kenneth Cragg طبعة دار Oxford University Press

٨- **العظماء مائة وأعظمهم محمد صلى الله عليه وسلم**، لمايكل هارت.

The hundred: A Ranking of the Most Influential Persons in History by Michael Hart



الفهرس



تم بحمد الله

صدر للمؤلف عن دار اليسر

أخلاق الحروب الإسلامية

في سيرة خير البرية

عليه أفضل الصلاة والسلام

تأليف

أبي عبد الله الصارم

إيهاب بن كمال



كيف ترد على افتراءات المشككين في الإسلام

المنهج العلمي والخطوات العملية في الرد على الفرية

تأليف

أبي عبد الله الصارم
إيهاب بن كمال بن أحمد



الردود المسكتة
على الافتراءات المتهافتة

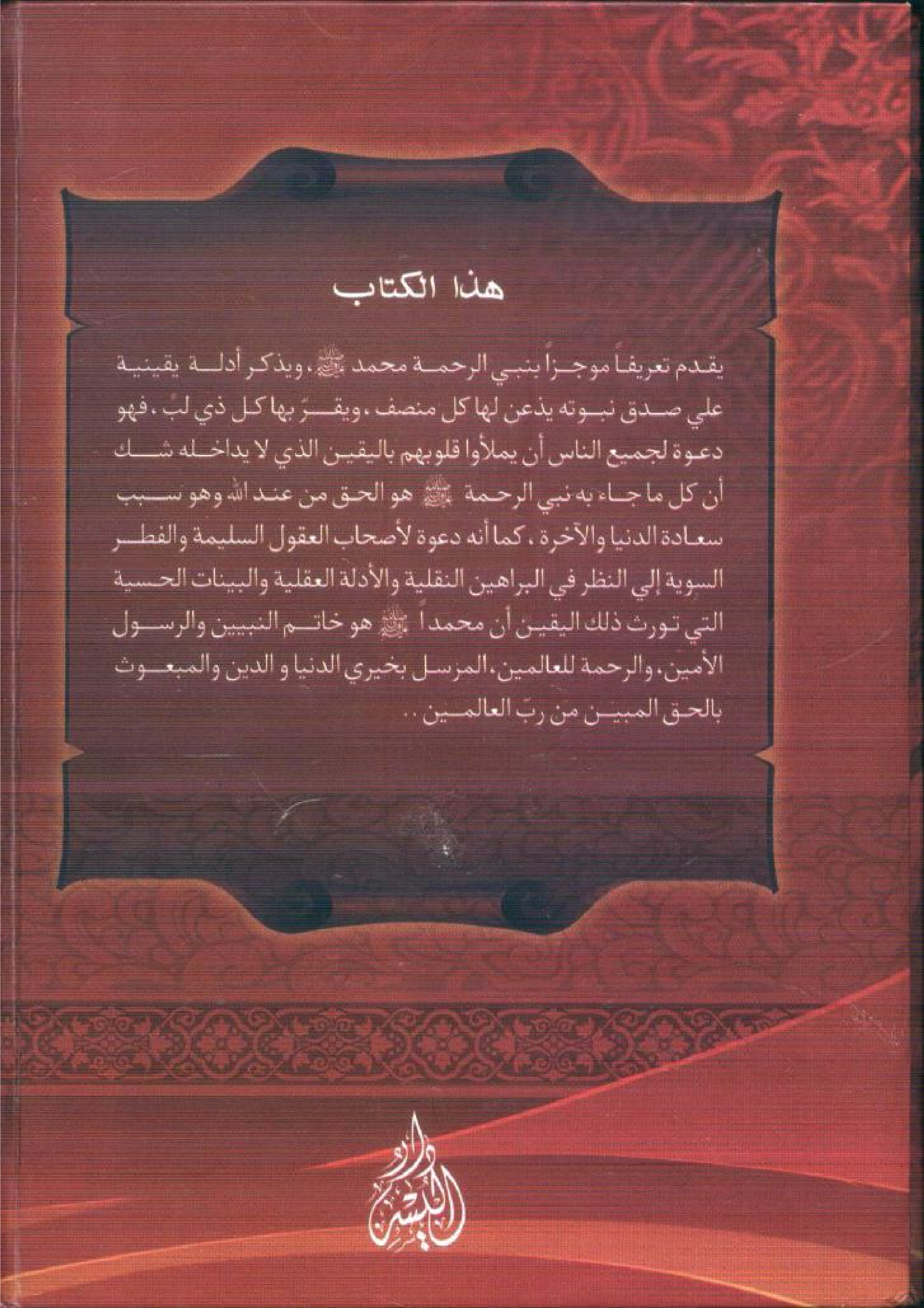
الرد المفحم على المشككين في الإسلام عبر الفضائيات والإنترنت

جمع وتصنيف

أبو عبد الله الصارم

إيهاب بن كمال بن أحمد




هذا الكتاب
يقدم تعريفاً موجزاً بنبي الرحمة محمد ﷺ، ويذكر أدلة يقينية
علي صدق نبوته يذعن لها كل منصف، ويقرّ بها كل ذي لبّ، فهو
دعوة لجميع الناس أن يملأوا قلوبهم باليقين الذي لا يداخله شك
أن كل ما جاء به نبي الرحمة ﷺ هو الحق من عند الله وهو سبب
سعادة الدنيا والآخرة، كما أنه دعوة لأصحاب العقول السليمة والفطر
السوية إلي النظر في البراهين النقلية والأدلة العقلية والبينات الحسية
التي تورث ذلك اليقين أن محمداً ﷺ هو خاتم النبيين والرسول
الأمين، والرحمة للعالمين، المرسل بخيري الدنيا و الدين والمبعوث
بالحق المبين من ربّ العالمين..
دار اليسر

مع تحيات اخوانكم في غرفة

النصارى يسألوننا عن الإسلام

على برامج المحادثة الصوتية البالتوك و الإنسبيك

PALTALK >> Chat Rooms >> Middle East >> Islam >>

Christians AreAsking Us About Islam

http://www.paltalk.com/g2/group/1364928467/

INSPEAK >> Groups >> Public: Arabic & Middle-East >>

Christians Are Asking Us About Islaam

منتديات صوت الحق

http://soutalhaq.net/

نسألكم الدعاء لكل من ساهم في هذا العمل